جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

جمالية الإبداع الخطابي

قراءة تداولية في خطاب صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان
- نماذج مختارة -

الدكتورة عائشة جمعه الشامسي

الطبعة الأولى
1446 هـ - 2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم

جـــامـــعـــة محـــمـدبـــن زايـــد
لـلـعـلـــوم الإنـــســـانـيـــة
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة

الطبعـــة الأولـــى
1446 هـ - 2025 م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسموع
أو استخدامه حاسوبياً بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الناشر

mbzuh mbzuh.ac.ae MBZ university for humanities

جمالية الإبداع الخطابي

قراءة تداولية في خطاب
صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان
(نماذج مختارة)

الدكتورة عائشة جمعه الشامسي

مقدمة

الحمـد للـه الـذي أنعـم علينـا بالعلـم ورفـع مكانتنـا بالعلـم وعلمنـا مـالم نكـن نعلـم، وجعلنـا نـبصر بـه الطريـق، سـبحانه نسـأله أن يديمـه عليـا وننفـع بـه وننتفـع بـه.

إن المكانـة الاستراتيجيـة التـي تحظـى بهـا دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة ترجـع إلى مكانتهـا الاقتصاديـة والسياسـية، بالإضافـة إلى علاقاتها الدبلوماسـية مع كافـة القـوى الفاعلـة في منطقـة الشرق الأوسـط، تجعـل مـن الخطابات السياسـية الصـادرة عـن قيـادات الدولـة حاملـة لأبعـاد استراتيجيـة مفعمـة بالاستراتيجيـات الخطابيـة الإقناعيـة وغيرهـا، وهذا ما نحى بهذه الدراسـة نحـو البحث في مختلف الاستراتيجيـات الخطابيـة الكامنة في الخطابات السياسـية **لصاحب السـمو «الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان»**، تـم اختيـار بعـض الخطابـات لصاحـب السـمو والتي وقفنـا فيهـا على جوانـب مختلفـة عززتهـا هـذه الخطابـات، ومع تنـوع الخطابات التـي تمـت دراسـتها إلا أنـه تم التركيز على خطـاب صاحب السـمو **في حقبة كوفيد 19**، والتـي تعـد حقبـة حرجة بجميع ملابسـاتها، حيث كان لهـا أثرها على مختلف الـدول واستراتيجياتها السياسـية والاقتصادية والدبلوماسـية، وكان لدولة الإمارات دور كـبير وإيجـابي، وبذلـت مـن الجهـود الكـثير، مما جعـل دولـة الإمـارات دولـة يحتـذى بهـا، وهنـا **تكمـن قيمـة خطـاب صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايد آل نهيـان، فمـن جهـة هنالـك جوانـب وطنيـة وسياسـية واقتصاديـة ومـن جهـة أخـرى منـاحٍ جماهيريـة مرتبطة بتخطي الظـروف التي فرضتها الجائحـة العالمية** وهـذا مـا جعل خطاب صاحب السـمو متلبسـا بمختلـف الاستراتيجيـات الخطابية؛

والإقناعية منها على وجه الخصوص، إذ يتميز هذا النوع من الخطابات بالتركيز على طبيعة الجمهور، كونه مبحثًا مهما من مباحث التداولية والحجاج باصطلاح «شايم بيرلمان» فهو مبحث مهم في البلاغة الجديدة وهي: بلاغة الجمهور. يعد مصطلحا النص والخطاب من المصطلحات المركزية في منظومة النقد الأدبي المعاصر، غير أنّ مصطلح النص والذي يعني في أبسط دلالاته اللغوية عند العرب على وجه الخصوص؛ الوضوح والدلالة المباشرة، وهذا ما يستشف من قول امرئ القيس

وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليسَ بفاحشٍ *** إذا ماهي نصّتهُ ولا بمعطَّلِ

ويستفاد من قوله: «إذا ما هي نصّته» أنّها رفعت رأسها بشكل يجعل جيدها بارزًا ظاهرًا وهنا يستفاد من بيت امرئ القيس أنّ النص في معناه اللغوي يعني الوضوح والظهور، وهذا المعنى ذاته هو الذي انتقل إلى مباحث علم أصول الفقه، إذ يُعد الأصوليون أهم من ركز على مصطلح النص من بين كافة ميادين المعرفة التراثية، وقد ربط الأصوليون دلالة مفهوم النص دائما بالوضوح والمباشرة وانعدام الحاجة للتأويل؛ ولهذا جاء في إرشاد الفحول للشوكاني أنّ النصّ «ما كانت دلالته على العلّة ظاهرة».

غير أنّ -دلالات النص في معجم النقد الحديث والمعاصر- تحيل مباشرة إلى دلالات بنيوية، تجعل من مفهوم النص بنية لغوية مغلقة منفصلة عما يقع خارجا «بمعنى أنها معزولة عن السياق» ولربما كانت هذه الدلالات البنيوية للنص هي الخلفية الحقيقية الكامنة وراء تبني المفكر المصري «نصر حامد أبو زيد» لمقولة النص وقوله بأنّ الحضارة الإسلامية هي حضارة النص؛ أوقوله بأن النص القرآني هو النّص المركزي في هذه الحضارة، فمن جهة يبين

الحمـد للـه الـذي أنعـم علينـا بالعلـم ورفـع مكانتنـا بالعلـم وعلمنـا مـالم نكـن نعلـم، وجعلنـا نبـصر بـه الطريـق، سـبحانه نسـأله أن يديمـه عليـا وننفـع بـه وننتفـع بـه.

إن المكانـة الاسـتراتيجية التـي تحظـى بهـا دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة ترجـع إلى مكانتهـا الاقتصاديـة والسياسـية، بالإضافـة إلى علاقاتها الدبلوماسـية مع كافـة القـوى الفاعلـة في منطقـة الـشرق الأوسـط، تجعل مـن الخطابات السياسـية الصـادرة عـن قيـادات الدولـة حاملـة لأبعـاد اسـتراتيجية مفعمـة بالاسـتراتيجيات الخطابيـة الإقناعيـة وغيرهـا، وهذا ما نحى بهذه الدراسـة نحـو البحث في مختلف الاسـتراتيجيات الخطابية الكامنة في الخطابات السياسـية **لصاحب السـمو «الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان»**، تـم اختيـار بعـض الخطابـات لصاحـب السـمو والتي وقفنـا فيهـا عـلى جوانـب مختلفـة عززتها هـذه الخطابـات، ومع تنـوع الخطابات التـي تمـت دراسـتها إلا أنـه تم التركيز على خطـاب صاحب السـمو **في حقبة كوفيد 19**، والتـي تعـد حقبـة حرجة بجميع ملابسـاتها، حيث كان لهـا أثرها على مختلف الدول واسـتراتيجياتها السياسـية والاقتصادية والدبلوماسـية، وكان لدولة الإمارات دور كبـير وإيجـابي، وبذلـت مـن الجهـود الكثـير، مـما جعـل دولـة الإمـارات دولة يحتـذى بهـا، وهنـا **تكمـن قيمـة خطـاب صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايد آل نهيـان، فمـن جهـة هنالـك جوانـب وطنيـة وسياسـية واقتصاديـة ومـن جهـة أخـرى منـاحٍ جماهيريـة مرتبطة بتخطي الظـروف التي فرضتها الجائحـة العالمية،** وهـذا مـا جعل خطاب صاحب السـمو متلبسـا بمختلـف الاسـتراتيجيات الخطابية؛ والإقناعيـة منهـا عـلى وجـه الخصوص، إذ يتميز هـذا النوع من الخطابـات بالتركيز عـلى طبيعـة الجمهور، كونه مبحثًـا مهما من مباحث التداوليـة والحجاج باصطلاح

«شايم بيرلمان» فهو مبحث مهم في البلاغة الجديدة وهي: بلاغة الجمهور. يعد مصطلحا النص والخطاب من المصطلحات المركزية في منظومة النقد الأدبي المعاصر، غير أنّ مصطلح النص والذي يعني في أبسط دلالاته اللغوية عند العرب على وجه الخصوص؛ الوضوح والدلالة المباشرة، وهذا ما يستشف من قول امرئ القيس:

وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليسَ بفاحشٍ *** إذا ماهي نصّتهُ ولا بمعطَّلِ

ويستفاد من قوله: «إذا ما هي نصّته» أنّها رفعت رأسها بشكل يجعل جيدها بارزًا ظاهرًا وهنا يستفاد من بيت امرئ القيس أنّ النص في معناه اللغوي يعني الوضوح والظهور، وهذا المعنى ذاته هو الذي انتقل إلى مباحث علم أصول الفقه، إذ يُعد الأصوليون أهم من ركز على مصطلح النص من بين كافة ميادين المعرفة التراثية، وقد ربط الأصوليون دلالة مفهوم النص دائما بالوضوح والمباشرة وانعدام الحاجة للتأويل؛ ولهذا جاء في إرشاد الفحول للشوكاني أنّ النصّ «ما كانت دلالته على العلّة ظاهرة».

غير أنّ -دلالات النص في معجم النقد الحديث والمعاصر- تحيل مباشرة إلى دلالات بنيوية، تجعل من مفهوم النص بنية لغوية مغلقة منفصلة عما يقع خارجا «بمعنى أنها معزولة عن السياق» ولربما كانت هذه الدلالات البنيوية للنص هي الخلفية الحقيقية الكامنة وراء تبني المفكر المصري «نصر حامد أبو زيد» لمقولة النص وقوله بأنّ الحضارة الإسلامية هي حضارة النص؛ أوقوله بأن النص القرآني هو النّص المركزي في هذه الحضارة، فمن جهة يبين مركزية القرآن الكريم في التراث العربي الإسلامي، ومن جهة أخرى يضفي على دراساته للتراث الإسلامي مسحة بنيوية، فباستعماله لمفردة النّص للدلالة على

القـرآن الكريـم، يكـون قـد أضفـى على دراسـاته ومـن بدئها مسـحة بنيويـة، إذ لا شيء يقـع خـارج النـص بالمفهـوم البنيـوي، كما أنـه يعني فصـل اللغـة المتجليّة عن سـياقاتها الخـارج نصيّـة، والتـي تعني في هـذا المقام عند نصر حامـد أبو زيد مقولة «الوحـي» ومـا تحمله مـن دلالات متشـعبة.

إن مصطلـح «النـص» بـكل دلالاتـه قد ارتبط بالتيـار البنيوي الـذي انبنى على قاعـدة دراسـة اللغـة في ذاتها بمعـزل عن مختلف السـياقات، غير أنّ مفهـوم البنية والبنيويـة لم يلبـث أن تزعـزع وعلى يد رواد البنيوية أنفسـهم؛ والذين -وفي سـياق مـا يسـمى بأزمـة البنيويـة[1]- ثـاروا على انغـلاق البنيويـة وطابعهـا الأرثوذوكسي؛ وأعـادوا الاعتبـار لمقولـة السـياق ودورهـا في الأدب والتحليل النقـدي للأدب، غير أنّ مقولـة السـياق بالمنظـور مـا بعـد البنيـوي تختلـف عـن مفهومها التقليـدي، إذ أنهـا ترتبـط بشـكل مبـاشر بمقولـة القـارئ والقـراءة، فالسـياق في المنظـور ما بعد البنيـوي هـو سـياق القراءة، وهكـذا أصبحت مقولـة القراءة هي المقولـة المركزية في مختلـف تيـارات النقـد ما بعـد البنيوية.

ونتيجـة للتغـير المفاهيمـي الحاصـل في منظومـة النقـد الأدبي بالانتقـال مـن البنيويـة إلى مـا بعـد البنيويـة؛ وجـب حصـول تغيـير عـلى المنظومـة الاصطلاحيّـة، وهـذا مـا حصـل مـع مصطلـح النـص، إذ تحـول الاهتـمام في المنظومـة مـا بعـد البنيويـة إلى مقولـة الخطـاب.

وإذا كانـت مقولـة النـص تحمـل دلالات بنيوية كما أسـلفنا، وتعني في أبسـط صورهـا كل مـا يلفـظ باللغـة، فـإن الفـارق المفاهيمـي الفاصـل إنمـا يرتبـط بمنهج

1 يمكن في هذا السياق وللمزيد من التوسع العودة إلى كتب «بؤس البنيوية» لصاحبه «ليونارد جاكسون»

التحليل بالدرجة الأولى إذ يكون تحليل النص وفقا لعلاقات بنياته اللغوية بمعزل عن السياقات الخارجية، غير أنّ مفهوم الخطاب ينظر إليه من الزاوية التحليلية أنّه النص والسياق معا.

لقد ارتبطت مقولة **الخطاب** بتيارات النقد ما بعد البنيوية التي تسمى مجتمعة بمناهج تحليل الخطاب، وقد كان لمقولة الخطاب مكانة مركزية في أعمال كبار مفكري ما بعد البنيوية من أمثال «جاك دريدا» و «ميشيل فوكو»، غير أن أكثر توجهات النقد المعاصر احتفاءً بمقولة الخطاب هو التيار التداولي؛ الذي يولي اهتماما بالغًا بمختلف الجوانب السياقية المرتبطة بالخطاب، فالتحليل التداولي للخطاب يراعي كل أطراف دورة التخاطب دون استثناء بالإضافة إلى اشتغالها بالمقصدية؛ وما يسمى في الاصطلاح التداولي بأفعال الكلام وهي في أبسط أشكالها أثر الكلام على الواقع وعلى المتلقي.

إن التطور الذي حصل على المستوى المفاهيمي ينسحب بشكل تلقائي على مواضيع الاشتغال في إطار تحليل الخطاب بشتى أشكاله، ومن بينها التحليل التداولي، وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن أشكال عديدة للخطاب تختلف باختلاف السياق والمقصد، نذكر من بين أشكال الخطاب «الخطاب الصحفي» والذي له طابعه وحيثياته المرتبطة بطبيعة لغة الصحافة ومقاصدها، بالإضافة إلى الخطاب الديني الذي يمتاز كذلك بطبيعته الحساسة ومقاصده وجمهوره، غير أنّ أهم أشكال الخطاب التي تحظى بالاهتمام في سياق التحليل التداولي هو «الخطاب السياسي» نظرًا لطبيعة الممارسة السياسية في حد ذاته، فالسياسي مجبر على التعامل مع جماعات عديدة ومختلفة، مع عموم الشعب وأطيافه المختلفة كما أنه يقيم وزنا بالغا لتقنيات التأثير، كل هذه السياقات وأخرى

ينبغـي مراعاتهـا في الخطاب السـياسي، وهـذا ما يجعل منه وفي مسـتواه المقاصدي واسـتراتيجياته الإقناعيـة موضوعـاً خصبًا للتحليـل التداولي.

عمدنـا في هـذه الدراسـة إلى التوطئـة بمبحـث مفاهيمي ليكون بمثابـة الطاقة المرجعيـة التـي يسـتند عليهـا تحليلنـا لخطابـات **صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان**، بحيـث قدمنـا شروحـات مفاهيميـة متعلقـة بمنهـج التحليـل بالأسـاس، بحيـث قمنـا بتحديـد المفاهيـم النظريـة المتعلقـة بالخطـاب ومـا يجـره هـذا المفهـوم مـن اختلافـات في تحديد مفهومه، كونه مصطلحا واسـع الاسـتخدام، ومقولـة مركزيـة لـدى الكثير مـن المناهـج النقدية والتيـارات الفلسـفية، بالإضافة إلى المفاهيـم المتعلقـة بتحليـل الخطـاب، فـكل منهـج مـن مناهج تحليـل الخطاب يصـدر عـن خلفيـة معرفيـة وفلسـفية لهـا طبيعتهـا وخصوصيتها.

ثـم قصدنـا في الفصـل الثاني من هذه الدراسـة؛ إلى تقسـيم مسـتويات التحليل إلى مسـتويين الأول: يتعلـق بالاسـتراتيجيات الخطابيـة الخارجيـة ونقصـد بهـا الخلفيـة الفكريـة والثقافيـة التي يصدر عنها سـمو الشـيخ في إنشـاء خطاباته؛ هذه الخلفيـات ترتبـط بالمركزيـات الأخلاقيـة والقيـم العليـا التـي انبنَـت عليهـا دولـة الإمـارات، ومنهـا احـترام مواثيـق حقـوق الإنسـان وغيرهـا، أمـا الثـاني: فقمنـا فيه بالحديـث عـن الاسـتراتيجيات الخطابيـة الداخليـة مثـل الزمـان والمـكان والتأثـير والإقنـاع وهي اسـتراتيجيات تسـتوجب تحليـل البنية اللغوية للخطابـات، وهذا ما قمنـا بـه خـلال الجزء الثاني مـن الفصل الثـاني، محاولين بذلك إعطاء طابع شـمولي للدراسـة والإحاطـة قدرالإمـكان بمتضمنـات خطابات سـموه.

إن اللغـةَ ولا ريـب؛ وعـاءُ الفكـرِ، وهـي وسـيلة التواصـل الإنسـانية، وقـد تغايـرت الخطابـات بهـا بتنـوُّعَ ثقافـات أَصحابهـا وباختـلاف توّجهاتهـم الفكريَّـة.

ولـذا كان تحليـلَ الخطـاب ذا أُهميـة كـبرى في الثقافة الإنسـانية، فنجـد كثيراً مـن الخطابات بأشـكالها قد تناولهـا عددٌ من الباحثين بالدراسـة والتحليل، فصارت الخطابـات المؤثِّـرة في المُجتمـع محوَراً لكثير من الدراسـات اللغويّـة وغير اللغويَّة، ينطلـق منهـا الباحثون على تشـعب مشـاربهم، للكشـف عـن مضامينها وتشـكّلاتِها الأُسـلوبيَّة والفكريَّة.

وإن خطابـات السياسـيين ورؤسـاء الدول تعد إحدى هـذه الخطابات التي لها ارتبـاط وثيـق بالمجتمعـات، وأثر جلي على الشـعوب، وهي تُعتبر صـورةً من صور التفاعـل، إذ أنهـا تشـتمل عـلى كثير مـن القيم والمبـادئ، التي تكون جـزءًا جوهريا مـن همـوم وآمـال وتطلُّعات وثقافـة المجتمع، التي صيغـت في قالب لغوي.

وبنـاءً عـلى هـذه المرتكـزات الاسـتراتيجية؛ وغيرهـا قمنـا بدراسـة نمـاذج من خطابـات سـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان، رئيس دولـة الإمـارات العربية المتحـدة، دراسـةً تحليليَّـةً في ضوء اللسـانيَّات المُعـاصرة؛ وذلك لِما لدولـة الإمارات مـن دور محـوري في المنطقـة، ولِـما لتجربتهـا الإنسـانيَّة -اجتماعيَّـاً واقتصاديَّـاً وسياسـيَّاً وثقافيـا- مـن تفـوق وتميُّـزٍ وريـادةٍ، واعتمادا عـلى ما تشـتمل عليه هذه الخطابـات مـن منطلقات فكرية، وسـمات أُسـلوبية، وخصائص فنِّيـة، تجعلها مادَّة خامـا خصبـة للبحـث والدراسـة والتحليل.

وقـد حاولنـا في هـذه الدراسـة تلمُّـس مـا تتَّسـم بـه هـذه الخطابـات مـن سمات وخصائـص لغويـة -أُسـلوبية وحجاجيَّـة وتواصليَّـة وغيرهـا- وتحليـل بعض مضموناتهـا الفكريـة؛ ومكوِّناتهـا الدلاليـة ومكنوناتـه المعنويَّـة والثقافيَّـة، و تقصي مـا يتمتَّـع بـه صاحـب الخطـاب مـن عمـق فكـري، ومـن إمكانـات لغويَّـة بارعـة، وكيـف اسـتطاع توظيـف مـا تتميَّـز بـه اللغـة العربيـة مـن ثـراء معجمـي ونحوي

وبلاغـي للتواصـل مع المُتلقِّين، في نسـيج خطـابي مُحكم واعٍ، يتضمَّن أَفـكاراً ورؤىً وتشـوفات مُسـتقبليَّة.

وقـد وردت هـذه الحيثيـات البحثيـة أعـلاه في ثلاثـة فصـول لاحقـة، تـلي مـا سـبق عرضـه قبلا:

الفصـل الثالـث: تضمـن قضايـا فكريـة واجتماعيـة في خطابـات الشـيخ محمد بـن زايـد، وهـي: الأصالـة والمعـاصرة، والهويـة الوطنيـة، والمواطنة.

وتبعه فصلان كان منطلقهما الدراسات -اللغوية اللسانية، وهي:

الفصـل الرابـع: اشـتمل عـلى تعـداد وسـائل الإقنـاع في خطاب الشـيخ محمد بـن زايـد تلتـه دراسـة في ضـوء نظريـة الحجـاج؛ عنيـت بالترابط النـصي في خطاب الشـيخ محمد بـن زايد.

تـلى هـذا الفصـل فصـل خامـس درسـنا فيـه: أُسـلوبية الخطـاب عنـد الشـيخ محمـد بـن زايـد، كلمتـه في يـوم الشـهيد لعـام 2020 أنموذجـا.

ولسـوف يلاحـظ القـارئ في الفصـول التطبيقيـة بـأن هنـاك مـراودة تحليليـة مكـررة لعنـاصر بعينهـا. ولكن قيمـة هذا تتمثـل في أن كل مقاربـة للعنصر الواحد وفي كل مـرة إنمـا تحـاول معالجـة القضية البحثيـة وفق تفاصيل متغـيرة. حيث أن طبيعـة الدراسـات التـي تتنـاول المدونـات الكـبرى ترمـي دومـا إلى التنقيب لأكثر مـن مـرة وفي الحيثيـة الواحـدة نفسـها. وهـي تقنيـة تفكيكيـة للتأثير عـلى متلقي البحـث مهـما كان موقعـه منه..

أي أن هـذه الدراسـة وفي طرفهـا التطبيقي سـيتم تأويلها جماليا؛ لأنها تسـتند على أرضيـة نظريـة صلبـة أولا، ولأنهـا كذلك لا تعلن بقـدر ماتضمر جمالياته

وجماليات الخطاب الذي تقرأه،فهي دراسة قابلة لأن تُدرس، وهذا من أهم مقوماتها

وختاماً نقول: إن هذا ما بلَّغنا إليه جهدنا الذي لم ندخره منه شيئا، وإننا لا ندَّعي ولا ينبغي لنا أَنَّا قد استوفينا جميعَ ما في هذه الخطاباتِ من مضامين فكريَّة ودلاليَّة، ومن خصائص وسمات لغويَّة تعبيريَّة؛ لعلو قيمة المدونة المدروسة وثرائها إذ أنها صادرة عن شخصية سياسية ووطنية مرموقة؛ وكذا لصعوبة الإجراءات التي قاربنا بها هذه المدونات المثقلة ببلاغات القول وحجاجياته وجمالياته؛ لكنَّها خطوة لابد منها في درب البحث، ولعلَّها أن تكون فاتحة تشق بجرأتها البحثية مسارات لبحوث ودراسات أُخرى تكون مادَّتُها هذه الخطاباتُ.

وفي الأخير، نسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد، وأسأل الله العلي القدير الصدق في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والله ولي التوفيق

الخطاب

المفاهيم والسياقات، واستراتيجيات الإقناع

المبحث الأوّل

مفهوم الخطاب وأشكاله

أولا : مفهوم الخطاب:

تتعدد المفاهيم المصطلحية للمصطلح الواحد، «ورغم قدم استخدام مفردة الخطاب بمفاهيم مختلفة، سواء في الثقافة العربية أوالغربية إلا أنّ استخدامها بحمولتها الفكرية والنقدية المتداولة في مختلف الأعمال الفكرية والنقدية الحديثة والمعاصرة يرجع إلى زمن ليس ببعيد، نستطيع أن نربطه بدقة بظهور اللسانيات التي كانت بدورها سببا في ظهور منظومة مناهج نقدية ذات خلفية لسانية سويسرية»[1] وهي تقوم بالأساس على تحييد النصوص والخطابات وفصلها عن سياقاتها المختلفة، وهذا ما يسمى في المعجم النقدي المعاصر بمبدأ المحايثة البنيوية، والذي يقترب إلى حد بعيد من كونه محاولة لعلمنة الدراسة اللغوية والأدبية وتحليل الخطاب هذا ما أدى إلى بروز تيارات واتجاهات في النقد الأدبي تبنت فكرة المحايثة واقتنعت بضرورة علمنة النقد الأدبي نذكر منهما على سبيل المثال «مورفولوجيا الحكاية الشعبية للناقد الروسي فلاديمير بروب» و«السيميائيات السردية للناقد الفرنسي **آلجيرداس غريماس**».

لقد «كان النجاح الباهر الذي حققته اللسانيات في دراستها للغة الأثر البالغ في حقل الدراسات الأدبيّة والاجتماعيّة والانسانيّة بصفة عامة؛ فكان أن استفادت

1 نسبة إلى عالم اللغويات السويسري فيرديناند دي سوسير مؤسس اللسانيات الحديثة.

البحـوث الأدبيّـة مـن العديـد مـن الانجـازات التـي حصلـت عليهـا اللسـانيات»[1] وإنّنـا لـو سـلكنا غـمار تلك العلـوم الصادرة من وحـي اللغويات، لصرنـا على فوهة عميقـة ملقـاة في سـاحة السـياق التواصـلي آن الوقـوف عـلى منحاهـا، فإننـا نقـف عـلى سراديـب نصيـة، تحيلنـا مثـوى الخطـاب، إنهـا تفعـم المجـرى الكلامـي، مـن النقطـة (أ) إلى النقطـة (ب) عـلى متنـه مدلـولات مدركـة تناشـد أفـكارا، وتعـارك تأويـلات، وتقـوض وفـق مرسى تداولي إنشـائي لموضـع المعنى المخفـي، أوقد يكون ذاك الخطـاب كامـل الأوجـه بجميـع أبعـاده، والـذي لا يبلغ مسـتوى التأويل، ذلك الخطـاب الفاتـر غـير الملـح، هنا نكون في الخطـاب المباشر، حيث يكـون بين المتكلم والمسـتمع شـذرات خافتـة سـبق التصريـح بهـا، في حـين يشـغل الكلام غـير الموجه علنـا، أوبالأحـرى ذالـك الـذي تكـدس مدلولاتـه في موطـن الديناميكيـة المفتوحـة للفكـرة جـدلا، فـلا يُفـرج عنه غير السـياق الـذي يفهم مـن المتلقي، «**إن سـيرورة تأويـل الخطـاب ليسـت عمليـة عقليـة فقـط، بـل إنهـا تـراهن عـلى سيرورات اسـتدلالية وترتكـز بقـوة عـلى نظريـة الذهـن، وبخاصـة عـلـى قـدرة المسـتمع المتلقـي بإيجـاد فرضـيات مسـبقة تكـون مرجعيتهـا القصـدية الإخباريـة الشـاملة للمـتكلم والتحليـل نفسـه ينطبـق عـلى المحادثـة**»[2]، ذلـك أن إنتاج الـدلالات في هـذه الحالـة لا يطـرأ مـن صيغـة القـول مبـاشرة، بـل تشـغله البنيـة المضمـرة، التـي تلتقطهـا القـراءات العميقة، بموجـب التفكيك على حلبـة الخطاب، وهـذا مـا يدعـى بالخطـاب النقـدي، ومن زاويـة ثانية ينحـو الخطاب لعـدة أنواع وهـذا مـا تفرضـه طبيعـة التواصـل والإدراك بجنـس الحقـل المتواصـل بـه، لذالـك خصـص لـكل مقـال قـولي مقـام يناسـبه، عـلى حد قـول أحمـد المتـوكل في قوله إن

1 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الزمن السردي التبئير، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997، ص15

2 .de la communicationParisLe Seuil1998p. 113 ReboulA& MoeschlerJLa pragmatique aujourd'huiUne nouvelle science

« الخطاب يختلف في اللغات الطبيعية من حيث حجمه فيرد جملة أوسلسلة من الجمل أونصا متكاملا كما يختلف من حيث نمطه فيكون سردا أوخطابا أوحجاجا أوخطابا فنيا أوخطابا علميا[1]».

سنورد تعريفا ونبذة مفاهيمية، حول الخطاب والمستجدات التي طرأت عليه، في ظل الحقل النقدي، وكيف نستنطق مدلولاته على مدار الأصناف الأخرى، وما يتوازى ويتباين بينهم.

1. في مفهوم الخطاب:

رغم شيوع استخدام مفردة الخطاب في المعجم النقدي المعاصر إلا أن هذا لا يعني وضوح دلالتها بأي حال، فشيوع استعمال مفردة ما (خصوصًا إن كانت ذات طابع نقدي أوفلسفي) يزيد من غموضها كونها ستستعمل في سياقات متباينة وبخلفيات عديدة مما يجعلها ذات دلالات متشعبة، وهذا ما ينطبق تماما على مفردة الخطاب كونها ترد في سياقات عديدة فلسفية ونقدية، وحتى في المجال النقدي قد تستعمل بخلفية بنيوية أوشكلانية أوبخلفية ما بعد بنيوية وما بعد حداثية تكسب مفردة الخطاب دلالات متواشجة مرتبطة بالمفاهيم ما بعد الحداثية للغة والمعنى والوجود، ثم إن ما يزيد مفردة الخطاب انفلاتا في الإدلال في المعجم النقدي العربي المعاصر هو كونها مقابل للمصطلح الغربي **(Discours)** ولن نناقش في هذا السياق مدى سلامة الترجمة بل سنعمد إلى البحث في خلفيات اعتمادها هي بالذات، فعندما يختار المترجم العربي مفردة لتكون مقابلا لمصطلح غربي ما؛ فإن ما عليه مراعاته إلى جانب دلالات المصطلح في لغته الأم وفي سياقه الفكري والحضاري هو دلالات المفردة التي يتم

1 أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص14

اختيارهـا كمقابـل للمصطلـح الأجنبـي بالإضافـة إلى حمولاتها التاريخيـة والفكرية والحضاريـة، وبنـاءً عـلى هـذا كله وجـب تتبع المعنـى المعجمي للمفـردة ومن ثمة الذهـاب مذهـب البحـث عـن المعـاني الاصطلاحيـة في شـتى ميادين المعرفـة التي اسـتخدمت مفـردة الخطاب ضمـن ترسـانتها الاصطلاحية.

أ. الجذر اللغوي لمفردة الخطاب عند العرب:

ورد في لسـان العـرب لابـن منظور مـادة (خ ط ب) «**أن الخطـاب والمخاطبة مراجعـة الـكلام، وقـد خاطبـه بالـكلام مخاطبـة، وخطابًـا وهـما يتخاطبـان، والمخاطبـة صيغـة مبالغـة تفيـد الاشـتراك والمشـاركة في فعـل ذي شـأن**»[1].

وعنـد **الـكافي محمد الباشـا** الخطاب «**مصدر خاطب: وهـو المواجهة بالكلام، ويقابلهـا الجـواب؛ الرسـالة؛ والخطابـة مصـدر خطـب: عمـل الخطيـب وحرفتـه والخطـب مصـدر خطـب الحـلال والشـأن**»[2] قال: (**فـما خطبكم أيها المرسـلون)** سـورة الذاريـات الآيـة 31 «**يقـول إبراهيـم: لضيفـه فـما شـأنكم أيها المرسـلون**» الأمـر الشـديد يكـثر فيـه التخاطـب، وغلب اسـتعماله للأمـر العظيـم المكروه.

وقـال بعـض المفسريـن في قولـه تعـالى : (**وفصـل الخطـاب**)، الآيـة 20 مـن سـورة ص.

حدثنـا أبـو كُرَيـب قال: حدَّثنا هشـيم قـال: أخبرنا داود بن أبي هنـد قال: ثني الشـعبيّ قـال أوغيره عـن شريـح أنـه قـال في قولـه: «**وَفَصْـلَ الْخِطَـابِ**»، قـال بيِّنة المدَّعـي أو يمين المُدَّعـى عليـه، حدثنـي يعقـوب بـن إبراهيم قـال: حدَّثنا ابـن عُلَية

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة خ ط ب، دار صادر، بيروت، ط06، 2005، ص،ص 97، 98

2 محمد خليل الباشا، معجم عربي حديث: الباشا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،1992 ، ص 191.

عـن داود بـن أبي هنـد في قولـه: «**وَآتَيْنَـاهُ الْحِكْمَـةَ وَفَصْـلَ الْخِطَـابِ**» قـال: نُبِّئْت عـن شريـح أنـه قـال: شـاهدان أويمين حدثنـا ابـن عبـد الأعلى قـال: حدَّثنـا معتمر قـال: سـمعت داود قـال: بلغني أن شريحا قـال: «**وَفَصْلَ الخطاب**» الشـاهدان على المدعـي، واليـمين على مـن أنكـر، حدثنـا ابن بشـار قـال: حدَّثنـا عبد الرحمـن قال: حدَّثنـا سـفيان عـن منصـور، عـن طـاووس أنَّ شريحًـا قـال لرجـلٍ: إنَّ هـذا يعيـب عليّ مـا أُعْطِـيَ داوود الشـهود والأيمـان، حدثنـا ابـن المثنى قـال: حدَّثنـا محمد بن جعفـر قـال: حدَّثنـا شـعبة قال: الشـهود والأيمـان، حدثنـا عمـران بـن مـوسى قال: حدَّثنـا عبـد الـوارث قـال: حدَّثنـا داود عـن الشّـعبي في قولـه: **وَآتَيْنَـاهُ الْحِكْمَـةَ وَفَصْـلَ الخطـاب**» قـال: يمين أوْشَـاهِدٌ، حدثنـا بشر قـال: حدَّثنـا يزيـد قـال: حدَّثنـا سـعيد عـن قتـادة **وَفَصْـلَ الْخِطَـاب** البينـة على الطالب واليـمين على المطلوب هذا **فصـل الخطـاب**، وقـال آخـرون: بـل هـو قـولُ: أما بعـد ذكر من قـال ذلـك، حدثنا أبـو كُرَيـب قـال: حدَّثنـا جابر بـن نوح قـال: حدَّثنا إسماعيـل عن الشـعبي في قوله **وَفَصْـلَ الْخِطَـابِ** قـال: قـول الرجـل: أما بعـد: وأولى الأقـوال في ذلـك بالصواب أن يقـال: إن اللـه أخبر أنـه آتى داود صلـوات اللـه عليـه **فصـل الخطـاب** والفصل: هو القطـع والخطـاب هـو المخاطبة ومن قطع مخاطبـة الرجلُ الرجـلَ في حال احتكام أحـدهما إلى صاحبـه قطـع المحتكم إليـه الحكمَ بين المحتكم إليـه وخصمه؛ بصواب مـن الحكـم ومـن قطـع مخاطبته أيضًـا صاحبه إلـزام المخاطب في الحكـم ما يجب عليـه إن كان مدعيـا فإقامـة البينـة على دعـواه وإن كان مدعـى عليـه فتكليفـه اليـمين إن طلـب ذلـك خصمـه ومـن قطـع الخطـاب أيضـا الـذي هـو خطبـة عنـد انقضـاء قصـة وابتـداء في أخـرى، قـال هـو أن يحكم بالبينـة أو اليمين وقيـل معناه أن يفصـل بين الحـق والباطـل ويميـز بين الحكـم وضـده، «**وقيـل فصـل الخطـاب**

الفقـه في القضـاء[1]»، والفصـل بينـهما بأمَّـا بعد؛ فـإذا كان ذلك كلـه محتملا ظاهر الـخبر، ولم تكـن في هـذه الآيـة دلالـة على أي ذلـك المـراد ولا ورد بـه خبر عـن الرسـول صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَـلَّم ثابـت فالصواب أن يعم الخبر كما عمـه الله فيقال: أوتي داوود فصـل الخطـاب في القضـاء والمحـاورة والخطـب»[2].

ويـرى **الزمخـشري (ت 583) «أنَّـه يجـوز أن يـراد بمعنـى الخطـاب في الآيـة: القصـد الـذي ليـس فيـه اختصـار مخل ولا إشـباع ممـل»**[3].

وعـرف **الآمـدي** الخطـاب، تعريفـا بينيـا قائـلا : «**إنـه اللفـظ المتواضـع عليه، المقصـود بـه إفهـام مـن هو متهيء لفهمـه، أنَّه المنطلـق لمعرفة الأحـكام الشرعية اللغويـة**»[4] فحكـم الـدّال هـو الـذي يعـرض الاصطـلاح المتـداول مـن قبـل أهـل الجماعـة المتخصصـة في صناعـة المدلـول الـذي يراعـي مفاهيـم العقيـدة لغـرض تفسـيرها وتأويـل طياتهـا اللغويـة، «فاللفظ: احْـتِرَازٌ عَـمَّا وَقَعَـتِ الْمُوَاضَعَـةُ عَلَيْهِ مِـنَ الْحَـرَكَاتِ وَالْإِشَـارَاتِ الْمُفْهِمَـةِ[5]» «والمتواضـع عليـه: احْـتَرِازٌ عَـنِ الْأَلْفَـاظِ الْمُهْمَلَـةِ[6]» «والمقصـود بهـا الإفهـام: احْتَرِازٌ عَـماَّ وَرَدَ عَلَىَ الْحَـدِّ الْأَوَّلِ»[7]، وكذلك فعـل **الجوينـي** أيضـا: بقولـه «**إنّ الـكلام والخطـاب والتّكلـم والتّخاطـب والنّطق**

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب)، ص،ص، 355 ،359.

2 أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، 2001، ط1، ص254

3 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط3، 1407هـ ص125

4 علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج4، تحق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان ، ص95

5 ينظر: نفسه، ص95

6 ينظر: نفسه ص95

7 ينظر: نفسه، ص95

واحد في حقيقة اللّغة وهو ما به يصير الحيّ متكلما»[1]. فالكلام ماينطق به المخاطبُ بواسطة اللغة التي تحث على صيرورة التواصل الكامن بين أطراف المتكلمين فبهذا السبك اللساني يتوالد الخطاب.

ب- الجذر اللغوي لمفردة الخطاب عند الغرب:

أما عند الغرب فإننا نجد مصطلح Discours /ascus «المأخوذة من اللَّاتينيَّة Discours وتعود جذور مصطلح «الخطاب» بمفهومه الحديث إلى ثنائيَّة اللغة والكلام كما قدَّمها «فرديناند دي سوسير» أمَّا اللغة فمفهومها في الاصطلاح اللساني هي الخلفية أوالمخزون المرجعي الذي تستند عليه كل مجموعة إنسانيَّة تتكلم بلغة معيّنة، أمَّا الكلام فهو تصرف فردي في ذلك المخزون أوهو إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يُدعى المخاطب ومنه تولد مصطلح «الخطاب» يعّده رسالة لغوية يثبتها المتكلم إلى المتلقي فيستقبلها و يفك رموزها»[2].

وهو يعني «الركض هنا وهناك، فليس أصلا مباشرًا لما هو مصطلح عليه بالخطاب إلا أن الجذر اللغوي اللاتيني أصبح يعمل عمل معنى الخطاب، أوما اشتق منه من معاني منذ القرن السابع عشر فقد دّل المصطلح عن معنى طريق صدفي، ثم المحادثة والتواصل، كما دّل على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفهية أم مكتوبة عن فكرة ما[3]».

---

1 [2] الغزّالي، المستصفى عن علوم الأصول، ج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان بيروت، ط1، 1997، ص229

2 ينظر: ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي الدار العربية، المغرب، ط2 ، 1987، ص78

3 عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط2، 1999، ص598

2. الخطاب في التراث الغربي والعربي:

سبق وأن أشرنا إلى أنَّ مصطلح الخطاب هو مصطلح قديم، تم تداوله في مختلف الثقافات، إذ أنه موضوع بحث أوبالأخرى مفهوم متداول مع تداول اللغة، سواء من حيث الخطاب كونه ظاهرة بمعنى شكل من أشكال الممارسة اللغوية -كتابية كانت أوشفاهيَّة- أومن حيث كونه موضوع بحث أو دراسة، بوصفه مفهوما يحمل مفاهيم نقدية أوفلسفيَّة، فالخطاب في أصله هو ممارسة لغوية ومقولة نقدية فكرية؛ إذا نظرنا إليها بزاوية نقدية معاصرة بالأخص.

و»إنّ الجدل في مفهوم مصطلح «الخطاب» كان موضوع بحث لدى قدماء النحويين من غير العرب فهو بالنسبة للهنود بداية قد كان جردا سنويا يتم من خلاله تحديد موقع الفعل والاسم والملحقات والاستثناءات في حفريات اللغة»[1]، وفي زمن «الإغريق رأى أرسطو أّن التعبير والبيان يقومان على الأجزاء اللغوية الآتية : الحرف، المقطع اللفظي، الفعل، الاسم، وروابط النسق، والأداة»[2] ويعود الفضل بعد ذلك إلى **دونيس وتراكيس «اللذان ميزا بين الأجزاء الثمانية التي أعيد بعثها من قبل اليهود والعرب في القرون الوسطى، حيث تم اعتماد الأجزاء كلها باستثناء عنصرين من ترتيبات على الشكل الآتي: الأداة ، الضمير، الاسم، الفعل أو اسم** الفاعل أوالمفعول **الظرف، حرف الجر، والإسم الموصول»**[3]، وعرفت هذه الترتيبات وما لحق بها من مفاهيم؛ تغيرات

1 المرجع نفسه، ص599

2 ينظر: المرجع نفسه، ص601

3 إيميل بنفنيست، مسائل في اللسانيات العامة، نقلا عن سعيد هادف: مصطلحا السرد والخطاب مقاربة بين النظرية الغربية والنظرة اللغوية العربية القديمة، مجلة المبرز، فيفري 2002 ، ص،ص، 27، 29

كثيرة طرأت عليها؛ وألحقت بها عناصر فرعية متعددة تماشت وحركية اللغة وتطّورها في عهد مدرسة **بور رواي**ال وهو ما تعرض له **أرنولد ولسنولو** اللذان أشارا إلى التحول الذي أحدثته الدراسات النحوية والبلاغية على منطق اللغة الموروث منذ أرسطو فبالنسبة لمفهوم الفعل أصبح لا يقال بالمنطق الإغريقي»[1].

وبالمقابل فإنه قد «ساد تصور مفاده أّن الخطاب الذي استعمل فيه لفظ خطاب؛ لا يقصد الأشياء بذاتها بقدر ما هو حال الحكم عليه[2]» حيث أنه يحيل بذاته إلى ما ينجر عن فهم متعلق به، «فالخطاب لا يخضع لمنطق اليقين لكونه لا ينتهي إلى مبادئ عملية، ولا يرتكز على ثوابت تقضي إلى نتائج رياضية»[3] فهو متصل بخصوصية المستمع، والتي لا يمكن الكشف عنها غالبا.

هذا «وإن كان الغرض من البلاغة يكاد يكون متشابها في الثقافتين العربية والإغريقية، فهو في البلاغة العربية عرض الأفكار بأسلوب مقنع»[4] وهذا وجه يتعاضد «مع ما ذهب إليه أرسطو من أنها الكلام المقنع الذي يتم التصديق به في الخطابة بموافقة المقال للمقام»[5]، وهو المرتكز الأساسي الذي دلل عليه **بشر بن المعتمر** في رسالته البلاغية في «**أن يراعى المتكلم في حال تأديته الخطابَ، فهل هو في خشوع أولطف أووجد أوغير ذلك، ثم النظر في طريق استدراج السامعين؛ ولا يتم هذا إلا بالأقاويل الخلقية والانفعالية؛ التي تتعلق بطبائع**

1 ينظر: : إيميل بنفنيست، مسائل في اللسانيات العامة ، ص، ص، 27، 29

2 جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء المغرب، ط1 2009، ص26

3 ينظر: المرجع نفسه، ص26

4 الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999، ص 12

5 ينظر: الرمجع نفسه، ص12

النـاس، ومصالحهـم و عاداتهـم و تأثيرهم[1]».

بالنظـر إلى مـا ورد أعـلاه، فإنـه يمكننـا القـول «إن علـماء العـرب بمختلـف خلفياتهـم المعرفيَّـة، قـد أوْلـوا اهتمامـا بالغـا بمفـردة الخطـاب، وإن الناظـر في مدوناتهـم يلفهـا لم تسـتقر عـلى معنـى محـدد لـه، ويرجـع السـبب في ذلـك إلى طبيعـة توجهاتهـم الفكريـة مـن جهـة، وإلى ملابسـاب الحقبـة التـي تدارسـوا فيها الخطـاب مـن جهـة ثانيـة»[2] بالإضافـة إلى الهـدف الـذي يرمـون إليـه مـن خـلال دراسـة مثـل هـذه القضايا إذ غالبـاً ما تكون الخلفيـة الفعلية لعلـماء العربية ذات طابـع عقدي.

وقـد وجـب علينـا والحـال هـذه، تبيان موضـوع مهـم في سـياق الحديث عن مصطلـح الخطـاب وهـو ضروب انتقالـه مـن مجـرد مفـردة في المعجـم العـربي لها متعلقاتهـا المعجميـة التـي تحـدد دلالاتهـا واسـتخداماتها، إلى مصطلـح مؤثـث لـه سـياقاته الفكريـة والنقديـة التـي تتبايـن باختـلاف المفكريـن الذيـن اسـتخدموه، وبتغايـر الميادين المعرفيـة التـي يُسـتعمل فيها.

وقـد ميَّـز بعـض الباحثـين العـرب المعاصريـن بـين ثـلاث مراحـل في تطـور اسـتعمال مفـردة الخطـاب مـن كلمـة إلى مصطلـح:

أ. حقبة أحادية الدلالة[3]:

1 ينظـر: : الجاحـظ أبـو عـثمان عمـر وبـن بحـر، البيـان والتبييـن، تـح : المحامـي فـوزي عطـوي دار صعـب، بيـروت، ط1، 1968،، ص128

2 ينظـر: أحمـد المتـوكل، الخطـاب وخصائـص اللغـة العربيـة، دراسـة في الوظيفـة والبنيـة والنمـط، منشـورات الاخـتلاف الجزائـر ط1، 2010، ص 24

3 لورمـان فاركلـوف، تحليـل الخطـاب (التحليـل النصي في البحـث الاجتماعـي)، تـر: طلال وهبـة، المنظمـة العربيـة للترجمـة_ بيروت، ط 1، 2009، ص، ص، 235، 236

وهـي المرحلـة التـي تكون فيهـا للكلمة الدلالـة المعجمية الخالصـة، أي قبل أن تنـال ذلـك الاهتـمام ذي البعـد المعـرفي، غـير أنَّ جـل الشروحـات التـي وصلتنـا عـن هـذه المرحلـة في الاهتـمام بمفـردة الخطـاب كانـت في إطـار تفسـير القـرآن الكريـم، ومـن أمثلة ذلك ما جاء في تفسـير الكشـاف «**للزمخـشري**»، فحينما فسر- **فصـل الخطـاب**- قـال: «**البيِّن من الـكلام، المُلخص الـذي يتبناه من خطـاب يلتبس عليـه**[1]»، والظاهـر مـن هذا القول أن صاحبه يشـير إلى» قطبـي العملية التواصلية والرسـالة «[2] أمـا **النيسـابوري** « فتفسـيره يقـترب كثـيرا مـن تفسـير **الزمخـشري فـيرى أنـه** القـدرة عـلى ضبـط المعـاني والتعبـير عنهـا بأقـصى الغايات حيـت يكون كامـلا مكمـلا وفهـما مفهـما»[3] ومعظـم هـذا يحـوم حـول اقترابات مـن المصطلح مـن داخـل القـرآن الكريم.

ب- حقبة ثنائية الدلالة:

يمكـن القـول إن هـذه المرحلـة عرفـت نوعـا مـن التطـور في تحديـد مفهـوم الخطـاب، إذ حـدد وفقًـا لرؤية نحويـة -بلاغية، وإن هذا يمكن عده التشـكل الأول الـذي عرفـه مفهـوم الخطاب في التراث العربي؛ ويشير»**يوسـف كرمـاح**» إلى تحديد مفهـوم الخطـاب في هـذا السـياق إلى أنَّه اسـتخدم مرادفا للـكلام، ونحن نعرف أن الـكلام عنـد «**ابـن جنـي**» هـو « **كل لفـظ مسـتقيم بنفسـه، مفيـد لمعنـاه**[4]»، كما يسـتحضر تعريـف **الجرجـاني** الـذي يـرى أن الـكلام هو»**المعنـى المركب الـذي فيه**

1 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص251

2 ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة،، منشورات الاختلاف، الرباط المغرب،ط1، 2010، ص28

3 ينظر: المرجع نفسه، ص30

4 أبـو الفتـح عـثمان بـن جنـي المـوصلي، الخصائـص، ج2، بـاب في العـربي الفصيـح بنتقـل لسـانه، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، (د.ط) (د.ت)، ص452

الإسـناد التـام[1]» ثـم يخلـص إلى أن التعريفـان يتواشـجان مـع التعريـف اللسـاني الحديـث، بيـد أن تعريفـات العلـماء القدامـى مركزة عـلى اسـتعمالات الجملة، في حـين أنَّ نقـد **يوسـف كرمـاح** هنـا يتنـاسى أن قـصر الاهتـمام بالجملـة ليـس خاصا بالـتراث العـربي؛ فحتـى اللسـانيات الحديثـة اهتمت بالجملـة كونها منـاط الدلالة بالمعنـى النحـوي والبلاغـي، ولم يتـم تجـاوز حـدود الجملـة في الـدرس اللغـوي الحديـث إلا مـع ظهـور «لسـانيات النـص» والتـي انجـر عنهـا تحليـل الخطـاب بمختلـف تياراته.

ج- حقبة تعدد الدلالات:

وهـذه المرحلـة نقصـد بها التغـير الذي طرأ على اسـتعمالات مفـردة الخطاب في مختلـف المباحـث الفكريـة والنقديـة، وتعدد هذه المباحث راجـع إلى بروز علم الـكلام الـذي نشـأت في ظله أهم المباحـث الفكرية في الـتراث العربي.

في هـذه الحقبـة المهمـة يقـترب مفهـوم الخطـاب إلى المفهـوم الحديـث لـه، وفيهـا يجـدد جميـع عنـاصره: كالمخاطِـب والمخاطَـب والخطـاب، يقـول **الغـزّالي**: «**أن يخلـق اللـه تعـالى في السـامع علما ضروريـا بثلاثة أمور: بالمتكلم، وبما سـمعه مـن كلامـه، وبمـراده مـن الـكلام**»[2]، فهـذه ثلاثـة أمـور لابـد وأن تكـون معلومـة ويعقـب **البـاث** عـن هـذا الـكلام فيقـول: «**وهـذا يكشـف عـن وعيـه المتقـدم بأهميـة المتلقـي بالنسـبة للخطـاب وضرورة إشراكـه في عمليـة إنتـاج المعنـى**[3]» وفي كتـاب «الكليـات» يحـدد **الكفـوي مفهـوم** الخطاب فيقـول: «**الخطـاب؛ اللفظ**

1 علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات، (مادة كلام)، مكتبة لبنان، بيروت، 1978 ، ص254
2 الغزّالي، المستصفى عن علوم الأصول، ص230
3 ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة، ص32

المتواقع عليه؛ المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[1]» ويضيف متوسعا في الوضوح أكثر، إن الخطاب «**الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم**[2]»، **وهذا يولي أهمية بالغة إلى أن الخطاب موجه إلى فئة دون غيرها،** وخلاصة هذا أنّ أهم التطورات التي طرأت على مفهوم الخطاب هو التركيز على ما يسمى دورة التخاطب كما أوردها «رومان جاكوبسون»، التي تنبثق من عناصرها كل تيارات النقد الأدبي المعاصر.

3. الخطاب عند اللسانيين الغرب:

برز مصطلح الخطاب في «حقل الدراسات اللغوية في الغرب وتطور في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الدراسات ولاسيما بعد ظهور كتاب «فرديناند ديسوسور» محاضرات في اللسانيات العامة»[3] والذي تضمن المبادئ العامة والأساسية؛ وأهمها تفريقه بين الدال والمدلول واللغة كظاهرة اجتماعية والكلام كظاهرة فردية؛ وكذا بلورته لمفهوم النسق والذي تطور فيما بعد إلى بنية .

ويتحدد مفهوم الخطاب في المدرسة الفرنسية على أنه المقول منظورا إليه من زاوية الآليات الخطابية المتحكمة فيه والمكيفة له، **لأن النظرة إلى أنه نص من حيث كونه بناء لغويا يجعل منه مقولا، أما البحث في ظروف و شروط إنتاجه فتجعل منه خطابا.**

1 أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان، 1992، ص 455

2 نفسه، ص455

3 إبراهيم عبد الله، إشكالية المصطلح النقدي الخطاب والنص، مجلة الآفاق العربية، بغداد، السنة الثامنة عشر، آذار 1993

ويـرى **يبنفنيسـت** أن الخطـاب هـو «**كل مقـول يفترض متكلما ومسـتمعا**»[1] ، تكـون لـدى الأول نيـة التأثـير في الثـاني بصورة مـا، ويرى «**غريمـاس**» **أن الخطاب مجـال الإبـداع تتشـكل فيـه وبطريقة غـير ملحوظة سـياقات تعطي قيـما جديدة للغـة**»[2]، كـما ورد مصطلـح الخطـاب عنـد **هايمـز**»، إلا أن «مفهـوم الخطـاب قـد نالـه التعـدد والتنـوع وذلـك بتأثير الدراسـات التي أجراهـا عليه الباحثون حسـب الدراسـات اللغويـة الشـكلية والدراسـات التواصلية، فله مفهومـان هما[3]:

الأول: «**أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بإفهامه قصدا معينا**»

الآخـر: «**الشـكل اللغـوي الـذي يتجـاوز الجملـة**»[4] إلى النـص طبعـا، « وقـد وردت ثلاثـة تعاريـف للخطـاب تمثـل في مجملها التعدد والتبايـن الناجم عن تعدد مناهـج الدراسـات اللغوية «[5]

ويتجسـد المنهـج الشـكلي في **تعريـف الخطـاب الأول**: «**بوصفه بتلـك الوحدة الأكـبر مـن الجملـة فتتجـه عنايـة الباحـث بعنـاصر انسـجامه وترابطـه وتركيبـه ومعرفـة بعضهـا ببعـض**[6]» وذلـك عـلى مسـتوى بنيتـه المنجـزة؛ ثـم انتقلـت إلى عـرض **التعريـف الثـاني** الـذي يمثـل اتجاهـا آخـر هـو الاتجـاه الوظيفـي؛ وهـو

1 إيميل بنفنيست: مسائل في اللسانيات العامة، نقلا عن سعيد هادف، ص، ص، 27، 29

2 رشـيد بـن مالـك، قامـوس المصطلحـات السـيميائية للنصـوص عـربي انجليـزي فـرنسي، دار الحكمـة، الجزائـر، 2000، ص20

3 ينظـر: سـارة ميلـز، الخطـاب، تـر: عبـد الوهـاب علـوب، المركـز القومـي للترجمـة، القاهـرة، مصر، ط1، 2016، ص29

4 سارة ميلز، الخطاب، ص29

5 ينظـر: محمـد الاخضر الصبيحـي، مدخـل الى علـم النـص، منشـورات الاخـتلاف الجزائـرو نـاشرون بيروت لبنـان والـدار العربيـة للعلـوم، ط1، 2008، ص،ـ ص، 71، 76

6 نفسه، ص، ص، 71، 76

تعريف الخطاب **بوصفه استعمال اللغة، بما هو عند بعض الباحثين وذلك لا يتجاوز وصف الخطاب وصفا شكليا»**[1]، دون الاكتفاء بالوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب ببعضها البعض وتحليلها؛ والدعوة إلى ضرورة الاعتناء بدور عناصر السياق ومدى توظيفها في إنتاج الخطاب.

أما التعريف الثالث للخطاب بوصفه ملفوظا إذ يمثل هذا التعريف نقطة التقاطع بين المنهجين السابقين، أي بين البنية والوظيفة «[2] كما يعرفه **ميشال فوكو**: فهو «**النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها، وبنيتها المنطقية، أوتنظيمها البنائي**[3]» أي أنه يعني المجال العام لمجموعة المنطوقات، وأحيانا أخراة مجموعة متميزة من المنطوقات؛ وأحيانا ثالثة باعتباره ممارسة لها قواعدها التي تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات.

ويعرفه تودوروف: إنه «**أي منطوق أو فعل كلاميٌّ يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما**»[4].

أما **ديفيد كرستال** فقد ذكر أن الخطاب يرتبط بتحليل اللغة المنطوقة؛ بينما النص يرتبط بتحليل اللغة المكتوبة، ولكنه أكد بعد ذالك أن التحليل سواء أكان نصا أم خطابا فإنه يشمل كل الوحدات اللغوية المنطوقة أوالمكتوبة مع تحديد الوظيفة التواصلية[5].

1 نفسه، ص، ص، 71، 76

2 نفسه، ص، ص، 71، 76

3 ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ص 78

4 تيزفيتان تودوروف، النص ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر العياشي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1 2004، ص، ص، 109، 110

5 صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط9 ، 2000، ص25

كـما ابتكـر «**زاليـغ هاريـس**» مصطلح الخطـاب وعرفـه بقولـه: «**إنّ الخطاب منهـج في البحـث في أيمـا مـادة مشـكلة مـن عنـاصر متميـزة ومترابطـة في امتـداد طـولي سـواء أكانـت لغـة أم شـيئا شـبيها باللغـة ومشـتملا عـلى أكـثر مـن جملـة أوليـة، إنهـا بنيـة شـاملة تشـخص الخطـاب في جملتـه أو أجـزاء كبـيرة منـه**»[1].

أمـا **جـون دون دوبـو** فقد ركز على ثنائية **دوسوسـور** اللغة والـكلام، «**فاللغة مجموعـة القواعـد الموجـودة عنـد النـاس، أمّـا الكلام فهـو إنجاز فـردي** و**الملفوظ الـذي هـو جـزء مـن الـكلام**[2] «أي أن ‹الخطـاب هو ملفـوظ أكبر مـن الجملة، أي أنـه يتعـدى الجملة إلى فقـرة أومجموعة مـن الفقرات»[3].

إن «الخطـاب مـرادف للـكلام عنـد دوسوسـور إذا نظرنـا إليـه مـن الجانـب التلفظـي أوالتـداولي»[4]، ذلـك أن جـل اهتـمام دوسوسـور قـد كان عـلى المنطوق، «فمصطلـح الخطـاب هـو الـذي يسـتعمل بدلا مـن مصطلـح الملفوظ لأنه يسـمح لنـا بالتركيـز عـلى الطابـع الدّينامي للتلفـظ، والعلاقة التي يؤسسـها بين المشـاركين في التبـادل وتسـجيله في السـياق»[5].

أمـا «**مانغونـو**» فنجـده يضـع جملة مـن التحديدات لمصطلـح الخطاب، وهي

1 سـعيد يقـطين، تحليـل الخطـاب الـروائي : الزمـن السرد و التبـئير، المركـز الثقـافي العـربي، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط3 1997 ، ص17 ، نـقلا عـن زاليـغ هاريـس.

2 فرديناند دوسوسـور، محـاضرات في علـم اللسـان العـام، تـر: عبدالقـادر قنينـي، دار نشر إفريقيـا شرق، 2006، ص**23**

3 مـي محمـد ابراهيـم العتـوم، تحليـل الخطـاب في النقـد العـربي: دراسـة مقارنـة في النظريـة والمنهـج دراسةلاسـتكمال متطلبـات الحصـول على درجـة الدكتـوراه (مخطـوط)، مركـز ايـداع الرسـائل الجامعيـة، الجامعـة الأردنيـة، 2004، ص09

4 صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بني النظرية والتطبيق، ص25

5 نفسه، ص 25

مستنبطة من الدارسين والمنظرين اللسانين»[1].

ويعرفه «**هارتمان وستورك**» أنه «نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فردٍ يبلغ رسالة ما[2]» إذ يراه الفرنسي «**أوليفي روبول**»: شاملا عدة معاني:

- **المعنى الشّائع:** أن الخطاب مجموعة منسجمة من الجمل المنطوقة.
- **المعنى اللّساني المختزل:** أن الخطاب هو عبارة عن متوالية من الجمل المشكلة لرسالة.
- **المعنى اللّساني الموسع:** أن الخطاب هو عبارة عن مجموعة من الرسائل بين أطراف مختلفة تعرض طبائع لسانية مشتركة «[3].

ويعرفه «**بيير زيما**» أنه «وحدة أكبر من الجملة، تولد من لغة جمالية وتعبر بنيتها الدلالية كبنية عميقة جزءا من الشفرة[4]» «حيث أن تعدد الجمل في الخطاب يستلزم تأثيث لغة غير اعتيادية، مرمزة بدلالاتها «فالنّص بوابة تستعرض مقاصد المدلولات بواسطة الخطاب الذي يؤديه القارئ لحظة وقوفه على الشفرة، فالجملة قاصرة مع منوال القارئ الفعلي لمقتضى البنية، حيث بين الخطاب والنص علاقة قوية جدا» إذ أن أهم علاقة تقوم بين المتلقي والخطاب

1 ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة مصر2001 ط 1، ص22

2 محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، طبعة جديدة منقحة1991، ص200.

3 المرجع نفسه، ص200

4 ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي :النص السياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2010، ص22

هـي تلـك الشـفرة التـي يدعـي المسـتمع بمقتـضى اسـتيعابه لهـا تعقلـه للخطـاب «**فالخطـاب هـو مجموعـة مـن النصـوص ذات علاقـات مشـتركة؛ أي أنـه تتابـع مترابـط مـن صـور الاسـتعمال النصي الـذي يمكـن الرجوع إليـه**»[1].

أمـا «**رومـان جاكوبسـون**» فقد اهتـم ببيان عنـاصر العملية التّخاطبية السّـتة من : مرسـل ومرسـل إليه، رسـالة، وسـياق، وقناة، وسـنن.

ثم بين الوظيفة التي تنتج عن كل عنصر منها:

- المرسِل: ينتج عنه الوظيفة التعبيرية.
- المرسل إليه: ينتج عنه الوظيفة الإفهامية
- الرسالة: ينتج عنها الوظيفة الشعرية
- القناة: ينتج عنه الوظيفة الانتباهية
- السنن: ينتج عنها الوظيفة الما وراء لغوية
- السـياق: الـذي ينتـج عنـه الوظيفـة المرجعيـة[2] وهـي العنـاصر الخطابيـة الأشهر.

ثانيا : عناصر الخطاب:

ينتمـي الخطـاب بطبيعتـه إلى أطـراف، يفعِّلـون مجـرى البنيـة المفهومية، في سـبيل إنجـاح العمليـة التواصليـة، إذ تشـترط الوقـوف عـلى الحلقـة التالية:

1. **المرِسـل: وهـو** العنـصر الأول للخطـاب، وطرفـه الأسـاسي، والـذي بدونـه لا

1 روبرت دى بوجراند، النص والخطاب الإجراء، تر: تام حسان، عامل الكتب،ط 9، 2013، ص13

2 ينظـر: الطاهـر بومزيـر، التواصـل اللسـاني والشـعرية: مقاربـة تحليليـة لنظريـة رومـان جاكوبسـون، منشـورات الاخـتلاف الجزائـر، ط1 ، ص25

يكـون الخطـاب الـذي يتوجـه بـه إلى الطـرف الثـاني، لتكتمـل دائـرة العمليـة التخاطبّيـة بقصـد إفهامـه مقاصـده أوالتأثـير فيـه، و لذلـك فإنـه يختـار مـا يتناسـب مـع منزلتـه و منزلـة المرسـل إليـه، لمـا يراعيـه عنـد إعـداد خطابـه وفـق مـا يقتضيـه موقعـه»[1]، ويتوخى اختيـار ما يتناسـب مع السـياق العام، مـما يفـرض عليـه أطرا معينـة لابّد أن يسـتجيب لها «**فـإن كان هدفه الإقناع يختـار مـن الأدوات اللغويـة والآليـات الخطابيـة مما يبلغه مـراده، وإن كان هدفـه السـيطرة، فإنـه يعَمـد إلى الأدوات التي تكفل تحقيقهـا**»[2]، وتنعكس هـذه العوامـل بشـتى ضروبها في شـكل الخطـاب وآلياته وتصير عنـصرا فعالا في تحقيـق الخطـاب لآثـاره و نتائجـه.

2. **المرَسـل إليـه: «وهـو الطرف الثـاني للخطاب، وإليـه تتجه لغـة الخطاب التي تعـبر عـن مقاصـد المرِسـل، وعليـه فإنـه يمـارس بشـكل غـير مبـاشر دورا في توجيـه المرِسـل عنـد اختيار أدواتـه وصياغة خطابه، و ذلـك بحضوره العيني أوالذهنـي انطلاقـا مـن علاقاتـه السـابقة بالمرسـل»[3]، بالإضافـة إلى موقفـه منـه ومـن الموضوعـات التـي يتناولهـا الخطاب، كل ذلـك يترك أثـره بوصفه أ،ه الـذي يمـارس تفكيـك الخطـاب وتأويله لمعرفـة مقاصد المرسـل وأهداف الخطـاب التـي يرى أنـه يريـد تحقيقها.**

3. **السـياق: «وهـو الإطـار العام الذي يسـهم في ترجيـح أدوات بعينهـا واختيار آليـات مناسـبة لعمليـة الإفهـام والفهم بين طـرفي الخطاب، وذلـك من خلال**

1 ينظر: الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان ياكبسون، ص 24
2 نفسه، ص 25
3 نفسه، ص27

عـدد مـن العنـاصر، فمن عنـاصره العلاقة بين المتخاطبين سـواء كانت سـلبية أم إيجابيـة»[1] وهـي علاقـة مفصليـة دقيقـة لابـد مـن فهمها والتركيـز عليها لتفكيـك الخطـاب « فـإن انتفـاء جودهـا يُعُد توجيهـا للمرسـل في اختياراته، كـما أن الزمـان والمـكان اللذيـن يتلّفـظ فيهـما المرِسـل بخطابه مـن عناصره الهامـة، فـما يصلـح لزمان قد لا يصلح لآخر، وما يناسـب مكانا قد لا يناسـب مكانـا آخـر، فمعرفـة عنـاصر السـياق تسـهم في عمليـة التعبـير عـن المقاصد والاسـتدلال لإدراكهـا» وعليـه فـإن اختيـار الأدوات والآليـات اللغويـة يعّـد انعكاسـا للعنـاصر التـي تشـكل في مجموعها سـياقا معنيا يبرز مـن خلال لغة الخطـاب، و بمعرفتـه يمكـن تفكيـك هذه اللغـة للوصول إلى المعنـى المقصود والغـرض المراد.

4. **الرسالة: هي أهم عنصر في عملية التخاطب ويمكن أن تكون:**

- شفوية: ترد في سورة سمعية.
- مكتوبة: ترد على شكل رموز كتابية أو أحرف وعلامات خطية.
- إشارية: كلغة الصم و البكم وإشارات المرور.
- إيمائية: ايماءات وحركات بالكتفين والمنكبين وبأصابع اليد ولغة العيون.
- شمية: بالروائح بأنواعها[2].

5. **السـنن: « أطلـق عليـه الدارسـون مصطلحـات كثـيرة فهـو اللغـة عنـد دي سوسـير، والنظـام عنـد ليوي هيلمسـليف، والقـدرة عندتشومسـكي، ويتمثل السـنن في النظـام اللغـوي المشـترك بـين المرسـل والمرسـل إليـه، إذ لابـد أن**

1 الطاهر بومزير، التواصل اللساني، والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون، ص 27، 30
2 نفسه، ص31

يكـون مشـتركا حتـى تتـم عمليـة التواصـل»[1].

القنـاة: وهـي التوظيـف السـليم للسـنن أواللغـة أي لابـد مـن توفـر الممـر السـليم كي تحصـل العمليـة التواصليـة والمخطـط التـالي يوضـح العنـاصر السـابقة:

- **«السياق (مرجعية)**
- **القناة(انتباهية)**
- **الرسالة (شعرية)**
- **المرسل إليه (إفهامية)**
- **المرسل (تعبيرية)**
- السنن (ما وراء لغوية)»[2]

إن الخطـاب يرمـي إلى إعطاء وصف صريح للوحدات اللغوية تحت الدراسـة، وذلـك من خلال:

• النـص: يعنـى بنيـة الخطاب الداخليـة التي تتآلف منها المفـردات والتراكيب والجمل.

• السـياق: ويعنـى دراسـة الخطـاب في ضـوء الظـروف الخارجيـة والمؤثـرات المبـاشرة عليـه وظـروف إنتاجـه» [3] وهـما عنـصران يتعاضـدان لإنتـاج الفهـم.

ثالثا : أشكال الخطاب:

1. الخطاب الصحفي:

1 ينظر: الطاهر بومزير، التواصل اللساني، والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون، ص31

2 نفسه، ص33

3 ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص19

أ - مفهومه:

يفهـم الخطـاب الصحـافي بأنـه "مقـال وصفي أوتفسـيري أونقـدي، والمقصود بالوصـف عندمـا يصـف عنـصرا مـن عنـاصر الواقـع أوالحـدث»[1]، سـواء كان اجتماعيـا أم رياضيـا أم فنيـا» والمقصـود بالتفسـير عندمـا يتجاوز الوصـف إلى بيان أسـباب ونتائـج العنـصر أو الحـدث»[2] لمعرفـة الحيثيـات التـي تسـببت في انـدلاع المجـرى، «وقـد يكـون نقديـا عندمـا تكـون ذات المتكلـم أساسـية بحيـث تحـضر الـذات العارضـة للحـدث مـن وجهـة نظرهـا»[3]، وهنـا نقـف أمـام جـدل يتبنـى العديـد مـن المواقـف في سـبيل تعزيـز آفـاق المتلقـي للنهـوض هـو الأخـير بفكـرة موازيـة لسـبك النقـاش والخـروج بتركيبـة سلسـة انطلاقـا مـن الشـبكة الإعلاميـة التـي تسـعى في نقلـه بصـورة تمثـل المصداقيـة عقـب تلقيـه.

ثـم إن النـص الصحـافي حاصل لا محالـة عن تفاعل ثلاثة مجـالات، هي: اللغة، والتواصل، والمعرفة.

إن الخطـاب الإعلامـي إذن، وكـما حدده **أحمد العاقد** «**هو مجموع الأنشـطة الإعلاميـة التواصلية الجماهيرية التقاريـر الإخبارية الافتتاحيات، البرامج التلفزية، المـواد الإذاعيـة وغيرها مـن الخطابات النوعيـة»[4] التي تتحـرى الصياغة المختلفة عـن المالـوف التخاطبـي**» وتتنـوع الأشـكال التـي يتخذهـا الخطـاب الصحـافي فقد

1 باتريـك شـارودو ودومينيـك مانونـو وآخـرون، معجـم تحليـل الخطـاب، تـر: عبدالقـادر المهـري يصمـود، دار سـناتر المركـز الوطنـي للترجمـة، تونـس، (دط)، 2008، ص31

2 نفسه، ص31

3 نفسه، ص31

4 أحمـد العاقـد، تحليـل الخطـاب الصحـافي مـن اللغـة إلى السـلطة، دار الثقافـة، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط1، 2002، ص 11

يكـون تقريـرا إخباريـا، أوافتتاحيـة جريـدة، أو برنامجا تلفزيـا، أومـادة إذاعية، أو غيرها»[1] ولـكل وظيفته.

ب- وظيفة الخطاب الصحافي:

إن الغايـة الأولى للخطـاب الصحـافي هـي التواصـل، «**والتواصـل في مفهومـه العلمـي يعنـي التفاعل بـين ذوات تفعل فعل التواصل، ويسـعى الخطاب الصحافي إلى تحقيـق وظيفتـه التواصليـة عـبر تقنيـات أواسـتراتيجياته المسـتوحاة من علوم أخـرى كالبلاغـة، والخطابـة، وغيرها**»[2]...

ويمكن إيجاز هذه الإستراتيجيات في[3]:

• **إسـتراتيجية الإقنـاع** : وفيـه يركـز المخاطب على قضايا الخطـاب، محركا كل الأدوات الإقناعيـة لتعزيز الترابـط المنطقـي بـين المقدمـات والنتائـج، والإقنـاع في اللغـة العربيـة يعنـي خضـوع المُخَاطَب لـرأي المُخَاطِب.

• **إسـتراتيجية الإفحـام :** «وفيـه يركـز المخاطِـب عـلى أدوات الخطـاب، مـن خـلال طغيانـه عـلى ذات المخاطَـب، دون رضـا هـذا الأخـير، ويظهـر هـذا النـوع خاصـة في الخطابـات الإيديولوجيـة»[4].

• **إسـتراتيجية الاسـتمالة** : ومعناهـا الفوز بميل المخاطَـب، بحيث إن المخاطِب يسـتميل المخاطَـب عاطفيا فتتحقق وفـق ذلك الوظيفـة التأثيرية للخطاب.

1 ينظر: باتريك شارودو ودومينيك مانونووآخرون، معجم تحليل الخطاب، 2008 ، ص35

2 بـشير إبريـر، النـص الأدبي وتعـدد القـراءات، مجلـة فصليـة ثقافيـة، مؤسسـة عمان للصحافـة و الـنشر والإعلان، مسـقط سـلطنة عمان، ع11 يوليـو، 1997، ص54

3 ينظر:نفسه، ص54

4 ينظر: نفسه، ص54

2. أشكال الخطاب الإعلامي:

أ- النـص المكتـوب: وهـو نـص احـترازي ومضبـوط وفيـه «يتنـاول المتحـدث بالخطـاب المكتـوب الهدف من هـذا الخطاب، ويعالج فيه القضايا والمشـاكل بطريقـة منطقيـة، كـما يسـاعد المتحدث على عرض الأفكار الأساسـية بشـكل مرتـب ومنظـم، كما يسـاعده عـلى اختيار الكلـمات الدقيقـة والواضحة، كما يعتـبر مـن أنجـح أنـواع الخطابات وأفضلهـا»[1].

ب- الارتجـال بمفكـرة: «وهـو عدم اسـتخدام نص مكتوب بشـكل كامل، ويكتفى فيـه بوضـع مفكـرة تحتـوي عـلى عـدة نقـاط أو محـاور يريـد المتحـدث الحديـث عنهـا[2] «وهـو أن يرتجـل المتحدث في الخطاب دون الاسـتعانة بأي نـص مكتـوب أو مفكرة، حيـث يجب أن يكون المرتجل متحدثـاً جيداً، وملماً بـكل جوانـب الموضـوع الـذي سـيتحدث عنـه، ولديـه القـدرة عـلى ترتيـب الأفـكار وتنظيمها»[3].

ج- قواعد وأسس الخطاب الإعلامي[4]:

• **الوضوح:** على الخطاب أن يكون واضحاً لفظاً ومعنى، وذلك من حيث سهولة الكلمات والجمل والعبارات، ليسهل فهمها لدى المتلقي، ويتحقق ذلك بالتركيز على الأفكار والحقائق والمعلومات المهمة والأساسية التي يعرفها المتحدث.

• **الحيويـة:** وهـي اختيـار الكلـمات المشـوقة الجاذبـة البعيـدة عـن الجمـود، لجـذب المتلقـين للخطـاب.

1 ينظر: بشير إبربر، الصورة في الخطاب، ص35
2 نفسه، ص40
3 ينظر: نفسه، ص 41
4 ينظر: أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي، ص110

• **التنـوع:** وهـو تنـوع الجمل والفقـرات والعبارات، بحيـث تتضمن كل فقرة فكـرة جديدة، ومعلومـات جديدة.

• **الاختصـار:** وهـو الاختصـار غـير المخـل بالخطـاب، ويجعـل المتلقـي متابعـاً ومتعلقـا بالخطـاب مـن أفـكار ومعلومـات ومعـانٍ بسـهولة ويـسر.

د-عناصر الخطاب الإعلامي:

• **الأهميـة:** وهـي تنـاول القضايـا التـي تهـم الجماهـير، وتمـس احتياجاتهـم ورغباتهـم، ومتطلباتهـم عـن قـرب، والاسـتجابة لآمالهـم وتطلعاتهـم.

• **المعلومـات الجديـدة:** بحيـث أنه»مـن الـضروري أن يضـع المتحـدث في اعتبـاره بـأن الجمهـور يتوقع منه معلومـات جديدة، أو تصحيحـا لمعلومات قديمة لديـه»[1]، وينبغـي أن تكـون هاتـه المعلومـات مبنيـة عـلى الأدلة والبراهـين لإقناع الجمهـور بها.

• **تنـاول القضايـا المثـارة والسـاخنة في السـاحة:** « يكـون الخطـاب الإعلامـي أكـثر جاذبيـة وقبـولاً إذا ركز على القضايا السـاخنة في المجتمع، والمثارة في السـاحة بكل شـفافية ووضـوح»[2].

تنـاول الموضوعـات التـي تحتـاج إلى تفسـير وشرح: ذلـك أن هنـاك « العديد مـن الموضوعـات السياسـية والاجتماعية والاقتصادية التي تحتاج إلى شرح وتفسـير للمحتـوى والمضمـون مـن ورائهـا، لتسـهيل عمليـة فهمهـا، وذلـك لتكويـن آراء ووجهـات نظـر من حولهـا»[3].

1 بشير إبربر، استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع 23،2009، ص20

2 ينظر: نفسه، ص 22

3 ينظر: نفسه، ص 21

3. الخطاب الديني:

وهـو مـن أهـم الخطابـات الحجاجية، وقـد «برز الخطـاب الدينـي كجزء من المؤثـرات الوجدانيـة التـي تطهـر النفـس البشرية فهـو يمس التعاليـم الوعظية من جانبهـا الروحـي، مثـل الترهيـب والترغيـب والإرشـاد والتوجيـه، وقضايـا الإيمـان والعقيـدة والتوحيـد، مسـتعينًا الخطيـب في كل ذلـك بأحـداث واقعيـة وأدلّـة من الشريعـة، معتمـدا عـلى قضايـا جوهريـة مثـل بـر الوالديـن، والظلـم، وطاعـة ولي الأمـر والرشـوة، والنميمـة والكـذب، والحسـد، وغيرها»[1].

وإن أبـرز مايعتمـد عليـه الخطيـب في الخطـاب الدينـي «القـرآن الكريـم» حيـث أن «**الخطـاب القـرآني هـو خطـاب إلهـي، لم يسـتطع أحـد تسـميته إلا كما سـماه اللـه عـز وجـل في كتابـه الكريـم حيـث سـماه كتابـا متفـردا عـن غـيره من الخطابـات وفي كل مسـتوياته الصوتيـة، والمعجميـة، والتركيبية، أصواته منسـجمة متماسـكة، وألفاظـه واحـدة لا تقبـل التعـدد وتركيباتـه مطلقـة لا نهائيـة**»[2]، **بالإضافـة إلى أن** «خطابـه متفـرد ليـس كمثلـه شيء ورغـم ذلـك فقـد أخـذت عنه كل الخطابـات والأجنـاس»[3] وقـد بـيَّنَ اللـه تعـالى ذلـك في كتابـه فقـال: (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَـهُ وَقُرْآنَـهُ**) -سـورة القيامـة الآية17- أي ضـم بعضه إلى بعض، وقال سـبحانه وتعـالى في آيـة أخـرى: (**فَـإِذا قَـرَأتَ القُرآنَ**) سـورة النحل الآيـة 98 «**أي إذا رتّلت بعـض آياتـه في إثـر بعـض؛ حتـى تأتلـف وتجتمـع آياتـه بعضهـا إلى بعـض، وهـو**

1 ينظـر: خلـود العمـوش، الخطـاب القـرآني :الدراسـة العالقـة بين النـص والسـياق، جـدار للكتـاب العالمـي عمان الأردن، ط1، 2008، ص45

2 مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الانسانية، دمشق، ط2، 1998، ص 13

3 ينظر: نفسه، ص13

بذلك مماثل لمعنى الضمّ، والتأليف،»[1].

ولقد تحدى الله سبحانه بالقرآن، قال تعالى «**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**» الآية 23 سورة البقرة.

وإن أهم ما يميز الخطاب القرآني هو مرجعيته، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل والقرآن كلمة الله نزلت على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كلمته التي تحمل كل صفاته ولا نهاياته، وبقائه على خلاف الأنواع الأخرى من الخطابات التي تفرض بعض النظريات المعاصرة موت المرسل بمجرد الانتهاء من إجاز عمله وخروج عمله إلى المتلقين»[2].

إن الخطاب القرآني لا نهائي الدال والمدلول والتركيب، فهو «**خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص على مثال مرسله، وهناك مرجعية المدلول، ويكون النص فيها على مثال متلقيه وهناك آخر مرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالا ومدلولا، خالقا زمنه الخاص أي تحت تأثير مرجعيته الخاصة**»[3] فالخطاب القرآني لا يمكن بأي حال الإستغناء فيه عن مرجعيته، ومرسله، في حين أن القراءات الجمالية للنصوص الأدبية وغيرها تضطلع إلى تفجير حدود هاته النصوص بإقصاء مؤلفها، ليحل القارئ محله، بغية تمثيل دوره الفني والخطابي عموما، لإبراز الأنا المتحكم الأهم في إنتاج الدلالات الخارج نصية.

1 أكرم الدليمي، جمع القرآن- دراسة تحليلية لمروياته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص19

2 ينظر: أكرم الدليمي، جمع القرآن، ص20

3 خلود العموش، الخطاب القرآني الدراسة العالقة بين النص والسياق ، ص15

«إن دلالات القـرآن لا تترجـم وإنمـا تـشرح بـكل اللغات ولا يسـتطيع أحد أن ينقلـه إلى أي لسـان آخـر كـما ترجـم الإنجيـل إلى العربيـة مثـلا، وغيرهـا، حيـث لا يجـوز لقارئـه أن يقـرأه إلا بلفـظ دالـه وإن اختلفـوا في لغـات المدلـول، فالخطـاب القـرآني موجـه للنـاس كافـة في كل زمان ومـكان»[1].

وهنا نعرض لبيان الحجج المستنبطة من الآيات القرآنية:

الأول: خطـاب العـام والمـراد بـه العمـوم: قولـه تعـالى: **(اللـه الـذي خلقكم)** سـورة الـروم الآيـة 54 **(إن الله بكل شيء عليم)** سـورة المجادلـة الآية7 **(إن الله لا يظلـم النـاس شـيئا)** سـورة يونـس الآيـة44 **(ولا يظلم ربـك أحدا)** سـورة الكهف الآية 49.

الثـاني: خطـاب الخـاص والمـراد بـه الخصـوص: كقولـه تعـالى: **(أكفرتـم بعـد إيمانكـم)** سـورة آل عمـران الآيـة 106 **(ذق إنـك العزيـز الكريـم)** سـورة الدخان الآيـة49 **(يـا أيهـا الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليك مـن ربـك)** سـورة المائـدة الآية67.

الثالـث: خطـاب العـام والمـراد بـه الخصـوص: كقولـه تعـالى **(يـا أيهـا النـاس اتقـوا ربكـم)** سـورة النسـاء الآية1 وقولـه: **(وإذا قيـل لهم آمنو كما آمـن الناس)** سـورة البقـرة الآيـة 13 وقوله: **(إن الذيـن ينادونك مـن وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)** سورة الحجرات الآية 04 **الرابـع: خطـاب الجمـع بلفـظ بجمـع واحـد:** قولـه تعـالى: **(يا أيها الإنسـان ماغـرك بربك الكريـم)** سـورة الانفطار الآية 6 **(يـا أيهـا الإنسـان إنـك كادح إلى ربـك كدحـا فملاقيـه)** سـورة الانشـقاق الآية6 **(وحسـن أولئـك رفيقـا)** سـورة النسـاء الآية 69.

1 ينظر: نفسه، ص17

الخامس خطاب التنفير: كقوله تعالى: (**ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وأتقوا الله إن الله تواب رحيم)** سورة الحجرات الآية 12.

من هنا يمكننا القول إن القرآن الكريم قد حمل الكثير من الآيات الخطابية، التي بث من خلالها دلالات، تحسن تلقين المتلقي؛ مع تبيان التوجيهات المفاهيمية، في مصف كل مدلول ديني وما حمل من بيان سديد.

4. الخطاب السياسي:

إن السياسة عند العلماء المسلمين قد اكتسبت طابعا أخلاقيا خاصة لحظة تأثرهم بالقرآن وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم توصيف لهذا، قال صلى الله عليه وسلم (**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي**)[1] و»يفسر العلماء السياسة بأنها تولي أمر الرعية والقيام عليها بما يصلحها»[2] وهذا مقتضى تعريف علماء الدين لها «فالسياسة بمعناها العام عند علماء الشرع، قد ترقى لتطابق مفهوم الدين والشرع، أو على الأقل كل التعاليم والنظم الإسلامية التي تنظم علاقات الإنسان المسلم بغيره»[3]، ونظرا للموضع الحساس لوظيفة السياسة في تسيير الشعوب، فإنها تمثل مبدأ قيمي في بث العدل أثناء ممارسة السلطة بين الحاكم والرعية، فموضع العلاقة بينهما هو تموضع الواجبات مع

1 البخاري، الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1\ 1422هـ، 4\ 169 (رقم الحديث: 3455).

2 ينظر: القاضي عياض بن موسى السبتي، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، د ط. دت. ص، ص، 12، 231

3 ينظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض دط، 1426هـ، ص636

ركيزة الحقوق، لذا حرص الدين الإسلامي على السيرورة الحقة لهذه الوظيفة فهي مسؤولية متبوعة بأداء القسم، مما تثقل كاهل المتولي عل إشرافها خاصة في أزمنة الصحابة وفترة الخلافة فقد توارث فيما بينهم شمائل العدل أثناء مواكبة السلطة وتسليم زمام الرئاسة، فبعد اتساع دولة الإسلام في عهد العباسيين ودخول تنظيمات وضعية»[1]، ظهرت ثنائية الشرع والسياسة باعتبار الشرع أحكاما دينية والسياسة أحكاما وضعية، « **وصار يقال الشرع والسياسة، وهذا يدعو خصمه إلى الشرع وهذا يدعو إلى السياسة**[2]» فظهر بذالك مصطلح «**السياسة الشرعية**»[3].

وفي محاولة من العلماء لرد الأمور إلى نصابها وبيان المعنى الحقيقي لكلمة سياسة في الإسلام نجد ابن القيم751ه يفرق بين نوعين من السياسة « **سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة**»[4]

ويعتبر **المقريزي** 845ه «أن السياسة العادلة أصلها اللغوي عربي من السوس بمعنى الطبع، وأن السياسة الظالمة ليس أصلها كذالك وإنما مغولية أصلها «ياسه» فحرفها أهل مصر، وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة، وأدخلوا عليها الألف اللام فظنّ من لا علم عنده أنها كلمة عربية»[5] وهذا رأي يحتاج إلى تحقيق.

1 ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، ، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية، (د.ط)، 1995، ص20

2 نفسه، ص20

3 وقد ظهر عنوانا لبعض الكتب، مثل: (السياسة الشرعية) لابن تيمية 728ه و الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم 751ه.

4 ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، مكتبة دار البيان، دت. دط، ص04

5 ينظر: أحمد بن تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418، ص384

«ومنذ تلك الحقبة والسياسة لها موضعها الإجرائي الذي تضبطه برتوكولات نظامية لاسيما بمشورة ما تصبو إليه الحكومة والشعب سواء كانت ملكية وراثية أو ديمقراطية شعبية أوحتى ديكتاتورية عسكرية، فكل منها كلمة يلفها الخطاب بحركية القوة السياسية، فالخطاب السياسي هو إحدى الأجهزة الإستراتيجية الهامة في قطاع السلطة وكذا للأشخاص الذين يعملون في المجال السياسيّ من أجل مخاطبة بعضهم البعض، أومخاطبة أفراد الشعب»[1]، فلا مناص لأهل السياسة من مخاطبة بعضهم البعض ومن مخاطبة الجماهير، لأن الخطاب هو القناة الوحيدة لإنشاء علاقات واتصالات، كما يعرف الخطاب السياسي كذلك «**بأنّه الخطاب الذي يقرأه، أو يلقيه شخصٌ ما بصفتهِ الفردية، أو بالصفة الرسميّة التي يمثلها كأن يمثلَ حزباً ما، أووزارةً من الوزارات، أوالحكومة كاملة**[2]**»**.

ومن أهداف الخطاب السياسي، أنه «يراد منه نقل مجموعةٍ من الأفكار والمعلومات إلى الشعب عموماً، أو إلى فئة مخصصة، وعادةً يرتبط هذا النوع من الخطابات بوجودِ أحداثٍ معينةٍ تسبق إلقاء نص الخطاب، مثل: الانتخابات النيابية، أو البلدية، أوالخطابات المتخصّصة في توضيح التفاصيل المرتبطة باجتماعٍ معين، أو إعلانٍ عام كالإعلانات المرتبطة بالعُطلِ الرسميّة»[3] أوغير هذا.

ومن بين أهداف الخطاب السياسي كذلك، «أنه يساهم في توثيق الأخبار الواردة فيه، ومنحها شرعيّةً قانونيّةً تساعد في جعلها تتناسب مع الموضوع

1 ينظر: أحمد زلط، الخطاب الشعري الوطني والسياسي: اتجاهاته وروائع أعلامه ،هبه النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 200، ص20

2 نفسه، ص22

3 ينظر: أحمد زلط، الخطاب الشعري الوطني والسياسي، اتجاهاته وروائع أعلامه، ص22

الرئيـسي للخطـاب السـياسي، كـما يعمـل الخطـاب السـياسي غالبـاً عـلى منـح صفةٍ رسـمية لحقيقـةٍ مـا، أوالتعديـل عليهـا لجعلهـا قابلـةٍ للتطبيـق ضمـن النطـاق الرسـمي، والقانـوني[1].

أ - خصائص الخطاب السياسي:

يشتمل الخطاب السياسي على فروقات عديدة مخصصة في العديد من الزوايا التي يصدر منها برسميات تعكس على إثرها سمته البارزة في الميدان المذكور، فبديهي أن يتميز بخصائص نعد منها كتالي، أنه:

- يحتوي على العديد من التفاصيل حول الموضوع الرئيسي الخاص بالخطاب.
- يحافظ على الإشارة إلى الموضوعات العامّة، والتي ترتبط بالشأن العام»[2].
- **كما أنه « يساعد في الدفاع عن القرارات التي تصدرها جهةٌ ما، والتي قد تواجه نقداً من الأفراد المستهدفين بهذه القرارات[3]».**
- **«تعتمد صياغة نصّه على إستراتيجيّةٍ نظريّةٍ، وبعيدةٍ عن أيّ تفاصيل لا تدعم الهدف المباشر من الخطاب»**[4] فكل ما يصدر من الهيئة الحاكمة لابد أن تلتزم به السلطة التنفيذية التي تطبق ما ورد منها بصياغة واضحة مرفقة بتعليمة مدنية رسمية موجهة للشعب.
- **«ينبغي أن يتميّزَ بلغةٍ واضحةٍ، وملتزمةٍ بكافّة القواعد اللغوية والنحويّة،**

1 ينظـر: طـوني بينيـت وزملاؤه، مفاتيـح اصطلاحيـة جديـدة (معجـم مصطلحـات الثقافـة و المجتمـع)، تـر: سـعيد الغانيمـي، المنظمـة العربيـة للترجمـة، بيروت، ط1، 2010، ص412

2 ينظر: باتريك شارودو ودومينيك مانونو وآخرون،معجم تحليل الخطاب، ص31

3 نفسه، ص31

4 باتريك شارودو ودومينيك مانونو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ص33

والإملائية حتى يتمكّن من تحقيق التأثير المطلوب على الأفراد»[1] فعلاقة الحكامة والمواطنة هي ميلاد حضارة نموذجية تقتضي الشفافية وروح التواصل المصداقي بين السلطة والشعب؛ وهذا ينطوي على الخطاب الواضح بلغة سليمة؛ تعكس تمسك المقومات الاجتماعية مع ترويض المدلول الإيجابي ليبث الـتأثير الوجداني للمتلقي.

قد يعتمد كاتب الخطاب السياسي على تكرار العديد من الكلمات، والجُمل فيه من باب التأكيد على محتوى الخطاب، والتعزيز من دورهِ في تحقيق الهدف الخاصّ به سواء لقطاعات معينة أو عامة الشعب».[2] وهي سمة بالغة الأهمية كثيرا ما نجدها قيمة مهيمنة في خطابات خطباء مهمين.

ب- أشكال الخطاب السياسي:

يتوزع الخطاب السياسي حسب السياق الذي ينطوي عليه بفعل الحركة السياسية التي تنشط فالأعضاء المنتمون لكل فرع لهم خصوصيات تميزهم عن الأخرى، خادمة لمركز معين فقد نجد العديد من الإطارات لها فروع مغايرة، رغم الوتيرة السياسية المشتركة، وتبقى لكل منها انشغالات توظفها لهذا الغرض، ومن أهم أشكال الخطاب السياسي نجد:

• **الخطاب السياسي الرّسمي:** «هو الخطاب الذي يرتبطُ بالموضوعات الرسمية الخاصة بمؤسسات الدولة، كالوزارات، والمديريّات العامة، وغيرها من المؤسسات الرسمية الأخرى، ويقتصر هذا الخطاب على موضوعٍ واحدٍ، ويحتوي على تفاصيلٍ مباشرةٍ»[3].

1 نفسه، ص33
2 ينظر: نفسه، ص39
3 ينظر: أحمد زلط، الخطاب الشعري الوطني والسياسي، ص25

• **الخطاب السياسي الواقعي:** «هو الخطاب السياسي الذي يساهم في توضيح قضيةٍ، أومسألةٍ واقعيةٍ وأحداثها ما زالت موجودة في لحظةِ قراءةِ، أونشر الخطاب السياسي، ومن الأمثل على الخطابات السياسية الواقعية: الخطابات التي تتحدّث عن إعلان نتائج الانتخابات البرلمانيّة.»[1]

• **الخطـاب السـياسي المـدني:** و»هـو الخطـاب السـياسي الموجـه إلى عامـة النـاس، والهـدف منـه مخاطبـة أفـراد المجتمـع، وسـماع آرائهـم، ومطالبهـم، ومحاولـة إيجـاد الوسـائل، والطـرق التـي تسـاهم في تقديـم المسـاعدة لهـم، وعـادةً يسـتخدم هـذا النـوع مـن الخطابـات مـن قبـل المسـؤولين كرؤسـاء البلديـات، والمحافظـين[2]» ويسـتند الخطـاب إلى بنـاء اسـتراتيجيات مرفقـة بوعـود تنمويـة يسـتفيد منهـا المواطـن تـأتي عـلى شـكل مشـاريع شـكلية تـذاع مسـبقا عـلى النـاس إلى حـين الاشـتغال عليهـا، ومعالجـة النقائـص الاجتماعيـة ليتلقـى الطـرف المـدني تسـوية حقـه المـشروع. -**الخطـاب الانتخـابي**: «وهـو فـرع مـن فـروع الخطـاب السـياسي، يسـتخدمه السـياسي المترشـح لمنصـب مـا وهـو خطـاب مكتـوب، ويسـتخدم في الحمـلات الانتخابيـة التـي تُجـبر المرشـحين عـلى مخاطبـة النـاس عـدة مـرات يوميًـا أوأسـبوعيّا وقـت ظهورهـم عـلى الملأ[3]»، وهـو خطـاب سـياسي ذو خصوصيـات «يحظـى مضمـون عرضـه عـلى تسـويف لحـل الأزمـات المدنيـة، وكـذا إقنـاع المواطـن بـضرورة الولـوج لمراكـز الاقـتراع لغـرض إيـداع التصويـت، كـما يتـولى

1 ينظر: نفسه، ص25
2 نفسه،. ص25
3 نفسه، ص27

تكويـن الظـروف المسـاعدة لنجاحهـا كتوفـير الأمـن وإرفـاق الصحافـة لتغطيـة الحـدث، وأهميـة هـذا الخطـاب تكمـن في حفـاظ المرشـحين عـلى رسـالتهم وتركيزهـم عليهـا، وتقديـم بعـض الحجـج باسـتمرار، أوالإشـارة إلى جوانـب معينـة مـن منبرهـم السـياسي؛ غالبًـا مـا يسـتخدم المرشـحون الأحـداث الكـبرى لكشـف النقـاب عـن خطـاب سـياسي جديـد أومعـدل بشـكل كبـير»[1].

5. الخطاب العلمي:

وهو خطاب يتسم بخصوصياته «ويعد العلمي أحد الأنواع الرئيسية للخطاب عموما، وهذا النوع نجده يخلو من الإيحاء وتراكم الدلالة، كما يغلب عليه أسلوب الإخبار، ويخلو من التكرار والترادف، كما أن مصطلحاته دقيقة؛ وهي تستخدم فقط في الحقل العلمي الذي يتم الحديث فيه»[2].

ذلك أن مجال العلوم ومنطلقها الطبيعي هو المخبر يمثله المخبر لنقل المعلومة بمقدار حسي تقابلها التجربة الدقيقة، وفق عملية إجرائية مرفقة بآليات مقننة غير قابلة لتأويل كونها تحمل مفاهيم حسية؛ تتبعها أحكام ثابتة بين المتكلم الذي يعرض الظاهرة العلمية وبين المتلقي ليأتي بتفسير منطقي ديناميكي لها.

إن الخطاب العلمي هو»طريقة للتعبير تُستخدم لتوصيل المعلومات العلمية، خاصة في اللغة التقنية فهي تتناول النصوص المتعلقة بالنظريات والتجارب والأبحاث التي تحظى بالموافقة»[3].

1 ينظر: أحمد زلط، الخطاب الشعري الوطني والسياسي، اتجاهاته وروائع أعلامه، ص26

2 ينظـر: نـعمان بوقـرة، المصطلحـات الأساسـية في لسـانيات النـص وتحليـل الخطـاب : دراسـة معجميـة، عـالم الكتـاب الحديـث، جـدارا للكتـاب العالمـي، الأردن، ط1، 2009، ص، ص، 38، 39

3 لاميـة بـوداوود، تحليـل الخطـاب المينـي روائي في الجزائـر روايـة (أوشـام بربريـة) لجميلـة زنيـر أنموذجـا، مذكـرة

فالنص العلمي يحمل عضوية لغوية مباشرة تواكب الأبحاث التي تطرق لها الباحث بموجب ما تقتضيه البنية التجريبية للمفاهيم المنهجية.

وتجمل أنواع الخطاب العلمي في «إعلامي وتعليمي وتثقيفي، وكل منهم مرتبط بنوع الجمهور الذي يستقبله، سواء كان متخصصًا أم لا»[1].

خصائص الخطاب العلمي:

- **الموضوعية:**

«إن استخدام الخطاب العلمي كمورد لنقل المعلومات يعني الموضوعية»[2]، بحيث ينبغي أن تستند نتيجة التحقيق إلى أرقام ملموسة يمكن التحقق منها، وكذلك إلى منهجيات تجعل هدف التحقيق موثوقًا به»[3].

فهي ترمي إلى الوصول إلى استنتاج خالص مجرد من الذاتية لا يرمي لموقف انطباعي بقدر ما يلتحق بحكم استقرائي محض تحت ركيزة عقلية مصانة بالتجربة القطعية التي تدعم الجواب ببرهان ثابت.

- **الوضوح:**

وهو سمة بارزة أخرى للخطاب العلمي، « **فيجدر أن تسود الدقة بحيث لا يكون هناك ارتباك في الأساليب**»[4] فيكون كل التباس أوغموض ضراب لمصداقية الخطاب، فلا بد من أن «يفهم المتلقي النتائج بسهولة فالوضوح يعني

ماجستير (مخطوط)، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د.ت، ص 38

1 ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 61

2 نفسه،ص،ص، 77، 78

3 ينظر: نفسه، ص، ص، 77، 78

4 نفسه، ص، ص، 80، 81

أن يتـم تقديـم الأفـكار بشـكل منظم وهرمـي»[1].

- **الرسومات:**

وهـي قيمـة تكميليـة وتوضيحيـة مهمـة في الخطـاب العلمين «ففـي الخطاب العلمـي، يعـد اسـتخدام الرسـومات والرسـوم البيانيـة، أمـرًا شـائعًا لاسـتكمال المعلومـات التـي تـم جمعهـا أثنـاء التحقيـق[2]».

حيـث تعتـبر أحـد المـؤشرات الرياضية، التي توحي بنسـبة معينـة لظاهرة ما، فالصـورة عمـل إجـرائي يعكـس حركـة المنظومـة العلميـة، وسِـجل يعـرض ما طرأ مـن تغـيرات، أوثوابـت للعديد مـن التّمظهرات.

- **التحليل والنظامية:**

إن الخطـاب العلمـي «يتطـور بالتحليـل والمنهجيـة أي بالعنـاصر التـي هـي موضـوع الدراسـة في علـم معـين معروفـة بمـا يتجـاوز الملاحظـة البسـيطة»[3] فالتحيـلي المنهجـي يتعـدى مسـتوى الملاحظـة التـي تنطلـق مـن الإدراك المحـض، « فالتحليـل هـو عمـق الممارسـة الخطابيـة، التـي يؤديهـا الباحـث في تحرير وجهة نظـره إزاء تلـك الظاهـرة، وفـق مسـار علمـي وقاعـدة تضبـط لـه بنـاء ممنهجـا للغايـة التـي يسـعى لهـا، وفيـما يتعلـق بــ «المنهجيـة»، فقـد سـميت بذلـك لأنهـا مرتبطـة بــ «النظـام»، فالهـدف مـن هـذا الجانب هو إثبـات أن الحقيقـة العلمية

1 ينظر: نفسه، ص81

2 نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ــ دراسة معجمية، ص56

3 أحمـد المتـوكل، الخطـاب الوسـط : مقارنـة وظيفيـة موحـدة لتحليـل النصـوص والترجمـة وتعليـم اللغـات، دار الأمـان، الربـاط ط3، 2011، ص87

حقيقيـة مـن خـلال كيفية تفاعـل المكونات التي تنشـأ عنها الظاهـرة المذكورة»[1].

• **وفرة المعلومات وغناها:**

نظـرا لـثروة الزاد الببليوغرافي، فإن الباحث العلمي يسـعى إلى تنمية دراسـته، انطلاقـا مـن جمعـه للـمادة ولملمـة كل المسـتحقات المفاهيميـة، منهـا والتعليميـة والأدبيـة والدراسـية بشـتى آفاقهـا فهـي إحـدى المنشـطات الخطابيـة التـي تدعم مسـتحقات المباحـث العلميـة، وتكثف نشـاط الموقـع الأكاديمي للأجيـال الاحقة.

6. الخطاب الوعظي:

إن للخطـاب العلمـي جمهـورا خاصـا، لذلـك فهو»يسـتخدم نصوصًـا تعليميـة لمشـاركة المعرفـة عن طريـق التدريس»[2] فالخطاب العلمـي وبالإضافة إلى ضرورة توفـر شروطـه المتعلقـة بجوهـره الموضوعـي، فهو في حاجـة إلى طرق لبثـه «لذلك فالمتلقـي يتلقـن مـن المواقف وكـذا يتأثر من الحـس الفكري؛ خاصة الفئة الناشـئة مـن المتعلمـين أوالمبتدئـين في مشـاهدة المقابـلات وكـذا الـدور الفعال التـي يلعبه حضـور الحصـص ، يـأتي المحتـوى مـن مُصـدر متخصـص في علـم معـين ويسـتهدف جمهـورًا متلقيًـا لديـه فهـما للموضـوع الـذي تـم تطويـره»[3] وهـذا يعنـي أن الجمهـور المتلقـي للخطـاب العلمي، هـو جمهور ذو خصوصيـات تختلف باختلاف المؤثـرات والظـروف، ولهـذا وجـب وضـع الخطـاب العلمـي في حمـولات وعظيـة خاصـة بنمـط وطبيعـة المتلقي.

1 ينظر: نفسه، ص87

2 نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ــ دراسة معجمية، ص80

3 ينظر: نفسه، ص80

7. الخطاب الوطني:

يستند الخطاب الوطني على ركائز هامة، تشمل مقومات الهوية إذ يهتم رواده في بث المصداقية، وكذا عرضهم للوقائع الحاصلة، من شن استعماري أومعارضة نظامية، في محاولة معالجة ما طرأ، فيقوم رواد هذا الخطاب بتخصيص منافذ دلالية لطرح قضيتهم والإيداع بفكرتهم داخل نسق موصد محكم برموز- فقط استراتيجية التأويل من يمكنها تحليله- ومن جهة أخرى يقف الناقد معارضا لما حل، ليجد نفسه أمام جدال حاد بين الفئة غير المرغوب، ليطرح فيه موقفه فيركن غائية الفكرة في جعبة الشفرات النسقية، مركزا على جانب التأثير، باعثا سبل الوعي بغية الانقلاب سعيا لتحقيق واقع أفضل.

«إن صيحات التحرر ونمو الوعي الوطني والقومي في نفوس العرب إزاء مناهضة المستعمرين؛ شكَّل قاعدة انطلاق عربية صميمة واجهت المستعمرين مواجهة مستمرة حتى أجبرتهم على الجلاء، وبذلك تحقق الاستقلال الوطني في معظم الدول العربية «[1] كل هذا بدافع من الوعي الخطابي العربي» إذ يعتبر الخطاب الوطني أحد الأجهزة النضالية التي تدعم موجة الكفاح؛ ففي ذاتها حس انتمائي محض للوطنية، يسعى إلى مقاومة المحتل وفضح أساليب طغيانه وعدوانه»[2] حيث أن ذلك كان نتاج خبرة ووعي الشعوب.

رابعا: الفرق بين الخطاب الوطني والسياسي:

إن الوطنية إحساس فطري بحب الوطن وبمسرح أحداثه، وإنه إحساس

1 ينظر : أحمد زلط، الخطاب الشعري الوطني والسياسي، اتجاهاته وروائع أعلامه، ص09

2 ينظر: نفسه، ص09

غريـزي نشـأ في نفـوس أبنـاء لغـة الضـاد، فالخطـاب الوطنـي ينصـب على الوطنيـة بـكل متعلقاتهـا، فهـو خطـاب لا يجامـل على حسـاب الوطـن، بـل يثبـت وطنيتـه وانـتماءه.

فالخطـاب الوطنـي لم يكـن يومـا خطابـا هجوميـا، بل هو خطـاب ينطلق من ثوابـت لاتتـغير كحـب الوطـن، والانـتماء لـه، ومـن الهويـة الوطنيـة التـي نتعامـل وفـق متطلباتها.

ومـا أشـبه هذا الخطـاب الوطنـي بخطابات قادتنـا في دولة الإمـارات العربية المتحـدة ، حيـث أنهـا خطابات وطنية من الدرجة الأولى، فخطابات سـيدي صاحب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيان –مـثلا- في جائحـة كورونا هـي خطابات وطنيـة، لأنهـا تنطلـق مـن حرص سـموه على الإمارات وشـعب الإمـارات، يريد أن يطمئنهـم، ويأكـد لهـم بأن القيادة تعمـل كل جهدها لتجاوز هـذه الأزمة دون أي قلـق يمكـن أن يصيـب المواطن والمقيـم على أرض الإمارات.

هكـذا هـو الخطـاب الوطنـي، بيـنما نجـد الخطـاب السـياسي: «يتميـز بأنـه خطـاب يقـوم على عمليـة الإقنـاع للجهة الموجه لهـا الخطاب، بالإضافـة إلى تلقي القبـول والاقتنـاع بمصداقيتـه[1]»، وهـذا مـن خلال العديـد مـن الوسـائل والطرق المدعمـة بالحجـج والبراهين، وجـب أن يوظـف الخطـاب السـياسي التحـدّث عـن نظـام الحكـم السـائد في دولـةٍ مـا ؛**لذا** « فـإن ماهية الخطـاب في النهايـة هي تعبير فكـري وفنـي حتمي...، وإن سـلطة الخطاب الشـعري الوطني أوالسـياسي ليسـت سـلطة كلاميـة انفعاليـة؛ أوظاهـرة حماسـية، إنـه تغنـي بالوطن ورمـوزه كما هو

1 : نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص،ص، 38، 39

مقاومـة للطغـاة والغـزاة»[1] فالخطـاب يتجـاوز كونـه مجـرد كلام ينتهـي مفعولـه بمجـرد التلفظ بـه، إنه قوة مؤثرة تظهر بكل أبعادهـا في أفعال وتصرفات واقعية

1 ينظر: في قضايا الشعر المعاصر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص،ص، 34، 35

المبحث الثاني

سياقات الخطاب، أبعاده التداولية واستراتيجيات الإقناع

أولا: سياقات الخطاب:

تعد التداوليـة صنفـا مـن البحـوث التـي تفحـص اللغـة والـكلام مـن الناحية الصوتيـة والدلاليـة والتركيبيـة، بـل تتعـدى إلى محاولـة دراسـة السـلوك اللغـوي ضمـن نظريـة الفعـل « فهـي إذن تقـترب مـن النص بالـشروط والقواعـد اللّازمة الملائمـة بـين أفعـال ومقتضيـات المواقـف الخاصـة بهـا أي العلاقـة بـين النـص والسـياق».[1]

وهكـذا فمجـال البحـث التـداولي له ثلاثـة مظاهر: المظهـر الخطـابي، والمظهر التواصـلي، والمظهـر الاجتماعـي، فقـد انبثق مصطلـح التداولية من نظريـة مفادها أن صحـة الفكـرة تعتمـد عـلى مـا تؤديـه مـن نفـع، وترجـع هـذه الآراء إلى التيـار الفلسـفي، الـذي جـاء بـه الفيلسـوف الأمريـكي تشـارز سـاندرز بـيرس، في بنائـه لمفاهيـم التداوليـة التـي أرسـاها عـبر مقالـة، (كيـف تجعـل أفـكارك واضحة سـنة 1914م)، إلى جانـب (مـا هـي البرغماتيـة)، وقـد طـرح التداوليـة عـلى اعتبـار أنهـا الوصـف الـذي يجعـل مـن أثـر الأشـياء عمليـة في تصوراتنـا، ويليـه وليـام جيمـس

1 صلاح فضـل، بلاغـة الخطـاب وعلـم النـص، المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب الكويـت (دت_دط)، ص 24

وجـون ديـوي اللـذان عمـدا بدورهـما إلى الإضافـة إلى هـذه النظريـة، التـي تـدور حـول فكـرة إنتـاج الأفعـال مـن الأفـكار، وقـد نحـى جـون أوسـتين هـذا منحـى البحـث عـن كيفيـة التحـول مـن الأقـوال إلى الأفعـال.

فعـلى إثـر هذه الخلفيـة، «نرى بأن مفهوم السـياق في التحليـل التداولي اتخذ بعـدا أعمـق من اللّسـانيات الاجتماعيـة، فهو أهم مرتكـزات اللسـانيات التداولية، في دراسـتها للغة أثناء اسـتعمالها».[1]

ويعتـبر السـياق بذاتـه، الـذي يعـرض مقاصـد المتكلـم، عـن طريـق تفكيـك المعـاني المضمـرة في حـدود التلميـح المشـار إليـه، وهـو يجعـل للسـياق انتشـارا في العديـد مـن المجـالات المعرفية المتعـددة، فهو يتـوزع عبر فضـاءات معرفية كثيرة، منهـا مـا هـو مرتبـط بالمتكلـم والمتلقـي، وكـذا بـشروط الإنتـاج اللغـوي والحيـز المـكاني والإطـار الزمني.

وقـد تمكـن ماكـس بلاك، مـن أن يخرج بمصطلح السـياقية، باعتبـار أن مفهوم السـياق في التنظـير التـداولي يتجاوز الاصطلاح، إلى الإجـراء العملي، وهذا ما أضافه عـلي آيت اوشـان في تحليلـه للمفهوم، عند الباحثـة «فرانسـواز ارمينيكو» واعتبره «يمتلـك طابعـه التّـداولي غـير معلـوم النهايـة، ولا ممنهـجَ البداية، وإنما في مسـتوى منطقـي، يجعلنـا نعـبر من درجـة تداولية إلى أخرى فهـو إما[2]»:

سـياق ظـرفي فعـلي وجودي مرجعـي: يصف لنـا هوية المخاطبـين، وانتمائهم

1 ينظـر: علي آيـت أوشـان، السـياق والنـص الشـعري: مـن البنيـة إلى القـراءة، دار الثقافـة مؤسسـة للـنشر والتوزيـع، الـدار البيضـاء، ط1، 2000، ص59

2 علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص، ص، 60، 61

وبيئتهـم المكانيـة والفـترة الزمنيـة، والسـياق الـذي يضـم الأفـراد الموجوديـن في العـالم الواقعـي، حسـب **بارهيـل ومونتاك**.

سـياق مقامـي تـداولي: يصـف الــممارسة الخطابيـة، المخصصـة للجماعـة المنتميـة إلى الثقافـة نفسـها.

سياق تفاعلي: ويقصد به، تسلل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات.

سـياق اقتضـائي: مـا ينزل للمتلقي مـن تأويـلات، افتراضية نتيجـة الاعتقادات ومـا يلتفـت إليه بمقصـد الحدس.

ويمكن أن ندمج هذه الأقسام في صنفين، صنف لغوي وصنف غير لغوي:

اللغـوي: جـاء بـه **فـيرث**، ويتمثـل في العلاقـات الصوتيـة، والموفولوجيـة والنحويـة والدلاليـة، أي مجمـوع العنـاصر اللغويـة التـي تحيـط بالجـزء الملفـوظ.

غـير اللغـوي: وهـو مجمـوع المقتضيـات غـير اللغوية، التـي يتحـدد بمقتضاها الملفـوظ، «عـلى أنه رسـالة موقعها في مكان محدد ذات زمـن معيين[1]»، ف الكلام المنطـوق عنـد مالينوفسـكي هـو معنـى فقط في السـياق الذي يسـتخدم فيـه، «بين أن اللّغـات الحيـة يجـب أن لا تعامـل معاملـة اللغـات الميتـة بحيـث أنهـا تراعـي سـياق الموقف».[2]

وقـد تبنـى فـيرث هـذه الفكـرة ونماهـا أكـثر حينـما بلـور المنهـج عندمـا أولى فكـرة السـياق أهميـة خاصـة عنـد «أن G. yule وجـون يـول G.Brawn محلـلي الخطـاب، وفي هـذا الإطـار يذكـر جوليـان بـراون الفكـرة القائلـة بإمكانيـة تحليل

1 ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري ص 55

2 حافـظ اسماعـيلي علـوي، التداوليـات علـم اسـتعمال اللغـة، عـالم الكتـب الحديـث، إربـد، الأردن، ط1، 2000، ص 15

سلسلة لغوية، تحليلا كاملا من غير مراعاة للسياق، قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك كبير».[1]

هكذا أضحى السياق من مكونات تحليل الخطاب من أجل دراسة المقاصد، بحيث أنه يمكن اعتبار أي محاولة لتلقي الخطاب خاراج سياقه، هي مجرد إخراج سافر للخطاب عن مقتضاه النفعي والواقعي، كما أنها قراءة عبثية للخطاب، مهما انطبعت بالقيمة بالفنية والإبداعية.

إلا أن أخذ دور السياق بعين الاعتبار في فهم الجمل، جعل Sadak **سايدوك** يشير إلى أن دعاة التداولية يواجهون مشكلات منهجية حادة، ورغم ذلك فإنهم فسروا عملية إنتاج الكلام وربطوها بالمخاطب والمتلقي، فحينها تفك الرسالة اللغوية لنصل إلى مقصد المتكلم، وهذا بدعامة السياق عن طريق الديناميكية الكلامية المرهونة بالظروف التي أحيط بها»[2].

كما عرفت التداولية عند «F.Réconoti **فرانسوار يكانتي**M.Dille **وماري ديير** بأنها دراسة استعمال اللغة في الخطاب اعتمادا في ذلك على مقدراتها الخطابية».[3]

وهذا ما حاولنا حصره في مجال دراسة اللغة في السياق، خاصة في ما يُعنى بفضاء إنتاج الخطاب، حيث أن هناك كيانا غامضا أوقل جرابا جديدا، ولكن إذا ما أردنا -بيان التقاطعات التي قد نلفيها للتداولية مع المجالات التي تتداخل

1 براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير الشريكي، الرياض، 1997، ص 32

2 ينظر: محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، الكتب دار الوطنية، ليبيا، 1993، ص 118

3 فرانسوا أرمنيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، لبنان، (د.ت)، ص08

معهـا في دراسـتها- فإننا نربطهـا بما يلي:

علـم الدلالـة: ويشـارك التداوليـة في دراسـة المعنـى، لكنه لا يقـف عند هذا الحـد، بـل يرتكز عـلى المعنى والاسـتعمال.

علـم اللغـة الاجتماعـي: **ويشـارك التداولية في تبيين أثر العلاقـات الاجتماعية بين المشـاركين في الكلام والموضوع الذي يدور حوله، ومرتبة كل متكلم والسـامع وحينـه، وأثر السـياق اللغوي في اختيار السـمات اللغوية وتنوعها.**

علـم اللغـة النفـسي: **ويشـترك معهـا في الاهتـمام، بقـدرات المشـاركين التـي تؤثـر بدرجـة مـا في أدائهـم كالانتبـاه والذاكـرة والشـخصية.**

تحليـل الخطاب: **يهتم أساسـا بتحليـل الحوار، إذ يقتسـمان (تحليل الخطاب مـع التداوليـة) عـددا مـن المفهومـات الفلسـفية واللغويـة كالطريقـة التـي توزع لهـا المعلومـات في جمـل أونصـوص، والعناصر الإشـارية والمبـادئ الحوارية»**[1].

وعـلى إثـر هـذا التشـعب الـذي أحـاط بالتداوليـة، فإنـه بالـضرورة يحـال لموضـع الحـال الـذي ينتـج لنـا الخطاب والتـي بلورها طـه عبد الرحمـن ضمن ما سـماه بالمجـال التـداولي، «ويقصد به كل المقتضيـات العقدية والمعرفيـة واللغوية القريـب منهـا والبعيـد، المشـتركة بـين المتكلـم والمخاطـب، والمقومـة لاسـتعمال المتكلـم لقـول مـن الأقـوال بوجه مـن الوجـوه»[2].

1 ينظـر: محمـد أحمـد نحلـة، آفـاق جديـدة في البحـث اللغـوي المعـاصر، دار المعرفـة الجديـدة، مصر، ص، ص، 10، 11

2 ينظـر: طـه عبـد الرحمـن، أصـول الحـوار وتجديـد علـم الـكلام، المركـز الثقـافي العـربي، ط3 ، 2007 ص28، وينظـر : طـه الرحمـن، تجديـد المنهـج في تقديـم التراث، بيروت، ط2 ، ص 243

ومنه نرى أنّ «التداولية» تظلّ مرتبطة في دراستها بالعبارة اللغوية، ولكنها تدرسها متجاوزة الطرح التقليدي، كاشفة عن قواعد معينة مرتبطة أكثر بالسياق الذي تستعمل فيه، لذلك عرف موريس هذه القواعد بشكل يوازي القواعد التركيبية والدلالية، حيث يقول: «إن القاعدات التركيبية تقوم بتحديد العلاقات بين الدوال، وتقوم القاعدات الدلالية بتثبيت الترابط بين الدوال والموضوعات، أما القاعدات البراغماتية فتحدد الشروط التي يكون فيها الدال علامة بالنسبة للمتحدث، وهكذا يمكننا وصف لغة ما بشكل شامل قائلين : إن اللغة بحسب المفهوم السيميائي التام للجملة، «هي عبارة عن مجموع بين شخصين للدوال التي ييسر استخدامها القاعدات التركيبية»[1].

ولكن سرعان ما عرفت «التداولية» صبغة تخصصية مضبوطة؛ كعلم محدد يعنى بدراسة الفعل الكلامي، وكيفية إنتاجه من المتكلم، وفهمه من المتلقّي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد، وهذا التطور والتخصص في الدراسة اللغوية التداولية كان بفضل الذي صنف مختلف اتجاهات التداولية، التي فسحت لعلماء بارزين أمثال **هانسن Hanson**.

سياقات كان موضعها إنتاج الخطاب، ليسندها إلى ثلاث درجات:

- **تداولية الدرجة الأولى:** وتتمثل في دراسة الرموز الإشارية، ويتجلى السياق في الاهتمام بالمتخاطبين ومحددات الزمان والمكان.
- **تداولية الدرجة الثانية:** وتهتم بدراسة طريقة تعبير القضايا، في ارتباطها

1 نعمان بوقرة، الدراسات اللسانية المعاصرة، ص 168.

بالجملـة المتلفظـة ويمتد السـياق هنـا إلى ما يحدس بـه المتخاطبون.

• **تداوليـة الدرجـة الثالثـة:** وتتمثـل في نظريـة أفعـال الـكلام، وكـذا الحقـل اللسـاني الـذي يعـرض هنـا غزارة السـياق وغنى موضعـه، علاوة لبعـض النظريات الحجاجيـة وقوانـين الخطاب»[1]

وتدخل هنا مجموعة من الكفاءات تجدر الإشارة إليها:

• **الكفـاءة السـياقية الحاليـة:** وتمثـل دعامـة أساسـية لإقامة أي تأويـل للفعل الكلامـي فبمعرفـة ملابسـات الفعـل القولي تتـم عملية الفهـم والتأويـل»[2]، وهذا امتـداد للكفـاءة اللسـانية التـي تسـاعدنا عـلى تحديـد مـؤشرات التأويـل، فنحـن نحتـاج إلى كفاءة سـياقية لاكتشـاف مؤشرات أخـرى تتعلق بالأنـا والأنت وهيئات الحضـور في الزمـان والمكان.

• **الكفـاءة الموسـوعية:** أوالثقافيـة، وتتصـل بالمعرفـة العامـة التـي تتوافـر لـدى المتكلـم والتـي تمكنـه مـن إنتـاج الفعل القـولي، بمـا يحمل مقصده مـن جهة، والمتلقـي حيـث تسـعفه في إيجـاد التأويـل المناسـب للفعـل الكلامـي، مـن جهـة أخرى.

ويـرى **أوريكيـوني أنهـا ترتبـط بمجموعـة المعـارف الضمنيـة، التـي يمتلكهـا المتكلـم والمسـتقبل عـن العـالم والإديولوجيـة، إنهـا مجموعـة أنظمـة التأويـل والتقييـم، حـول العـالم المرجعـي الـذي تتداخـل فيـه مـع الكفـاءة اللسـانية.**

1 ينظر: علي أيت أوشان، النص والسياق الشعري من البنية إلى القراءة، ص59

2 ينظـر: محمـد يحياتـن لجـيلالي دلاش، مدخـل إلى اللسـانيات التداوليـة لطلبـة معاهـد اللغـة العربيـة وآدابهـا ، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة، الجزائـر، د.ط، د.ت، ص 1

-**الكفاءة الاستدلالية (المنطقية):** وتتعلق بمرحلة الاستنتاج واستحضار السياق، انطلاقا من الأقوال التي تعتبر في أغلبها خطاطات تتطلب فرض حجج، لغرض تسوية الوضعية.

ولا تقف آليات الاستدلال عند المعطيات اللغوية، بل تنتعش أكثر ببقية المعطيات التي يقوم عليها سياق الحال في إنتاج الخطاب.

ثانيا: إستراتيجيات الإقناع في الخطاب:

إن الإقناع يخضع للقوانين التي تحكم عملية الإدراك، والمعرفة والدافعية، لذا يرى محمد عبد الرحمن عيساوي، « أن الفرد يميل إلى الاقتناع بالإيحاءات، التي يعتقد أنها تصدر من الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية الراقية»[1].

ويعرف توماس شايدل الإقناع، «بأنه محاوله واعية للتأثير في السلوك».[2]

بينما يرى أوستن فريلي أن «الإقناع والحجاج جزئين من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا في التوكيد، أما الإقناع فإنه ينعكس على التوكيد، الذي يبطل ضده»[3] فالإقناع ينطلق من التركيز على إثبات أو نفي، ليوكد على أحدهما، بغية إبطال الآخر.

هذا من جهة «ومن جهة أخرى لابد من الإشارة إلى أن مفهوم الإقناع، يرتبط بمفهوم آخر وهو التأثير ويكاد هذان المفهومان ليكونا متلازمين، فظاهر لفظ التأثير

1 عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات علم النفس الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ص19

2 محمد يحياتن الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ص16

3 نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص، ص، 30، 31

يشير إلى عملية تبدأ من المصدر، لتصل إلى المستقبِل، مع توفر إرادة لذالك، في حين أن مصطلح التأثر يشير إلى الحالة التي يؤول إليها المتلقي بعد التعرض لعملية الإقناع واستقبال الخطاب وتفاعله معه» [1] وبالإضافة إلى مصطلح التأثير «هناك مصطلح آخر قريب من مصطلح الإقناع، وهوالإيحاء والذي يشير إلى التأثير غير المباشر، في سلوك الآخرين عن طريق النفوذ النفسي، والقدرات السيكولوجية المقنعة»[2] وهذا بعيدا عن تلقي الخطاب بوصفة لغة خالصة.

«ويعـرف الإيحـاء عـلى أنـه التأثـير النفـسي، القائـم عـلى التقبـل لمـا يوحـي بـه مـن عمـل أو سـلوك أوأفـكار أورغبـات»[3] وهـو خاضـع لمؤثـرات خارجـة عن فحـوى الخطـاب اللغـوي.

1. كيف يكون الخطاب مؤثرا وفعالا عند بيريلمان؟:

غـير أننـا نلاحـظ أن موقـف الفيلسـوف المنطقـي، يختلـف عـن موقـف عـالم النفـس، فالخطـاب مفهـوم واسـع جدا، لأنه لا يسـمح لمنهج العمـل أن يحدد قيمة الحجـج المسـتخدمة في العلـوم الإنسـانية، ولـذا يـصرح بيريمان «بأنه يسـتلهم عمل المناطقـة، ويتخـذ مناهجهـم التي أعطـت ثمارا جيدة منـذ قرن تقريبـا»[4] وهذا في نظرنـا انتبـاه خطـير مهم، إذ أن ما يمكن أن يسـتخصله أي بحـث في مجال تخصصه مـن نتائـج مبهـرة، يتـأتى غالبـا مـن محاورتـه للعلـوم والمجـالات المتاخمـة لمجـال اشـتغاله والمتواشـجة معه.

1 ينظر: عامر مصباح الإقناع الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 17.

2 ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، ص 32

3 ينظـر: خليفـة بوجـادي، في اللسـانيات التداوليـة مـع محاولـة تأصيليـة في الـدرس العـربي القديـم، دار الحكمـة، الجزائـر، ص 11

4 [2] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 76

وإن بيريمان يعلن عن تصريحه هذا بقوله: «إن المنطق قد استطاع أن يظفر بدفعة قوية، منذ منتصف القرن الماضي، عندما كف عن تكرار الأشكال القديمة، وأخذ في تحليل أدوات البرهان، التي يستخدمها الرياضيون بالفعل»[1]، وعليه يرى بيريمان، أن الإجراء هو طريقة العمل من أجل الوصول إلى نتيجة ولا يتاح هذا إلا بين إجرائيين أحدهما طبيعي والآخر مفتعل أي مصطنع، فمثلا كثيرا ما تكون الدموع الكاذبة لاستدرار العطف والمجاملة، أي المدح بغرض العطاء، أو النفاق لهما لفظ من السحر.

2. موقف المتلقي إزاء الخطيب:

إن متلقي شديد الحساسية إزاء قيم الخطاب والإجراءات اللغوية المتخذة فيه، فهو يفكك ولو بطريقة عقلية بين مركبات الخطاب اللغوية والبلاغية وغيرها، ولذلك فإنه «يتم تلقي الخطاب باعتباره إجراءا، عندما لا نشعر بأنه منبثق من موضوعه، فالمستمع عندما يتجاوب مع الخطيب في احترام القيم الممجدة، والإعجاب بها، يندر أن يحكم عليه باعتباره مستخدم إجراء بليغ، لكن من لا تعنيهم هذه القيم، ولا يرونه بالطريقة ذاتها كثيرا ما يعلقون عليها على أنها مجرد كلمات، وهذا لإدانة الآخرين لما يبدو من خطابهم من فراغ، وخلوه من القيم التي يعتدُّون بها، كما يمكن أيضا أن نشعر بهذا الانطباع، وبأننا حيال إجراءات بلاغية في حالة الاتفاق على القيم، عندما يبدو أن الخطيب يتخذ قواعد وتقنيات، لا تتوافق بشكل طبيعي مع الموضوع لشدة أناقتها واتساقها»[2].

1 أحمد الخشاب وأحمد النكلاوي، المدخل السوسيولوجي للإعلام، الأسكندرية، دار الكتب الجامعية، ص 25

2 ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 79

ومـن خـلال برنامج **بيريلـمان** البرهاني، نقف عند فكرتـين محوريتين لعلاقتهما الوثيقـة بالفـروض التفسـيرية، لفهـم أهم الأشـكال الأدبية، ولما لهما مـن أهمية في توضيـح معـالم الخطـاب، خاصـة القيـاس، فالقيـاس عند **بيريلـمان**، يعد نقـلا للبنية والقيمـة معـا، عـلى أسـاس التفاعـل الـذي ينجـم عـن الربط بـين المقيـس والمقيس عليـه، وإن كان يؤثـر بشـكل أوضـح عن المقيـس فإنه يؤثر أيضا عـلى المقيس عليه، هـذا التأثـير يتجـلى بطريقتـين، من خـلال البنية وعبر انتقـال القيمة المترتبـة عليها، وبهـذا فـان «**القيمـة تلعـب دورا هامـا في عمليـة الابتـكاروفي وعمليـات البرهـان معـا داخـل البنية الخطابيـة**»[1] ويمكن شرح هـذا لاحقا.

3. بلاغة البرهان عند بيريلمان:

يبـدو جليـا أنّ مقاربـة بيريلـمان البلاغية تهـدف الى إبراز حقيقـة هامة، وهي أن كل حاجـة تنمـو بالنظـر إلى المسـتمعين، في حـين رأى السـابقون لـه أن الفكـر الجـدلي مـواز للفكـر التحليـلي، لذا يـرى بيريلـمان «أن بحوثه تتجـاوز بزمن طويل بلاغـة الأقدمين».[2]

بالنسـبة للأقدمـين، كان هـدف البلاغـة قبـل كل شيء هـو فـن الـكلام المقنـع للجمهـور، فهـي تتصـل إذن باسـتخدام لغة التكلـم بالخطب التي تلقـى في الميادين العامـة، أمام حشـود مـن الناس.

وحتـى تـؤدي عمليـة الإقناع غرضهـا وتحقق هدفهـا، يرى هربـرت ليونبرجر «أنـه يجـب عـلى هـذه العملية أن تتم عـبر المراحـل التالية»:[3]

1 أحمد الخشاب، وأحمد النكلاوي، المدخل السوسيولوجي للإعلام، ص22

2 لجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ص01

3 [2] أحمد الخشاب، وأحمد النكلاوي: المدخل السوسيولوجي للإعلام، ص 25

• **مرحلة إدراك الشيء:** وهي المرحلة التي يختبر فيها المخاطب أوالجماعة لأوّل مرّة الفكرة أوالصور أوالاتجاه الجديد، وفي هذه المرحلة يمكن للمخاطب أن يقبل ما قيل له أو يرفض ذلك.

• **مرحلة المصلحة والاهتمام:** وفيها يحاول المتلقي الجهد للمقارنة، بين ما يمكن أن يلتمس فيه وجود مصلحته فيما لا يمكنه ذلك.

• **مرحلة التقييم أوالوزن:** وفيها يبذل المتلقي الجهد، للمقارنة بين ما يمكن أن يقدم له هذا الأمر أوالاتجاه الجديد وبين ما تقدمه له ظروفه الحالة.

• **مرحلة المحاولة:** يقصد بها جس النبض، والتجريب من قبل المخاطب أوالمرسل إليهم.

ومن جهة أخرى أشار كل من **راين وجروس،** إلى أربع مراحل من زاوية ثانية:

1: الشعور بالفكرة.

2: الاقتناع بفائدتها.

3: محاولة قبولها.

4: التبني الكامل لها.

وكذلك نظرية التاءات الثلاثة عند **ميشال لونات:**[1]

• **مرحلة التوعية: وفيها يتم** إلقاء الفكرة، بصدد نشر الوعي لدى المستمعين، والتي تكون مفعمة بالأدلة والبراهين.

1 ميشال لونات، الإعلام الاجتماعي، تر: صالح بن حليمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1993، ص،ص، 13، 16

• **مرحلـة التشريـع:** تتمثـل في إصـدار قانون يدعـم الفكرة، مع إجبـار المتلقي على القبـول بها.

• **مرحلـة التتبـع:** وهـي أهـم خطـوة لنيـل التأثـير لـدى المسـتقبل، فعنـصر المراقبـة أحـد اسـتخدامات الاهتـمام في دائـرة التخاطـب.

هـذا ولا يخلـو أي خطاب مهما كان نوعه من اسـتراتيجيات وأسـاليب إقناعية فعالـة، كفيلـة باسـتمالة المتلقـي والتأثـير فيـه، فنحـن كما يقـول أبو بكـر العزاوي: «نتكلـم عامـة بقصـد التأثـير»[1]، فهـذه طبيعـة البـشر، ولا يسـعهم إلّا التّـصرف عـلى طبيعتهـم، لـذا سـعى العديـد مـن الخـبراء والباحثـين إلى الكشـف عـن هـذه الاسـتراتيجيات، للاسـتفادة منهـا في بنـاء الخطابـات المتنوعـة، خاصة مـا يطرأ عليه القـارئ الناقد.

4. القارئ والوعي بالسياق:

يمكننـا القـول بـأن النـص الأدبي يريـد نقـل الواقع ما غالبـا، على الأقـل بالقدر نفسـه الـذي يريـد بـه نقل جماليـات لغويـة مجـردة» ويبـدو أن إدراك المعنى في النـص الأدبي، لا يخـرج عـن سـياق عمـل الوعـي أثنـاء إدراكـه لموضـوع الظاهـرة، والتـي قلنـا بصددها أنها توجد في وضع ماهوي عن إسـقاطاتنا الذاتية، أوالواقعية، فالناقـد يضـع المعنـى الأدبي بـين قوسـين، انطلاقـا من تقنيـة «الرد والتعليـق» التي ينهجهـا كل ناقـد ظاهـراتي يـروم إلى فهـم موضـوع مـا»[2] وهـذا الفعـل التنصـلي

1 أبـو بكـر العـزاوي، الحجـاج في اللغـة، مقـال ضمـن كتـاب: الحجـاج مفهومـه ومجالاتـه (دراسـات نظريـة وتطبيقيـة في البلاغـة الجديـدة) ج1، عـالم الكتـب الحديـث، إربـد، ط1، 2010 ص56

2 ينظـر: محمـود محمـد عـيسى، السـياق الأدبي: دراسـة نقديـة تطبيقيـة، جامعـة المنصـورة، مصر، ط1، 2004، ص، ص، 40، 41

مـن الأحـكام اخاصـة المسـبقة إزاء التلقـي، هـو فعـل احـترازي منطقـي وجـمالي أيضـا «وتبعـا لذلـك فـإن الوعي المدرك لقـارئ النص، يقـوم بتعليق كافة الأنشـطة القبليـة، التـي قـد تورطه في اكتسـاب وعـي موجه، أوخاضـع لتأثير سـياق خارجي أو ذاتي»[1] ولـئن كان التنصـل من كل خلفيـات قرائية أمر صعب التحقيق فإنه لابد مـن ضرورة الإشـادة بأقـل قـدر ممكـن منـه «ومن هنـا يمكننا حصر ثبـات الفكرة لـدى القـارئ وإقتناعـه بهـا يكمـن في وضـع النـص الأدبي بـين قوسـين، وهـذا يقوم إجرائيـا عـلى تجاهـل السـياق التاريخـي الفعـلي للعمـل الأدبي، من خلال اسـتبعاد مؤلفـه وظـروف إنتاجـه وقراءتـه، كـما يتـم تعليـق كافـة المقاربات السـابقة حتى يتـم تلقيـه مـن زاويـة» الوعـي الخالـص» الـذي يتجـه صوبـه أثنـاء فعـل قراءتـه، ومـما يـدل عـلى ذلـك هـو كون تلـك الاسـتراتيجية تهـدف إلى قـراءة محايثـة تماما للنـص، إذ أنهـا لا تتأثـر مطلقـا بـأي شي خارجـه، كـما أن الطريقة المقننـة للمقاربة النقديـة للنـص الأدبي، تكمـن في التوقـف عـن الحكـم عـلى النـص الأدبي، باعتبـاره وليـد سـياق مـا أوظـروف معينـة، أو باعتبـاره حالـة اجتماعيـة أونفسـية أوكونـه إرهاصـات ذاتيـة، بـل النظـر إليـه على أسـاس كونـه» وحـدات معنـى»[2]، وبالتالي يتـم اختزال النص نفسـه إلى تجسـيد خالـص لوعي المؤلف، فكل جوانبه الأسـلوبية والسـيمانطيقية، تـدرك على أنهـا أجـزاء عضويـة في كل مركـب الجوهـر الموحد له والـذي هو عقـل المؤلف

1 ينظر: دراسات في الفلسفة المعاصرة: زكرياء إبراهيم ،مكتبة مصر، القاهرة، ص 327

2 ينظر: مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص 11

5. اللغة ودلالات السياق:

إن النـص بوصفـه مـادة لغويـة هـو كيـان منكفـئ على ذاتـه، فلا وجـود للغة لاتـدل إلا عـلى ذاتهـا ولا تحيـل إلا إليهـا، ولذلـك «يـرى الناقـد بأن النـص، يمارس حضـوره مـن خـلال نشـاطه اللغـوي، لكـن ليـس مـن خـلال كونهـا نظامـا مغلقـا أونسـقا تركيبيـا بـل مـن خـلال كونها تمـارس فعلا مغايـرا، إذ أن النـص لا يكون إلا مـن خـلال اعتبـار لغتـه مسـتودعا لخـبرات واسـعة، أي اعتبارهـا كتـاب الإنسـانية المفتـوح الـذي يسـتوعب كافـة الطاقـات والقـدرات التعبيريـة»[1] وهـذا مرهـون لقـدرة لغـة النـص عـلى التطويـح بقارئهـا إلى هاتـه المـداءات الإنسـانية المزدحمة بالانتشـارات الدلاليـة كـما «أن انفتـاح النـص رهـين بمـدى القدرة على اسـتيعاب طاقتـه اللغويـة هكـذا، فللخـروج بفهـم قـار للنـص ولإدراك تـام لدلالاتـه، لابـد للقـارئ أن يعيـد النظـر في فكـرة الكلـمات وتصحيـح مـا يبـدو لنـا الآن بديهيـا حولها»[2].

ولقـد ألـف الدارسـون أن الكلمـة هـي مفـردة، تدخـل مـع سلسـلة مـن المفـردات في سـياق يشـكل الـكل التركيبـي للنـص، لكـن الناقـد عكـس ذلـك يعتبر الكلمـة بمفردهـا سـياقا، بل بؤرة لسـياق؛ والنّص تبعا لهذا ينشـأ مـن أجل مواجهة كلمات.

إذن فعمـق الرؤيـة لـدى الناقد، تقوم عـلى تخطي الرؤية المعتـادة للموضوع،

1 ينظر: نفسه، ص11

2 ينظـر: آن روبـول جـاك مـوشلار: التداوليـة اليـوم علـم جديـد في التواصـل، تـر: سـيف الديـن دغفـوس و محمـد الشـيباني، المنظمـة العربيـة، دار الطليعـة، بيـروت، لبنـان، ط1 ،2003، ص 30

فالكلمات التي تشكل متن النص وتؤنس بناءه الدلالي وتعلن هويته، هي أيضا بؤر دلالية تمارس وجودها باعتبارها أنظمة وعوالم مشرعة، لكنها ممتنعة البوح عما تحمله من دلالات، ولا يمكن للنص أيا كان جنسه، أن يؤسس لحضوره في ذهن المتلقي إلاّ الإيمان بأن «النصوص تنشأ من أجل مواجهة كلمات»، وإن كل نص يحيل بعض الكلمات على الأقل إلى تساؤل خصب ومعنى ذالك أن النّص يعيد تكوين الكلمات، وإخضاعها لسلطان قوي يستنطقه المتلقي باستراتيجية يفرضها الخطاب الدلالي الذي يروق لإرادته.

«وهكذا نلاحظ أن الخطاب العادي، لا يعنى كثيرا بخلق توازنات منتظمة، فهو لا يبدأ في تشكيل هذه التوازنات، إلا عندما يبتعد عن الاستعمال المتوسط، ويشرع في الترتيب الجيد للكلمات، وعندئذ يهدف إلى تحقيق، غرض فعال لافتا الانتباه إليها[1]»، ويتم هذا على مدار العملية التفكيكية والإستنتاجية، التي أصبحت تعالج اليوم في إطار تداولي، داخل النظرية الحجاجية بعدما كانت تدرس داخل النظام التواصلي، الذي تحكمه قواعد النقل

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دارسة تداولية لظاهرة أفعال كلامية، ص، ص، 17، 18

ثالثا: أبعاد الخطاب النقدي التداولي:

1. البّعد الإبداعي:

إنـه ولاشـك لايمكـن مقابلـة الإبـداع مـن غير إعـمال للحـواس، حيـث» يكمن البعـد الإبداعـي، في التعامـل مـع النّص المقروء والمـدروس، من الزاويـة الانطباعية في الأدب، التـي تـرى في الإحسـاس أنه أسـاس الإبـداع، والمنهـج الانطباعي لا يقصد رسـم الـشيء، بـل تسـجيل انطباعاتـه في النفـس»[1] وهـي زاويـة تفـرض نفسـها بشـكل أوبآخـر، وبدرجـات متفاوتـة، ولعـل ما يشـير بها اختيـار الناقـد أي القارئ للنّـص المـدروس، حيـث تتدخـل عـدة عنـاصر ذاتيـة، وخيـارات شـخصية ترجـع بالأسـاس إلى عمليـة الإعجـاب حيـث «**تتجـلى ذات القـارئ في مسـتوى قـد يفـوق درجـة حضـور ذات الكاتـب**»،[2] أي المبـدع في النـص المـدروس، ويصل هـذا النوع مـن القـراءة عـادة إلى دلالات مفتوحـة، فيشـكل بالتـالي عمـلا إبداعيـا يحتـاج هو ذاتـه إلى عمليـة فـك لرمـوزه وشرح لإيحاءاتـه.

وإلى جانـب مـا سـماهم **تـودوروف** بالنقـاد أوالكتـاب في كتابـه نقـد النقـد، عـلاوة لبعـض الفلاسـفة نذكـر:

- الفيلسوف **جون بول سارتر** محللا **أزهار الشر** للشاعر **بودلير.**
- الفيلسوف **جاك دريدا** قارئا لقصيدة **بودلير العملة الزائفة**

المنظـر الشـكلاني الـروسي **ايخنبـاوم** قرئـا لقصـة **المعطـف** للأديـب **نقـولاي**

1 ينظـر: عبـد الهـادي بـن ظافـر الشـهري، استراتيجيـات الخطـاب مقاربـة لغويـة تداوليـة، دار الكتـاب، بيـروت، لبنـان، ط1 ،2000، ص124

2 بـرون وجـون يـول: تحليـل الخطـاب، تـر: محمـد لطفـي الزليطـي و منيـر التريكي الريـاض ، جامعـة الملـك المملكـة العربيـة السـعودية، د.ط، 1997، ص 35

قوقـول.

• الفيلسوف **رولان بارت** قارئا لقصة **سارا زين** للكاتب **بلزاك.**

المنظر الأدبي **امبرتو ايكو** قرئا لقصة **مأساة باريسية** للكاتب **الفونس أليه.**

2. البعد التاريخي:

إن شـغف إلحـاق النصـوص بحمولاتهـا التاريخيـة، يحمـل سـدادا منطقيـا ولاشـك، خاصـة إذا كان مسـوغه في ذلـك افـتراض وجـود حاضنـة قبليـة للإبـداع سـابقة للغـة، إذ «يكمـن البعـد التاريخـي للعمـل النقـدي، في محاولـة ربـط النص المـدروس المقـروء بسـياق قائـم، أوبـأي منظومـة إيديولوجيـة، وهـذا يعنـي وضع النـص في سـياقه التاريخي، وقراءته واسـتيعابه ضمن شروط إنتاجـه، ذلك أن النّص الأدبي هـو نتـاج تاريـخ محدد ومن ثمـة، فهو يحمل بصمة حقبتـه التاريخية»[1] هنا يكـون القـارئ قـد وظـف قـراءة تاريخيـة، والقـراءة في هـذا المسـتوى هـي عملية مشـمولة بسـياقات (لإحـالات المرجعيـة) التـي يلعـب فيهـا الزمن والتاريـخ الدور الحاسـم في عمليـة التأويـل، إذن فالنـص الأدبي هو بالأسـاس منظومـة تواصلية تقع في سـياقات : تداوليـة ومعرفيـة و قافيـة، تحـدد الممارسـات النصية.

إن عمليـة فهـم النـص الأدبي بهذا المعنى، تكون من منطلق (سـياقي تداولي) باعتبـار النص (فعلا كلاميا) يحتاج إلى التأويل، وهو (سـياق إدراكي).

يقـول الفيلسـوف «**ببـار ماشـيرما**» إن العمـل الأدبي لا يرتبـط بالإيديولوجيا، عـن طريـق (مـا يقولـه) بـل عـن طريـق مـا (لا نقولـه) أي أننـا لا نشـعر بوجـود

1 ينظـر: عبـد الحميـد إبراهيـم، الأدب المقـارن في منظـور الأدب العـربي، دار الشروق القاهـرة، مصر، ط1، 1997، ص180

الإيديولوجيـا في النـص الأدبي، «**إلا مـن خـلال جوانبـه الصامتة الدالة أي ما نشـعر بهـا في فجـوات النـص، وأبعـاده الغائبة عن النـص**»،[1] وهذه هـي المهمة المحورية للمؤلـف، إنهـا عمليـة التضليـل الجمالي داخـل اللغـة، والتي تتم بطمـس الدلالات العليـا وأهدافهـا داخـل النـص وإعـادة تحويهـا لغويـا مـن دون الإخـلال بطاقتهـا التأثيريـة، ويتـم ذلـك داخـل الفجـوات الصامتـة» التـي يجـب أن تفعـل مـن أجـل جعلهـا تتكلـم، كـما أن القـراءة المنتجـة هي التي تكشـف ثغرات النـص وصوامته، ومـا دام النّـص الأدبي يحتـوي هـذه الصوامـت، فإنـه يكشـف عـن صراع المعـاني، وبـدل أن يكشـف عـن وحـدة متجانسـة، فإنه يكشـف عن مبـدأ صراع المعـاني»[2] ومـن ثمـة فـإن مهمـة القـراءة هـي الكشـف عـن هـذا الـصراع بـين معـاني الّنـص وإظهـار الكيفيـة التـي ينتـج بهـا هذا الـصراع عـن علاقـة الكاتـب بالإيديولوجيا.

3. البّعد العلمي:

إن الرغبة في تفكيك النصوص لأجل معرفة طريقة عملها هي من دأت البعد العلمي للقراءات «والمقصود بــ البّعد لعلمي، هو الكشف عن مكونات النص الأدبي والبحث في قوانين الإبداع الأدبي وإبراز (هويته) الأدبية، لذلك، تنحصر وظيفته في استقصاء القوانين والنّظم التي تتحكم في عملية إنتاج النص الأدبي»[3].

فالمقصـود بالبعـد العلمـي هو الدراسـة المنهجية للأنظمة التـي تنطوي عليها النصـوص الأدبيـة، واكتشـاف الأنسـاق الكامنـة التـي توجـه القـارئ إلى العمليـة التـي تتحـدد أدبيـة النـص، أي اسـتنباط قوانـين النـص من النص نفسـه مـن نظامه

1 نفسه، ص185

2 ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص 14

3 ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة منشورات الاختلاف، ص21

وخصائصه الشكلية الجوهرية للمادة الأدبية التي تميزها عن كل مادة أخرى، كما يوضح ذالك المنظر الذي أعطى لهذه الفكرة صبغتها النهائية حين قال: **إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما الأدبية أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا».**[1] وهي مقولة ياكبسون الشهيرة.

رابعا: البنية الشكلية للخطاب:

تعتبر الوجهة الألسنية، إحدى البنى الفعالة التي تقوم عليها اللغة في الخطاب، وعلى العكس من ذلك، ما نراه من وجهة لنظر العملية المتصلة بفواعل المتكلمين، التي ترى بأن اللغة ليست نظاما وحيد الاتجاه، ولا الفاعل المتكلم وحده شخصية، أوفرد معروف في ممارسته القولية، على الرغم من أن كلا من اللغة والمتكلم، يمثلان الأساس الضروري لنظرية اللغة والأسلوب، ففي علم اللغة نجد أن تصرف الفاعل المنتج للخطاب، تقترن به ملاحظة حضوره في هذا الخطاب ذاته، فالفعل الفردي لإمتلاك اللغة، يجب أن يدخل المتكلم في كلامه، وهذا اعتبار يعد جوهريا في تحليل الخطاب، إذ أن الخطاب هو المكان الذي يتكون فيه فاعله، ومن خلال هذا الخطاب فإن الفاعل يبني عالمه كشيء ويبني ذاته أيضا.

«وعلى هذا الاعتبار، لابد من الإشارة إلى أهمية هذا الازدواج في فكرة الفاعل الذي يعتبر منتجا للخطاب، وناتجا عنه في الوقت ذاته، حيث يتمثل وجوده فيه، سواء كان - واقعا تجريبيا مثل مؤلف النص أومرسل الخطاب القائم تاريخيا وشخصيا- أم كان تكوينا نظريا، في إطار علم اللغة، طبقا للأصول

1 فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص 11

المعرفيـة المنبثق عنهـا»[1].

وهكذا يعرف الفاعل، من خلال خطابه، إذ يعتبر أحد البنى التي تثبت مجرى التواصل، وتأسس للخطاب مثواه النسقي، هكذا يشمل التّحليل النّصي، موقف الفاعل الداخلي تجاه قوله.

وانطلاقا مما ذكر، فإن النص يقدم دائما باعتباره موسوما، أوغير موسوم، بطريقه شخصية أي أنه يتصل بفاعل، يتجلى فيه معبرا عن رأيه أووجهة نظره، مشيرا إلى تجربة أوحدث متعلق به ذاته، وعندئذ يصبح النص موسوما، أومتصلا بوقائع ومعارف موضوعية، بعيدة عن القائل، وعندئذ يكون غير موسوم، وإن هذين الوضعين الأساسيين للخطاب بكل ما يدخلهما من تعديلات وتداخلات، يتجليان نصيا من خلال العوامل التالية:

- **مؤشرات الزمان والمكان.**
- **كيفية القول التي تحدده: مثل موقف التأكد واليقين، أوالشك والاحتمال.**
- **مؤشرات الموقف: التي لا تتصل بفعل القول ذاته، وإنما بوقف القائل مما يقوله.**

وتدخل في ذلك تلك العناصر اللغوية، الذاتية أوالخارجية التي تحدد الموقفيين.

وهكذا فإن القائل في هذا القسم من أشكال الخطاب، يقوم بإعادة صياغة الكلام الذي ينقله متوخيا الدقة، والحذر في نقله حينا أوإيجازه، واقتطاع بعض أجزائه حينا آخر، مستخدما كلماته هو؛ ليؤدي بها ما قاله المتكلم المنقول عنه،

1 ينظر: صلاح فضل، بلاغه الخطاب وعلم النص، ص 98

فتصبح تلك الإشارة والأزمنة، التي قام القائل بتغييرها، أقل موضوعية وحياد من الخطاب المباشر»[1].

نستنتج من هذا أن القائل يدمج خطاب الآخر في خطابه هو وينقله إلى موقفه القولي فيصبح المتكلم الأول شخصا غائبا، ويتحول المضارع الذي استخدمه المنقول عنه إلى ماض في عبارة المتكلم الثاني، أي أن إعادة الصياغة غالبا ما تتضمن الإبقاء على بعض عناصر القول الأول، من تعبيرات مميزة، وعلامات تعجب أواستفهام، أوترجيعات وتكرار وروابط استدلالية، وسببية وإشارات أخرى لغوية، من قبيل الخطاب المباشر، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى تداخل بنى الفواعل»[2].

علاوة على هذا فإن **التداوليين**، يشيرون إلى ظاهرة أخرى من البنية الشكلية للخطاب، «**هي التباعد؛ فعندما يعمد المتكلم إلى اتخاذ موقف لا يدل على التبني الكامل لما يقول، فإن هذا يؤدي إلى خلق مفارقه واضحة وقد يتم ذلك على طريق علامات التنصيص أوغيرها** «[3]، وهذا رأى **بيريلمان** في هذا الجانب كذلك، وعموما فإن الخطاب من هذا المنظور « يظل هو الأولى باعتباره نمطا من الإنتاج الدالي، الذي يحتل موقعا محددا في التاريخ، ويشغل علما بذاته كان يسمى البلاغة من قبل، و الذي تحول إلى ما يسمى اليوم بعلم النص، وعليه فإننا عندما نشغل بهذا الخطاب النصي»[4]، فإننا نلاحظ النظم

1 ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19

2 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص، 23، 24

3 : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص21

4 ينظر: نواري سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي، ص، 31، 32

البنيويـة، التـي تكونـه متصلـة مـن الوجهـة التداولية بظـروف إنتاجـه، مثلما تتصـل بمشـكلات فهمـه وقراءاته

قراءة تداولية

في خطابات
الشيخ محمد بن زايد آل نهيان
في فترة كوفيد- 19

المبحث الأوّل

توجيه الخطاب/ الإنساني والأخلاقي

تحاور الأنا وتجاور الذوات

تعرّف الإنسانية وفقاً للفيلسوف إيمانويل كانط بأنّها: «هدفُ الأخلاق وأساسُ فكرة الواجب...»

وإن الخطاب يعنى بتجسيد مفهوم الإنسانية ويرتبط في عمقه بقيمها الساميّة، فالخطاب هو نوع من الالتزام الأخلاقي، كما أنّه يعزّز قيم الإحساس والإحسان وغيرها، حيث أخذت فكرة وتيمة الإنسانية أهميةً كبرى لدى وعي الشيخ محمد بن زايد، تضمّنت المحافظة على الأعراف السائدة والآداب العامة.. يقول:

« .. وجسدوا أخلاق شعبها في الدفاع عن الوطن بالدماء والأرواح، وتركوا سجلاً مشرفاً نباهي به الأمم ما دامت الحياة، ونحيي ذويهم ونشد على أياديهم ونعبر عن امتناننا وشكرنا لتضحياتهم الكبيرة.»[1]

ولم يكن هناك حاجز بينه وبين تمثل هذه القيم لكونها متجذرة في كيانه كما هي متأصلة في كل إماراتي، والذي لم يحتج لأيّ معلم لتلقيها وتعلمها.. يقول الشيخ محمد بن زايد: «لقد فتحت دولة الإمارات في عام 2020 باباً واسعاً للسلام والتنمية والاستقرار والأمل في منطقة الشرق الأوسط المشحونة بالتوترات والصراعات، من خلال اتفاقية السلام التي وقعتها مع دولة إسرائيل برعاية

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

الولايـات المتحـدة الأميركيـة الصديقـة، وأكدت شـجاعتها في اتخاذ القـرارات الكبيرة والتاريخيـة عندمـا يتعلـق الأمـر بمبادئهـا ومـا تؤمـن بـه ومـا ينسـجم مـع نهجهـا الراسـخ في الدعـوة الى السـلام والتسـامح والتعايـش بـين مختلـف الأمـم والشـعوب بـصرف النظـر عـن اختلافـات الدين والعـرق والمذهـب»[1].

إن هـذه الكلـمات ذات ملمـح روحـاني- عاطفـي يسـتقطب جميـع بني البشر وهـو لا يعـترف بالفـوارق بينهـم، إنـه خطاب يشـمل عامة النـاس بلا اسـتثناء، فهو خطـاب موجـه إلى ذلـك الإنسـان الكـوني الـذي يجسـد أنمـوذج العولمـة الإنسـانية في أسـمى أشـكالها، فحـين تنصـت لكلماتـه تشـعر بأنّهـا موجهـة لمختلـف الأجناس باختـلاف توجهاتهـم وإيديولوجياتهـم - وهنـا يكمـن الـسر الماكث في القبـول الذي نالـه هـذا الخطـاب ولا يـزال يحظـى بـه، فقد اسـتطاع اخـتراق فكـر وإيديولوجيا أفـق الأنـا المتلقيـة، فهـو يُسـمع المتلقـي صوتا غير صـدى صوته ويطلعـه على عوالم أعمـق مـن عالمـه الوجـودي الضيـق إلى عـالم أرحـب وأشـف ليوقفـه أمـام شرفـات خطـاب إنسـاني، إذ أنـه يلائـم فطرة الإنسـان الأولى الماثلـة في محبة النـاس والرعية.

ففـي كلمـة صاحـب السـمو الشـيخ محمد بن زايـد خلال لقاء مـرئي مع قطاع الصحة يقول:

« تعرفـون بأنـه أتمنـى بـأن أسـلم عـلى كل فـرد منكـم في هـذا القطـاع وأذكره بالاسـم ولكـن لي رجـاء أيضـا بلغـوا سـلامي لعوائلكـم وطمنوهم وبلغوهم سـلامي جميعـا وأخبروهـم بـأن محمـد بـن زايـد يبلغكم سـلامه ويوصيكـم جميعـا بالصبر فنحـن في وضـع اسـتثنائي، فجميعنـا نحـزن عندمـا نـرى دور العبادة مغلقـة ونحزن

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

أيضا عندما لا نستطيع رؤية أقربائنا وأصدقائنا ولكن نقول الصبر»[1].

إنّها عبارات ترمي إلى رعاية الوجود والموجود وتوشيحه بصفات الجمال والكمال، فهي عبارات تتلاءم وتجتمع لتؤكد حرص صاحب السمو على وصال رعيّته، ومدى تحمله روح المسؤولية والتعبير عن مدى حبه لهم، ومن ثمّة فهي تعبير عمّا تجيش به عاطفته إلى جميع الناس على اختلاف مشاربهم فهي تتوجه إلى الإنسان باعتباره غاية في ذاته..

يأتي الخطاب في اتجاه إنساني كوني شامل، فاسحا المجال واسعا لتقارب ودنو الآخر، فهو يرمي إلى تحاور الأنا وتجاور الذوات، بناء على مبدأ نبذ الفردانية والرؤية القومية الضيّقة، بغية فسح مجال رحب تشكل فيه الروحانية عالمها الخاص؛ ومنه يحتضن الخطاب بشكل فعّال روحنة الذوات وانتشالها من النزعة المادية والذاتية وما يترتب عنها من مظاهر النزاع والصراع.

إن الخطاب يناقش بإيجاز عدة مجالات ذات أدوار حاسمة للإنسانية المُعاصرة، أو كما تسمى بالدبلوماسية الإنسانية من قيم المجتمع المدني وحقوق الإنسان في ظل الأخلاق، وكذا إمكانات تطور المجتمع وعلاقاته الحسنة مع غيره ضمن الحدود الإنسانية والآداب العامّة، إن خطابات الشيخ محمد بن زايد تساهم في تدوين سرديةِ الخلاصِ العالمي وهي تعكس رؤية النظام وإستراتيجية الدولة والتي نلتمس فيها من القوة والجزالة على الرغم من مرونتها وقابليتها لقبول الآخر وانفتاحها على الغير.

إن المقام هنا لا يشرط عمق تأمل؛ فإنّه يمكن التعرف على الخطاب على أنه تمثل لغايات إنسانية.

1 كلمة سمو الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع قطاع الصحة في 2020/5/13

تتجـلى الأبعـاد الإنسـانية في خطاب صاحب السـمو الشـيخ محمد بـن زايد في مختلـف الفواعـل والحركات والمبـادئ والأخلاق الراقية التي تفانى الشـيخ في التعبير عنهـا، لقد كانت مُتماسـكة الوصـال تدعمهما نواياه المثالية.

وعـلى الرغـم مـن اسـتناد الكثـير مـن الخطبـاء الوطنيـين في ظاهـر خطاباتهـم عـلى مـا يريـد تمثـل النوايـا المثاليـة، إلا أن ذلـك لا يكـون في الغالـب إلا بشـكل واه ومفضـوح يرتكـز على أسـاس المبـادئ الانعزاليـة في معالجـة القضايا الإنسـانية مثل «الحيـاد» و «الاسـتقلالية و»عـدم الانحيـاز»، إلا أنّ سياسـة وإسـتراتيجية الإمـارات تتجـاوز هـذه المبـادئ الرنانة الجوفاء، لتجسـد الموقف الإصلاحـي الحديث بتفاعلها الخـلاق مـع القضايـا الإسـترايجية للدولـة وللمواطنـين، يقول الشـيخ بـن زايد:

«عملـت الإمـارات ولا تزال، بصدق من أجل إيجاد تسـويات مسـتقرة للأزمات التـي تعـاني منهـا المنطقة العربيـة والشرق الأوسـط، بالتعاون مع أشـقائها وشركائها وأصدقائهـا، ووقفـت وتقـف دائماً إلى جانـب الحوار والوسـائل الدبلوماسـية طريقا للتعامـل مـع هـذه الأزمات، لأنهـا تؤمن بأن هذا هو الطريـق الوحيد لوضع حد لها وإيقـاف نزيـف الـدم، والموارد الـذي تدفع ثمنه الشـعوب من حاضرها ومسـتقبلها، وهـو الطريق لتسـوية كل النزاعات والمشـاكل التي يعاني منهـا العالم.»[1]

إن مواقف الدولة يتم التعبير عنها بصِيَغ التعاطف والسُلطة ذات النزعة الإنسانية؛ التي هي في الحقيقة ليست مُجرّد رد فعل على أزمةٍ معيّنة، وإنما هي التزام إنساني تجاه قضايا الإنسان، كل ذلك بروح تفاعلية موجّهة بدعوة تلبية مختلف الاحتياجات البشرية من ظروفٍ مناسبة وملائمة وجيّدة ومتوازنة، وعلى النحو الذي تُشكل فيه الإنسانية سمتها المُتَّسقة والمشوفة لنموذج الإنسان الحداثي، الذي يتشابك تاريخُه مع أفكار وهواجس مُمارسات الانعتاق والخلاص.

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

هكذا يحمل الخطاب صورة عامة لوعي إنساني يعكس ويترجم تعلق صاحب السمو بالمُثل العُليا والمبادئ السامية؛ ويمثل نموذجا لأفراد المجتمع.

المستوى الأخلاقي:

يتأسس خطاب صاحب السمو على منظومة اجتماعية وأخلاقية متماسكة وعميقة ومفعمة بالإنسانية، حيث تشير الأخلاق إلى مجموع الممارسات والسلوك المقبولة والمحمودة من قبل المجتمع التي يتوجب على الإنسان احترامها .. والي تحرس القيم وتقوم عليها.

فما كان للخطاب في بعده السياسي أن يتعارض والقيم الأخلاقية والاجتماعية أوأن يحيد عنها فقد اتخذ من الأبعاد الأخلاقية معياراً تميزه وتوجهه، يدرك صاحب السمو أنّ الالتزام بالمبادئ والأخلاق والقيم هو الطريق والسبيل الآمن للنجاح ولاستمرار التقدم والرقي، يقول سمو الشيخ:

«...وترفض خطابات الكراهية التي تسيء للعلاقات بين الشعوب والحضارات والثقافات، وتضر بفرص العيش المشترك فيما بينها، وهذا كله أكسبها احترام العالم وتقديره، وجعلها صوتاً مسموعاً للاتزان والحكمة والاعتدال..»[1]

يقول أرلوند تويمبي «إنّ قوه الابتداع الواعي لدى البشر هي الدافع الرئيس لبدء قيام الحضارة»[2] وإنّ كلمة الشيخ محمد بن زايد الواعية باقتدار هي احتفاء بما قدمه السجل المشرق لدولة الإمارات، حيث شكل أنموذجا مثاليا لتنمية متسارعة ومتراكمة تحت سيادة رائدة وراشدة، وهنا يشيد صاحب السمو بالفئات البنائيّة

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

2 أرلونـد تويمبـي: مختـصر دراسـة التاريـخ، تـر، فـؤاد محمـد شـبل، أحمـد عـزت عبـد الكريـم، المركـز القومـي للترجمــة، مصر، ج 3،2011 ، ص 21.

الجديدة في المجتمع الإماراتي من كوادر متخصصة ومؤهلة؛ أكاديمية وإدارية بخبراتها، والتي حصّلت تنمية تستجيب للموروث العربي وتعتز به.

تتمتع الإمارات العربية المتحدة بنسيج اجتماعي متجانس ذي روابط قوية متأصلة يعمل على تحقيق مصالحها التنموية ويحدد أولوياتها في بناء الإنسان؛ وبرغم الجائحة فقد تبينت قدرة الحكومة على التحكم في المخاطر والأزمات وإيجاد الحلول المناسبة والتراتيب والتدابير اللازمة لها، فخطابات الشيخ محمد بن زايد خلال حقبة تفشي فيروس كوفيد 19 فيها ترسيخ لقيم وروح المواطنة والانتماء لدوله الإمارات، وقد ترسخ هذا عن طريق شحذ الوعي الوطني بتاريخ الدولة العريق وبما يستند إليه الواقع المعاصر من إنجازات محققة وتطلعات استشرافية مستقبلية.

إن خطاب الشيخ محمد بن زايد هو استمرار لسلسلة الانجازات التي حققتها الدولة بغية تحقيق إنجازات أخرى وغايات تتمثل في وضع البلاد في مصاف الدول الراقية والمتقدمة التي توفر الرفاه والعيش الكريم لشعبها جيلا بعد جيل.

وإن الإنجازات الكبيرة المحققة في الدولة هي في الحقيقة ثمرة تعاضد جهود كافة قوى المجتمع الإماراتي الساعي إلى تطوير اقتصاد متنوع توجهه كل الخيارات المتاحة سواء كانت مدعمة من القطاع الرسمي لمؤسسات الدولة؛ أم من القطاع الخاص الذي تدعمه الإستراتيجيات التي تعكس طموحات الشعب الإماراتي والداعمين فيه، هادفة إلى تحقيق نوعا من التوازن بين النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية والبشرية والبيئية.

من ناحية أخرى تقف الدولة أمام عدة تحديات تحدد رؤية المستقبل من

المحافظة على التقاليد في ظل العولمة وما يحتاجه الجيل الحالي، وكذا التحكم في النمو الاقتصادي؛ وهي تحديات يؤمل في تحويلها إلى فرص، وقد وجهها سمو الشيخ محمد بن زايد نحو إيجاد ثقافة وطنيه لتخطيط التنمية في جميع المجالات باستشراف المستقبل ومشاركة كافة أفراد المجتمع في تحقيقها؛ مساهما في بناء قدرات الموارد البشرية والخبرات الفنيّة وفي إدارة المشاريع وتنفيذها والرفع من مستوى الوعي بأهمية عمليه متابعه البرامج السياسات الداعمة لثقافة المؤسسات والشركات؛ هي كفيلة بتحقيق ازدهار اقتصادي واجتماعي..

إن خطاب صاحب السمو محمد بن زايد يحث على التعاون الدولي وحسن الجوار ويرمي إلى تعزيز دور الإمارات العربية المتحدة على الصعيد الاقليمي والدولي وتعزيز مكانتها بالمساهمة بشكل فعّال في بناء السلم والأمن الإقليمي والدولي.. وفي هذا الإطار يراهن سمو الشيخ محمد بن زايد على استثمار إمكانات القوة الناعمة؛ حيث يؤكد بقوله:

«... وهذا كله أكسبها احترام العالم وتقديره، وجعلها صوتاً مسموعاً للاتزان والحكمة والاعتدال، وعزز قوتها الناعمة وحضورها وتأثيرها على الساحتين الإقليمية والدولية.»(1)

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.

اعتماد القوة الناعمة:

إنّ علم السياسـة وكأيٍّ العلوم والمعارف ما يزال ينتج المصطلحات والمفاهيم؛ ومـن بينهـا مصطلـح «القـوة الناعمـة» وهـو مصطلح جاء بـه المفكـر **جوزيف ناي (Joseph Nye) 1937** عرّفهـا بأنّهـا «القـدرة عـلى الحصول على مـا تريد عن **طريق الجاذبيـة بـدلا مـن الإرغـام**»[1] حيـث أن مجمـوع ومختلـف الإمكانـات المعنويـة القـادرة عـلى التأثـير في الأهـداف المرغوبـة، يمكنهـا تغيـير سـلوك وقناعـة الآخرين، عندمـا يقتـضي الأمـر ذلك تحت سياسـة الإقنـاع والجذب وليسـب الإكـراه والجبر..

وإن القوة الناعمة « هي البعد الثالث «[2] لسـلم القوى بعد القوة العسـكرية والاقتصاديـة في ميـزان السياسـة الدوليـة حسـب **جوزيف نـاي**، وإننـا نجد صاحب السـمو يركـز عـلى اعتماد هذه القـوة بغية تكريسـها؛ يقول:

«وترفـض خطابـات الكراهيـة التـي تسيء للعلاقـات بين الشـعوب والحضارات والثقافـات وتـضر بفـرص العيـش المشـترك فيـما بينهـا، وهـذا كلـه أكسـبها احـترام العـالم وتقديـره، وجعلهـا صوتاً مسـموعاً للاتـزان والحكمـة والاعتدال، وعـزز قوتها الناعمـة وحضورهـا وتأثيرهـا عـلى السـاحتين الإقليميـة والدولية»[3].

لا شـك أن قوة الاقتصاد تقول كلمتها الفصل في تأثيرها على الشـعوب، وتصنع قيمـة الدولـة وهيبتهـا عـن طريـق قدرتهـا في التأثـير عـلى ميكانيزمـات العلاقـات الدوليـة، فالدولـة القويـة إنمـا هـي قويـة باقتصادهـا عـلى مسـتوى أول، ومـن ثمّـة

1 جوزيـف نـاي: القـوة الناعمـة وسـيلة النجـاح في السياسـة الدوليـة، تـر، محمـد توفيـق البجيرمـي، مكتبـة العبيـكان للـنشر، الريـاض، ط1، 2007، ص12.

2 جوزيف ناي: القوة الناعمة، ص14.

3 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

فهي قادرة على التأثير في المواقف بما يخدم أهدافها الخاصة ويحقق مصالحها، فقوة الاقتصاد ستنعكس إيجابا على كل المجالات العسكرية والاجتماعية والتقنيّة والثقافية، وهي عصب القوة الماديّة في مقابل ما يعرف بالقوة المعنوية فهي تأتي في مقدمة ما يعرف بالثنائية القوة (الماديّة/ المعنويّة) أو ما يطلق عليها بـ(الصّلبّة/ النّاعمة).

إنّ القوة الاقتصادية أوالصلبة ليس بمقدورها بمفردها أن تمنح قوة الدولة بل لابدّ من وجود قوة أخرى تقف في جانبها الآخر في سلم توازن القوى، وهي ما يعرف بالقوة المعنويّة أوالقوة الناعمة، وعليه فإن قوة الدولة هي محصل تفاعل مختلف القوى الماديّة والمعنويّة؛ حيث تعتبر القوه الناعمة من أدوات القوه المعنوية التي تمتلكها الدولة في تسيير شؤونها وضبط تطلعاتها.

إنّ القوة بمفهومها الديناميكي حالة متغيرة ومتطورة لها من العلاقة الوطيدة بقدرتي التأثير والتغيير؛ وتتحدد تبعا للمعيار الكمي والنوعي لمفهوم القوة ومكوناتها ومدى توفر الرغبة في استخدامها؛ فالقدرة الفاعلة للتأثير لا تقتصر فقط على توفر عناصر القوة ومكونات القوّة الكامنة؛ بل وعلى الإرادة السياسية لتعبئة تلك المكونات والقدرات الكامنة وتحويلها إلى قوة يمكن استخدامها بفاعلية لأغراض سياسية معيّنة»[1].

وإنّ توفر عنصر الإرادة هو الذي يحول القوه الكامنة إلى قوة فاعلة مؤثرة، وتحت هذه الشروط تمتلك دولة الإمارات العربية المتحدة ما يؤهلها إلى تبوء

1 ينظر: إياد خلف عمر الكعود، استراتيجيه القوى الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية، رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجه الماجستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعه الشرق الأوسط، 2016 ، ص21.

مكانـة عالميـة مرموقـة؛ باسـتغلال مصـادر قوتها وقدرتهـا الكامنة لتسـهيل وتحديد أسـاليبها والبدائـل المتاحـة أمـام السياسـة الداخليـة والخارجيـة لتنفيـذ وتحقيـق أهـداف الدولـة وطموحاتها..

إن الخطـاب هـو إبـراز للقـوة والفاعليـة اللتـين تمتلكهـما دولـة الإمـارات باسـتغلال قدرتهـا وإمكاناتهـا التـي تسـعى إلى تحسـين مكانتهـا ونفوذهـا عـلى المسـتوى الإقليمـي والـدولي، وإنّ الحديـث في إطـار القـوة الناعمـة التـي هي قدرة عـلى الجـذب والاسـتقطاب والاسـتمالة وتعبئة الرأي العـام، من شـأنها أن تؤدي إلى حصـول مبتغـى هـذه القـوه ومحتواهـا بشـكل سـلمي.

الصحة أولوية:

مـن أجـل النهـوض بالمسـتوى الحضـاري للبـلاد؛ الـذي يبقـى يـؤرخ لمبـادرات الدولـة تتطلـع رؤيـة دولـة الإمـارات إلى تحقيق انجـازات ذات مسـتوى رفيع تكون جديـره بالاهتـمام المركزي والقيادي حيث أن الدولة تعتزم أن تشـتغل على مسـتوى المنطقـة في إمضـاء تنميـة في جميـع المحاور الحياتيـة، من هنا تسـعى الدولة بتأييد مـن قادتهـا إلى أن تحافـظ عـلى هـذا الطموح عـلى الرغم مما تواجهـه من تحديات كبيرة.

إنّ الشيء المعلن في خطاب الشـيخ محمد بن زايد مجال الدراسـة، وخصوصا في مـا يتضمـن المجـال الصحي وقطاع الصحـة ككل، يتضمن إسـتراتيجية تنميه واضحة المعـالم، إذ تسـعى إلى تحقيـق الرفاهيـة ضمـن الحـدود البيئيـة في مجـال الإمارات الحيـوي، والتـي تعـد مسـكن الدولـة ومربـط هاجس المجتمـع الإمـاراتي والتي على أساسـها يمكـن تقييـم التقـدم عن طريـق مـؤشر التنمية البشريـة، عبر هـذا القطاع

الحيوي والحساس الذي يسجل يرعى ويضمن الحياة الآمنة والطبيعية لمجتمع متحضر وقابل للارتقاء الدائم، وأخذ المكانة المتقدمة في هيكلية الفرد العالمي.

يأتي هذا الخطاب كحافز لخلق فضاءات حياتية عامة تستفيد منها جميع الطبقات الاجتماعية، وتجعل البيئة الحياتية أكثر صحة وأكثر ملاءمة لطبيعة حياة مجتمع راق.

ينبغي أن يتكامل الإطار المكاني مع المنهجيات لمواجهه كل التحديات في مجال الصحة والحد من مخاطر هذا الوباء، ويؤكد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد على وجود مؤسسات فاعلة ذات مسؤولية وروح وطنية تساهم في خلق ثقافة ترسمها السياسة الراشدة للدولة، والمدعمة بأنظمة المعلومات والتكنولوجيا، تدعمها في ذلك القطاع الخاص بمؤسساته، والشركات الاقتصادية في تحقيق ما تطمح إليه الدولة.

إنّ خطاب صاحب السمو محمد بن زايد الذي خصّه بشأن ما أصاب هذا القطاع من اختبار؛ هو ككل خطاب موجه بالأساس إلى قيادات الدولة؛ الذين بدورهم سيسهرون على تنفيذ كل ما جاء في طيّاته من وصايا ومن إلزامات واقتراحات وتدابير يجب تنفيذها والحرص على تطبيقها على أحسن وجه بعد دراستها ودراسة كيفيه تنفيذها.

لا يمكن أن نعتبر خطاب صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد خطابا وطنيا أوسياسيا بحتا فهو يتسامى بأبعاده التكاتفية ليقترب من مستوى مسمى الخطاب الإنساني، ويتحقق هذا بعيدا عن الرسميات وعن الجانب الرسمي، متجليا في رغبة تقديم يد المساعدة وإسداء النصيحة والإدلاء بما يجوب في الخاطر من تحسر ومن ضيق خاطر وحال لما آل إليه الوضع الاجتماعي والإنساني للناس.

هـذا الخطـاب هـو تكملـة لجهود مكثفـه وحثيثة لقطـاع الصحة على مدى فـترة طويلـة، فهـو يرمـي إلى تحسـين قدراتهـا لتنفيـذ مهامهـا عـلى أحسـن وجـه، كـما أنـه يـأتي لتعزيز قـدرات الجهـات الوصيـة التي تعمل وتسـهر على اسـتمرارية برنامـج الدولـة الـذي يدفعهـا قدمـا لتحسـين الأداء العـام؛ عـبر تحسـس إمكاناتهـا وكفاءاتهـا مـن أجهـزة مركزيـة وسياسـة تنمويـة الخطاب.

إن هـذا الخطـاب هـو بمثابـة إعـادة هيكلـة وتوزيـع للمسـؤوليات الوظيفيـة المنوطـة برجـال قطـاع الصحـة، إزاء مـا يواجهونـه مـن خطـر داهـم يسـعون إلى تطويقـه بـكل الإمكانـات الماديـة والمعنويـة، إن هـذا الخطـاب هـو شـد معنـوي ورابـط نفـسي وثيـق.

إن قطـاع الصحـة أثبـت في هـذه الجائحـة أنـه قادر على مواجهـة الأزمات، لأن الأسـاس الـذي بنـي عليـه هـو أسـاس متـين، في حـين بعـض دول العـالم واجهت صعوبـات في مواجهـة هـذه الأزمـة ،دولـة الإمـارات اسـتطاعت تخطـي الأزمـة بإمكانياتهـا وفرقهـا وجهودهـا ، بـل ومـدت يـد العـون للـدول الأخـرى.

مبدأ القرب من الرعيّة:

إن العيـد الوطنـي مناسـبة لتحيـين وزيـادة التضامـن والترابـط والإخـاء بـين زعيمـي الدولـة: الحاكـم والرعيّـة، لتكشـف مكامـن الحنـين والقـربى بـين الطرفـين؛ فحـين تسـلط الصحـف والأضـواء عـلى أبسـط تفاصيـل المراسـيم وفلكلـور الحفـل، فإنهـا تسـجله بوصفـه واقعـة شـديدة الأثـر في الذاكـرة الحديثـة، ومـا الخطـاب إلاّ الجـزء المهـم مـن كل هذا.

يحـدد أحـد خطابات سـمو الشـيخ محمد بن زايـد إلى من يوجه هـذه الكلمة يقول

« للإخوة والأخوات والأبناء..»[1]

إن مختلف شرائح المجتمع الإماراتي يتوجه إليهم الشيخ محمد بن زايد بهذه الكلمة ويخصهم بالذكر والتنويه، ومن هنا تبدأ وتيرة الخطاب بالتصعيد نحو التشويق وتقارب العلاقة بين صاحب السمو ورعيته من مجتمع مدني وعسكري وسلطة، إن خطابه يتّسع ليحتضن كل فرد في مجتمع الإمارات، حيث لا مسافة حقيقية تفصل بين أبنائه.

إنّ الألفاظ الافتتاحية في خطاب صاحب السمو هي كلمات تجسد معنى الود ومعنى الوثوق في شخصه، كما أنه سيبدو مهتما بأمور شعبه وبشؤونهم التي تخصهم وتخص ذواتهم، هنا يضع الخطاب المتلقي في حالة التواصل الايجابي ويسعى إلى تحقيقه بدعائم حجاجيّة وبلاغية مختلفة، إن هذه الكلمة الافتتاحية تؤكد أن صاحب السمو أكثر قدرة على التعبير، وأكثر قدرة على منح مشاعره للرعية ومشاركتها للآخرين.

إنها كلمات تبدو في ظاهرها مجرد ألفاظ، لكنها تدل على مد اليد للمصافحة والتحيّة وهي من أوضح علامات الدعوة للطمأنينة والثقة والمودة.. ففي المصافحة والتحيّة دلالة التوافق ومبادلة الاحترام والتقدير والترحاب، فالتحية مبدؤها احترام الذات وتقدير الآخر، مما يُشرع فضاءات مشاركة الآخر والتعامل معه بكل ارتياح وقابلية للإنصات له والاندماج العاطفي معه.

إنه موقف يدل على قوة الحضور والكريزما التي يتمتع بها صاحب السمو فمن خلالها يظهر مزيدا من الثقة بالنفس والثقة بالوطن وبالرعيّة

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

وبالشعب الذي أخذ مكانة مرموقة ومهمة على مستوى المنطقة والخليج العربي، امتدادا إلى المجال العالمي والدولي.

إنه دلالة على حالة صحيّة جيّدة إنه اعتماد على النفس وتحمل للمسؤولية، واستقلالية واثقة عن الآخرين، وهو قيام على الأرجل والنهوض لمباشرة عمل ومهمة، إنه التحفز والاستعداد والتأهب لبداية التقدم والمشي قدما إلى الأمام، إنه حالة استعداد واستنفار للعمل ولمواجهة مخاطر قد تكون داهمة.

تبدأ كلمة صاحب السمو بوضع الخطاب في سياقه وفي مناسبته وفي موضوعه الذي درج عليه، إنها مناسبة الاحتفال باليوم الوطني التاسع والأربعين من عيد الدولة الإماراتية.

وهنا يؤكد صاحب السمو على ما وصلت إليه الدولة يقول «في مرحلة فارقة في تاريخها، تقف خلالها موشحة بالفخر والعزة، ومفعمة بالطموح والأمل، ويملؤها التصميم على مواصلة مسيرة إنجازاتها الحضارية في مختلف المجالات»[1].

إنّه من المفيد هنا ملاحظة الزاوية التي يقف فيها صاحب السمو واللّغة التي ينطق بها، فمن خلال زاوية تضيق عن الكثيرين بينما تنفرج وتنفتح له عن موضوع أكثر خصوصية يشترك فيه كل مواطن على أرض الإمارات أو من كان محبا لها ومؤيدا لكيانها، بكل ثقة بالنفس يقف صاحب السمو وقفة إجلال وإكبار لتاريخ هذا البلد الذي يحتفل بعيد ميلاده التاسع والأربعين يقف

1 - خطاب صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020

كشخصية قيادية فرضت احترامها وتقديرها على كل من علق آماله على عاتقها.

إنها وقفة للتأمل في مسار حافل لدولة بلغت من النمو والتقدم ما لم تبلغه دولة أخرى، من عام إلى عام آخر، إنها وقفة ترسخ ما تم تحصيله من نتائج تنموية يترتب عليها هذا الفخر وهذا الاعتزاز الذي جسده الخطاب بكل روح رياضية.

يشيد صاحب السمو بإنجازات الدولة رغم التحديات والمصاعب والظروف التي مرت بها البلاد يقول هي المسيرة التي « لم تتوقف أبدا ولن تتوقف» إنه كلام خطير صادر من نفس أبيّة صادقة واثقة من شخصها.

لهجة فيها من التأكيد القاطع المتمثل في لفظة «لن» و«أبدا» فـ «لن» التي هي حرف نفي تفيد تأكيد هذا النفي فجاءت مدعمة بـ «أبدا» لتصبح تفيد النفي مع تأكيد التأبيد، فهي ثقة يستمدها صاحب السمو بأنّه على قدر المسؤولية وتحمّل عبء الالتزام ورعاية التعهد مع حمل نتيجة هذه الالتزامات والقرارات والاختيارات من تعهد لتحمل أمانة؛ حيث لا تثني عزمه في حملها أي صعوبة.

إن التحدي هو القيمة المتحضرة التي تستطيع تغيير الواقع إلى الأفضل وإلى ما تتطلع إليه الذات من هبات الله ونعمه نحو إنجازات أكبر وآمال أوسع فلا طريق إلا طريق النجاح ولا حقيقة إلا حقيقة المبادرة والمضي قدما، إن التحدي هو نزعة الفائز والمتفوق والتي بها يتغلب على أقرانه.

يعتبر «التحدي والاستجابة» حسب نظرية «أرنولد جوزف توينبي» Arnold J. Toynbee (1889-1975) في فلسفة التاريخ التي مغزاها أنّ الحضارة

لا تنشأ إلا عندما يواجه الشعب تحديا يهدد كيانه فيواجهه بهذا التحدي، إنها ليست غريزة البقاء فقط بل كيفيّة هذا البقاء وهذا هو ما يراهن عليه صاحب السمو في خطاب فيه من شد الهمم والنفوس وارتياح لمستقبل الدولة؛ فبرغم ما حققته الدولة من تطور ورقي وازدهار إلا أنها تبقى تتطلع للمزيد دوما، إنّه منطق الناجح والمتفوق بحيث تبحث عن الأفضل دائما لتجعل الطموح لا محدودا، لتتوصل إلى معاني وافرة الحظ تمتد عرضا وطولا في البحث عن مكانة الذات، وبمساءلة دور المواطن في النهضة والتحدي.

إن النجاح هو هاجـــس قبل أن يكون فكرة وهو ما يحصل ويخيّل في الذهن، ل يكرّس في الوعي ويثبت في الوجدان أكثر، وإن هذا الخطاب يأتي لتعبئة الرأي العام لهذه الضرورة ليكون تحدي الظروف ومن ثمّة التفوق لتجسيد النجاح على أرض الواقع، وحين يصاغ بلغة وخطاب ويعاد مرات ومرات فإنه سيصبح لا محالة متحققا، حسب نظريّة أفعال الكلام عند جون لانجشو أوستن John Langshaw Austin (-1911 1960).

نظريّة أفعال الكلام حسب أوستين:

في مسار البحث اللغوي يعارض أوستين المنظور الفلسفي التقليدي لتصنيف الجمل والعبارات القائم على أن الجمل التي تستحق التحليل والدراسة؛ هي الجمل الوصفية، أي التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، « إذ أوضح بأن الجمل تختلف بحسب نوعها (جمل وصفية: تصف حدثا أوحالة معينة دون فعل، وجمل إنجازية: تنجز فعلا وقولا في آن واحد)

معيار (صدق/ كذب) في الجمل الوصفية

ومعيار (نجاح/ فشل) في الجمل الإنجازية)

ومن خلال ما سبق يتضح بأن جون أوستين ارتأى التفريق بين العبارات الإنشائية، ونظيرتها الخبرية عن طريق توضيح خصائص كل واحدة منها، إن الغرض من التلفظ بالعبارة الخبرية هو وصف وقوع الحدث (صادقا كان، أو كاذبا)، أما العبارة الإنشائية فتسلك مسلكا آخر لوصف ذلك الحدث، وهو مسلك الاستعمال أي ما هو متداول؛ أي لا تسعى إلى إثبات حال أوظرفية معينة، بل تتجه لإنجاز سلوك معين.

مثال: التلفظ بجملة «أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية» لا يعني الاعتراف بخبر ما ليتم نشره، وإنما المقصود هو الرضى بالزواج من تلك المرأة.

يطلق أوستين على هذه التلفظات: العبارات الإنجازية لتميزها عن العبارات الوصفية التي تُكنّى بها الأقوال الخبرية.

يتضح من كل هذا أن كل جملة إنجازية، هي جملة وصفية تصف قضية معينة في جملة ما، فتحكم عليها بالنجاح أو الفشل. وقسّم أوستين في هذه النظرية الجمل إلى: جمل إنجازية ظاهرة، وجمل إنجازية ضمنية»(1).»

وخطابات صاحب الشيخ محمد بن زايد بشكل عام هي جمل إنجازية منها ماهي ظاهرة ومنها ما هي باطنيّة؛ بحسب طبيعة النص الذي يحاول على

1 فيصل بن أحمد: ملخص كتاب نظرية أفعال الكلام العامة، مدونة الأدب العربي، 30 يناير 2021، نت، ص https://adabarabi7.blogspot.com/2021/01/blog-post_30.html

أن يعمـل ويفعـل أي ينجـز ولا يصـف ويقرر فقط.

إن خطاباتـه هـي حديـث إلى النفـس وإلى الذات بإقناعها بإمكانية العمل والإنجـاز، قبـل أن تتوجّـه إلى العقـول لتُترجـم عنـد المتلقـي الـذي يقـول: يمكننـي أن أنجـز هـذا وأكـثر، فعـبر هـذا القـول يتشـكل المغـزى الفعـلي في اللاّشـعور؛ أنّنـا نسـتطيع الفعـل ونقـدر عليه.

الهدوء النفسي والوقار الداخلي:

توجه لغة خطابات صاحب السمو الهدوء النفسي والوقار الداخلي، فاللغة تحمل نوعا من السكينة وهي منتهى أملنا أمام ما تواجهنا به هذه الجائحة والتي هددت العالم ككل، في هذا الوضع جميعنا بحاجة لمثل هذه الكلمات وهذا الظهور، الذي يزيل الخوف والقلق ويبعث في النفس الطمأنينة والأمان.

إن خطابـات الشـيخ محمد بـن زايد، تأتي نوعا من البلسـم والدواء إثر الجروح التـي خلفتهـا هـذه الجائحـة حيـث إن الخطابات تمثل دعما نفـسي وروحيا لتحمل وطـأة هـذا الوبـاء. إن الكلـمات تتعامل مـع كمون الطاقـة الكامنـة في الكون، وتمد النفـس منهـا ومـن طاقاتهـا الإيجابيـة، مـا مـن شـأنه التخلـص مـن القلـق والتوتـر والضغـط النفـسي، باعتبارهـا وسـيلة تسـاعد المتلقـي عـلى الخـروج مـن حالتـه النفسـية الصعبـة والسـيئة، جـراء الجائحـة التي ألمّـت بالعالم فعكّرت صفـو الهدوء وراحـة البـال للمجتمعـات لا سـيما المجتمـع الإمـاراتي على وجـه الخصوص.

هـذا الوبـاء الـذي فـرض حصـارا وحجـرا على حيـاة البـشر، وأدخلهـم في حالة مـن العزلـة عـن الآخريـن دون وجـود حلـول ممكنـة للخـروج مـن هـذه الأزمـة القاتلـة التـي عملـت عـلى تشـتيت انتبـاه العـالم، مـما أدّى إلى عـدم القـدرة عـلى

التركيز.

في الخطاب دعم نفسي وشد روحي لمقاومة الاستسلام للسكون والركون للقدر، وهو حث على العمل، والأخذ بيد المبادرة على الرغم من وجود الكثير من الهواجس والمثبطات وما تعانيه الدواخل من تأزم وضع صحي يلقي بآثاره المرهقة على الحالة المزاجية للإنسان.

وفي محاولة للحد من تفشي مظاهر الأرق والتوتر وحالات الخوف والرهبة والقلق، ونحو محاولة إحلال الاستقرار النفسي والعاطفي. فالخطاب يأتي كمخلص لإضفاء نوع من العلاقات الطيبة مع الآخر لإحلال وصال أفضل وأرقى، فلا نتوهم أن هذه الكلمات هي خطاب بقدر ما هي استماع إلى الشعب وإنصات إلى المجتمع، واهتمام به، وبمشاكله.

حفاوة الشكر/ قوة الشكر:

إنّ الشكر نهج الأنبياء وسنّة الأولياء وفيه يُجسد معنى الرّضا؛ حيث يعتبر الشكر سيرة الناجحين على مر التاريخ ومن الملفت استخدام «قوة الشكر» فالشكر والامتنان له سحر غريب وتأثير عجيب على المشكور، هو ما لم يفت صاحب السمو بتوجيهه لمختلف شرائح المجتمع الإماراتي؛ يقول:

« وأرجع وأشكر الكوادر الطبية ووزارة الصحة من أصغر موظف إلى أكبرهم ..الذين وقفوا خط الدفاع الأول وفي الصفوف الأمامية «.[1]

يشكر الشيخ محمد بن زايد الكوادر الطبيّة تحفيزا منه للمضي قدما ولمواصلة العمل بكل عزيمة وتفاؤل، وروح منشرحة لتقديم المزيد من الجهود،

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

فالشـكر والامتنـان يقـدم للـذات كميّـة مـن الدعـم المعنـوي والقـوة النفسـيّة؛ بمـا تمنحنـه مـن طاقـة هائلة وبمـا تمنحه من دفعـة قويّة للطاقـة؛ ذلك أنّ للشـكر تأثير كبـير، تشـعر معـه بالقـوة في دواخـل النفـس، فهـي طريقة مؤثـرة جدا عـلى الكيان والوجـدان وتحيفـز للقيـام بالمزيـد مـن العمل والسـهر عـلى تقديـم الأفضل.

يقـول الشـيخ محمـد بـن زايد «كل الشـكر والتقدير للمجهود الـذي تقوم به سـعادة الوزيـر ومن معـك في الخط الأمامي.

وشـكر خـاص للدكتـور توم لوني والدكتور علوي الشـيخ على المحـاضرة القيمة التي اسـتفدت منها شخصيا.

تحياتي وشكري لكل العاملين في القطاع الصحي...»(1)

إنـه هـذه العبـارة تجعلنـا نحيـا ونشـعر بـأنّ صاحب السـمو أكثر تفـاؤلاً لأداء أي عمـل ناجـح، فمـن خـلال تكرّمـه بالشـكر والامتنـان فهـو يعـبر عـن حالـة مـن الاقتنـاع وتأكيـد عـلى ذلـك الاعتقـاد وتثبيتـه؛ إنـه شـكر سـيولد الرغبـة في الإنجـاز، وإنّ شـكر صاحـب السـمو ليـس نابعـا مـن لحظـة ضعـف، بـل مـن مصـدر قـوة وطاقـة لا ينفـدان.

إن الشـكر الـذي قدّمـه سـمو الشـيخ هـو قـول كـما هـو فعـل، وهـو طريـق لكسـب علاقـات ناجحـة فالشـكر مصافحـة ومكافـأة، هـو مـدّ اليـد إلى الآخريـن، فالمصافحـة تكـون في العـادة مصحوبـة بابتسـامة توشـح المقـام، مفعمـة بسـيمات مبهجـة تقـود لكسـب ثقـة الآخـر وكسـب احترامـه ومحبتـه وضـمان فرصـة مد يد

1 كلمـة الشـيخ محمـد بـن زايـد خلال لقـاء مـرئي مـع المسـؤولين في كافـة القطاعـات حـول الجهـود الوطنيـة لمكافحـة جائحـة كورونـا. 2021/3/31

المساعدة حين يحتاجها.

إننا نؤكد ما للشكر من «قوة جذب واستمالة» تمكّن من تقرب الآخر إذ توصل إليه رسائل إيجابية تخلق علاقات طيبة معه، وهذا ما ينعكس على استقرار نفسيّة عمال الصحة وزيادة قدرتهم على احتواء مشكلة الساعة ومصاعب اللحظة. فهي سبيل يضمن أن تعم المحبة ويسود الإخاء وتحلّ الطمأنينة في كل ربوع وأرجاء الوطن.

البعد الإعلامي في الخطاب:

تحمل خطابات الشيخ محمد بن زايد مثار الدراسة، في طياتها نبرة إعلامية استخدمها لنقل بعض المعلومات إلى الجمهور والمستمعين؛ فمن خلال النبرة الإعلامية يصرح الشيخ محمد بن زايد ببعض المستجدات وكيف تعاملت السلطة معها، ليطلعهم على أمور تشد سمع المتلقي الحريص على ما يدور في مجتمعه؛ ليبقى في الصورة واعيا بظروف البلاد والعباد ليحدد لنفسه إحداثيات تمكن من التموضع الفعال.

«إنّ مصطلح «إعلام» يفيد مفهوم النقل الموضوعي للمعلومات بصورة صحيحة، بغية التأثير الواعي على الفرد، حتى تتاح له فرصة تكوين رأي حر مستقل تجاه الواقع المقدم له في شكل حقائق، من أجل التفاهم والمشاركة بين المرسل وبين المرسل إليه على أساس الثقة المتبادلة»[1].

ويمثل خطاب سمو الشيخ محمد بن زايد المصدر الرسمي الأول للمعلومات

1 بشير إبربر: استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة العربية العدد الثالث والعشرون، يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص90.

باعتباره تغطيـة مسـتجدة للحركة السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة للدولة، حيث أنـه يمتلـك الدقة والمصداقيـة لتحري الخبر وتتبـع المعلومة.

يقـول في الخطـاب: «وعـلى الرغـم من التأثيرات السـلبية للجائحة على سلاسـل الإمـداد العالميـة، وخاصـة في مجـال الغـذاء والدواء، فـإن دولة الإمـارات نجحت في توفـير جميع احتياجاتهـا الغذائية ومسـتلزماتها الطبية»[1].

هكـذا هـو الخطـاب، إنه محطة لمراجعـة الذات وضبط الحسـابات في مختلف المجـالات يلبـي ما يريد المواطن سـماعه من المسـؤولين.

يعنـى الخطـاب بتمريـر رسـالة مشـفّرة للرعيـة مكتـوب عليهـا بعـض رمـوز الوطـن وأيقونـات البـلاد وبعـض التقاليـد والثقافـة.. رسـالة مغزاهـا الحفـاظ عـلى الهويّـة بترسـيخها وبمعاودتهـا في إطـار « ذكّـر» بقولـه تعـالى: (وَذَكِّـرْ فَـإِنَّ الذِّكْـرَى تَنْفَـعُ الْمُؤْمِنِـين)[2] مـا يعمـل الخطـاب في صياغتـه الإعلاميـة عـلى تعزيـز مختلـف القيـم والمبـادئ التـي درجـت عليهـا تقاليـد الدولـة والمجتمـع المـدني في مواجهـة تحديـات الإعـلام المضـاد بمـا يملكـه مـن عوامـل تأثـير عاليـه المسـتوى والتـي يمكنه مـن خلالهـا النفـوذ إلى المنظومـة الثقافيّـة بزعزعـة مقوماتهـا ومرجعياتهـا الثابتـة عـلى مـر التاريـخ. يقـول الشـيخ صاحـب السـمو:

« إنّ لدينـا عاداتنـا وتقاليدنـا الغاليـة عـلى نفوسـنا ..لكـن خلال هـذه المرحلة وللـضرورة أحـكام ..أطلـب من كل إمـاراتي ومقيم أن يتحفظ عليها ولا يجعلها سـببا لضررنـا ولا فرصة لإيـذاء أهلنا وأسرنـا ومجتمعنا».[3]

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.

2 قرآن كريم: سورة الذاريات، الآية 55.

3 كلمـة الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان بمجلسـه في قصر البحـر بحضـور عـدد مـن الشـيوخ والـوزراء والمسـؤولين 2020/3/16ـــ

قدم صاحب السمو نموذجا للمتلقي خلال البث المرئي وبجانبه أبنائه بلباسهم الإماراتي وكأنه يقول بأن هذه الجائحة هي فرصة لتقوية علاقاتنا الأسرية، وإعطاء العائلة القدر الأكبر من وقتنا. إنه القائد الأب الذي يقدم لنا دروسا في هذه الحياة متمثلة في نموذجه وشخصه.

يُعد الخطاب وثيقة إعلامية فهو صياغة فلسفية تستوعب مختلف التغيرات الجديدة والطارئة مع أخطارها على الهوية الثقافية للشعب الإماراتي، إذ تعمل على صناعة ثقافة منفتحة من جهة ومتجذّرة في الأصالة، يحتل خطاب الشيخ المصدر الرئيس لاشتغال الصحافة ورجال الإعلام فمنه ينقلون مختلف الأخبار والمعلومات لإعادة صياغتها بشكل جديد، في صياغة تحمل من التحليل والتبيين والشرح والإيضاح، كون أن خطاب صاحب السمو تتجلى فيه معالجة المعلومات؛ إما من خلال حشد الخطاب بمعلومات جديدة أوتصحيح بعضها أو تفنيدها أوتأكيد تقرير بعضها الآخر من الإشاعات والأخبار التي تصنع الحدث.

إنّ الصبغة الإعلامية في خطاب االشيخ محمد بن زايد تحمل مختلف القيم والاستراتيجيات والمبادئ والتوجهات التي تقدمها الدولة وتتبنّاها في سياسة البلاد من دون أي واسطة إعلامية صحفية أو إخبارية مهما كانت نوعها؛ فهي تحقق الهدف والغاية من وصول المعلومة إلى المتلقي بشكل مباشر دون أن تدخل فيها أي واسطة للتأويل أو للتحريف. منها:

قول الشيخ محمد بن زايد: « كما شاركت وتشارك بفعالية في الجهود العلمية والبحثية الدولية الهادفة إلى إيجاد علاجات ولقاحات للفيروس، وتعاونت مع مختلف دول العالم لتحقيق هذا الهدف...»[1].

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.

وكذلـك في هـذا التصريـح إذ يـدلي بقولـه: «لقـد عـبر إطـلاق «مسـبار الأمل» إلى المريـخ، ـــ في خطـوة هـي الأولى مـن نوعها على المسـتويين العربي والإسـلامي ـ والبـدء في إنتـاج الطاقـة النوويـة للأغـراض السـلمية مـن محطـة « براكـة « للطاقة النوويـة السـلمية، والـذي جعـل الإمـارات أول دولـة عربيـة تنتـج الطاقـة النوويـة لأغـراض التنميـة، عن لحظتين اسـتثنائيتين في تاريخ الإمارات والمنطقـة العربية..»[1]

إن خطـاب سـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد ليـس فقـط مـدا لفظيا أوتشـعبا لغويـا؛ بـل هو ملتقـى للمعارف والأفـكار الاجتماعيـة والتاريخيـة والثقافية وغيرها إذ تتفاعـل مـع بعضهـا البعـض معبرة عـن الإرادة المعرفية بشـكل واصـف لأهدافها ومحتوياتهـا؛ لتشـغل الخطـاب منظومـة معرفيـة لهـا وظيفتهـا وغايتهـا بحسـب متطلبـات النـاس المتباينـة لتلبيـة أغراضهـم ومقاصدهـم، وعليه فإن هـذا الخطاب يحيلنـا إلى مـداءات فسـيحة لسـياقات ومقامـات ومعـارف وثقافـات متعددة.

البعد السياسي للخطاب:

يشـهد الحقـل السـياسي في الإمـارات الكثـير مـن المسـتجدات عـلى المسـتوى الوطنـي والإقليمـي والـدولي؛ متمثلـة في عدة إصلاحات فهو حقـل للتعبير عن الآراء ومـا يقـترح مـن أفـكار ومواقـف حـول القضايـا المتجليّـة عـلى السـاحة السياسـية، ومـن ميكانيزمـات تشـمل جميـع المجـالات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة وغيرهـا، عـبر اسـتراتيجيات السـلطة وبرامجهـا لكسـب ثقـة الـرأي العـام، لتضمـن عمليـة الاتصـال بينهـا وبـين الشـعب وما هـذا الخطاب إلا وسـيلة من وسـائل هذا التواصـل ومنـبر مـن منابره.

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.

ويـأتي في طيّـات الخطـاب شرح لبعـض تفاصيـل سياسـات الدولـة الداخليـة والخارجيـة واسـتراتجياتها حيـث يقـول الشـيخ محمـد بـن زايـد:

«عملـت الإمـارات ولا تزال، بصدق من أجل إيجاد تسـويات مسـتقرة للأزمات التـي تعـاني منهـا المنطقة العربيـة والشرق الأوسـط، بالتعاون مع أشـقائها وشركائها وأصدقائها»[1].

يؤكـد صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد، عـلى الـدور الفعّـال لدولـة الإمـارات بتفاعلهـا الايجـابي مـع مـا يجـري في مناطـق الجـوار وفي العالم مـن أزمات وقضايـا عالقـة، ويمثـل هـذا التوجـه الاسـتراتيجي للدولة كمهام أساسـية من شـأنها ملاحظـة التطـورات والتغـيرات الدوليـة ومـا يتطلبـه الوضـع مـن تخطيـط كيفيات التعامـل والتوجيـه والتأقلـم، إلى كيفيّـة رسـم رؤيـة عميقـة وفاحصـة تحـت إدارة أسـس التفكـير الخـلاق في تحديـد ذلـك التوجـه في بلـورة الحركـة المسـتقبليّة بـكل كفـاءة وحنكة.

كـما تعـزم الدولـة عـلى مواصلة تقديـم خدماتهـا الجليلـة التي تضـع صورتها وسـمعتها أمـام مجتمعهـا والمجتمـع الـدولي على المحك باسـتثمار عنـاصر قوتها من امكانـات وطاقـات يقول صاحب السـمو:

«إنّ مواقـف دولـة الإمـارات تجـاه القضايـا الإقليميـة والدوليـة، كانـت ولا تـزال وسـتظل، مواقـف إيجابيـة ومسـؤولة، تدفـع دائمـاً في اتجاه السـلام، وتنبذ التدخـل في الشـؤون الداخليـة للـدول، وتحـترم القانـون الـدولي، وتدعـم كل ما من شـأنه تحقيـق مصالـح الشـعوب وتطلعاتها».

وفـق نـبرة تأكيـد وتَحَقُّـقْ بعيدا عن الاحتمال والشّـك يطرح الشـيخ محمد بن

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.

زايـد موقـف الإمارات تجـاه القضايـا الإقليمية والدوليـة بالموقف الإيجـابي والفعّال لترسـيخ المبـادئ والقيـم المنصـوص عليهـا دوليـا، والتـي تضمـن تلبيـة الطلبـات والاسـتحقاقات والاحتياجـات للشـعوب والأمم.

إنـه خطـاب يقـدم فيه صاحب السـمو برامج ومشـاريع الدولـة الماضية وما يسـتشرف منهـا؛ مـا تعلّق بقرارات السـلطة في علاقاتها الإقليميـة والدولية؛ يقول:

« لقـد فتحـت دولـة الإمـارات في عـام 2020 بابـاً واسـعاً للسـلام والتنميـة والاسـتقرار والأمـل في منطقـة الـشرق الأوسـط المشـحونة بالتوتـرات والصراعـات، مـن خـلال اتفاقيـة السـلام التي وقعتها مـع دولة إسرائيـل برعاية الولايـات المتحدة الأميركيـة الصديقـة»(1).

وفي هـذا الإطـار يمـضي سـمو الشـيخ بتعزيـز موقـف الدولـة الـذي يعتـبره موقفـا شـجاعا تجـاه هـذه المسـألة يضيـف:

«ودولـة الإمـارات تعمـل وسـتعمل من أجل السـلام الإقليمي الشـامل الذي يسـتفيد منـه الجميـع ويحقـق مصالـح الجميـع ويعـزز أركان الاسـتقرار والأمـن في المنطقـة، ويوجـه المـوارد والطاقـات لخدمـة شـعوبنا والارتقـاء بها، وتمهيـد الطريق أمـام الأجيـال القادمـة نحو غد أفضـل..»(2)

هـيّ نظـرة الدولـة في تسـيير علاقاتها الخارجيـة وموقفها من الإنسـان عامة؛ ومـا سـينجر عليـه الموقـف عـلى المجتمـع الإمـاراتي؛ ويواصل سـمو الشـيخ في تأييد وتأكيـد واعتنـاق هـذه المبادئ في رسـم إسـتراتيجية الدولـة مصرحا:

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.
2 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.

«إن مواقف دولة الإمارات تجاه القضايا الإقليمية والدولية، كانت ولا تزال وستظل، مواقف إيجابية ومسؤولة، تدفع دائماً في اتجاه السلام، وتنبذ التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وتحترم القانون الدولي..»[1]

إنّ خطاب صاحب السموالشيخ محمد بن زايد خطاب منظم؛ فيه أفكار وبرامج لها صدى في نفس وفي فكر المتلقي؛ حيث يعتبر خطابه خطاب سلطة موضوعه السياسة؛ يتناول قضايا النظام الاجتماعي، ومشكلات ما يجري في الواقع المحلي والخارجي وهو ذو منحى قومي يهدف إلى مراعاة مصالح الوطن العليا من جهة، ومن جهة ثانية يعمل على تعبئه الرأي العام المحلي والخارجي لتحقيق غرضه وما يراه من أهداف.

البعد الوطني للخطاب:

إن الوطنيّة فكرة كامنة في الذات؛ خامدة في النفس لا يوقظها إلا خطاب صاحب حكم أو صاحب قلب باللّغة والبلاغة، لكون الإنسان يرتبط وجدانيا وشعوريا بمكان النشأة، وفيه تمتد جذوره، وتنطلق حواسه، لتمزج فيه البعد الطبيعي مع البعد الرمزي ليتمثل كل مقوماته من قوميّة وتاريخيّة وثقافيّة..

وإن الوطنية تعمل على تعميق وعي الإنسان وحسه الوطني والقومي لصناعة المثال والتعلق به، وهي صناعة شعرية في صميمها يصبح بوسع الإنسان عند ممارستها أن يرى ذاته وينشد أحلامه، ويشكل انتمائه للبيئة والمحيط.

يقول الشيخ محمد بن زايد: «في هذه المناسبة الوطنية العزيزة، نترحم على أرواح شهدائنا البواسل الذين قدموا أرواحهم فداء للإمارات وجسدوا أخلاق

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49، 2 ديسمبر 2020.

شـعبها في الدفـاع عن الوطـن بالدمـاء والأرواح...»[1]

و يستحضر صاحب السمو أحد أركان الوطن ورموزه، في قوله:

«ونسـتحضر الـدور الوطنـي الشـامخ لقواتنـا المسـلحة الباسـلة عـلى جميـع المسـتويات، داخـل الوطـن وخارجـه.. فهـي رمـز عـزة الإمـارات ومنعتهـا ووحدتهـا...»(2)

هكـذا وفي لحظـة غبطة وانتشـاء يسـتذكر الشـيخ محمـد بن زايد ويسـتحضر رمـوز ومعـالم الوطنيـة اسـتحضار من شـأنه بعث الـروح الوطنيّة في نفوس الشـعب الإمـاراتي الـذي يتوجـه إليـه صاحب السـمو بالدعـاء الوطني الخالـص إذ يقول:

«.. وإلى شـعب الإمـارات العزيـز، متمنيـاً أن يديـم اللـه عـلى دولـة الإمـارات الاسـتقرار والعـزة والتقـدم والازدهـار.

وكل عام والإمارات وشعبها بخير وعزة ووحدة واستقرار.»(3)

إن الشـيخ محمـد بـن زايـد يعمل حثيثـا وبـكل جديّة وحرص على مد جسـور الثقـة بـين مختلـف الشـعوب العربية، والعالميّـة، لتسـتعيد القوميـة العربية دورها المحـوري في المنطقـة، فخـلال السـنوات الأخـيرة هنـاك العديـد من التحديـات التي تواجـه المنطقـة؛ مـما يسـتوجب تضافـر الجهـود، وذلـك في العديـد مـن المجـالات؛ سـواء الاقتصاديـة والاسـتثمار والتجـارة.. وغيرهـا، مـما يسـهم في تعميـق العلاقـات المتينـة بـين مختلـف الشـعوب العربيـة التـي تنشـد السـلام والأمـن والاسـتقرار في مواطنهـا وتحـت رفرفـة علمهـا ونشـيد وطنهـا؛ الذي يبكيـه صاحب السـمو وتدمع

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني 49
2 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني 49
3 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني 49

العين حين سماع موسيقاه؛ يقول صاحب السمو:

«لقد سمعت الكثير من المقيمين في وسائل التواصل الاجتماعي وهم يرددون النشيد الوطني ، وأود أن أعترف للجميع والله يا أهلي بأنّه عندما سمعتكم ترددون النشيد الوطني للإمارات بأنّ دمعة عيني نزلت.»(1)

يسجل صاحب السمو في هذا التعبير نقل شدّة تأثره لسماعه النشيد الوطني الذي يهدف إلى تنمية العاطفة الوطنيّة لدى المستمعين؛ بما يتضمّنه هذا النشيد من دلائل على التعلق بالهوية وبالضمير الحي، وما ينطبع عليه وما يحمله من معان في الأذهان متوافقًا مع الفطرة، وفي لحظة «التغني بأمجاد الوطن وبالرموز البشرية التي قدمت لوطنها أعمالاً تعتبر خالدة على مر العصور، ليس من أجل التغني بها فحسب، بل من أجل حث أبناء الوطن على اقتفاء أثر هذه الرموز والسير على الطريق الذي احتضنه»[2] بما يوقد الحماس في النفوس ويعلي من الهمم.

إن النشيد رمز المكان والكيان، يحث المواطن على التعلق بأرضه ووطنه باحترامه والاعتزاز به والمحافظة عليه، يظهر أمجاد الوطن ومحاسنه مع التركيز على تاريخ الوطن المشرق، ويلقي الضوء على البطولات والتضحيات في سبيل الوطن، فالنشيد هوعين منابع الأمل و شرفات تطلعات المستقبل.

يركز خطاب الشيخ محمد بن زايد على ما يشدّ انتباه المتلقي وما يمكن أن يجعله مندمجا فيه فيسلط الضوء على مناطق عميقة في النفس؛ ويحاول أن يستخرج ما يخزّن فيها من الاعتزاز بالتاريخ والماضي التليد، وما يفضي إلى رسم

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع المسؤولين في كافة القطاعات حول الجهود الوطنية لمكافحة جائحة كورونا، 2021/3/31.

2 راتب قاسم عاشور : المهارات القرائيّة والكتابية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2005 ، ص280

غـد أفضـل ويفتـح الأفـاق أمام المواطـن من معاني الأمـاني والمعـالي.. وما يطهر الذات مـن هواجس المسـتقبل والمصير

هكـذا ترصـد مختلـف خطابـات الشـيخ محمد بـن زايد في بعض القبسـات المضيئـة فيهـا؛ إلى مـا تحيل إليه مـن لفت انتباه للمتلقي إلى القيـم الوطنية، هادفة في ذلـك إلى تنميـة حـب الـخير والعطـاء والتضحيـة والكرامـة الإنسـانية؛ وهو معبر للسـمو الأخلاقـي، يدفـع إلى حـب الـبشر، ويـنشر عـبير الأخـوة الإنسـانية ونفحات البطولـة القومـي ؛ ويعمـل على ملامسـة شـعور المتلـقين ومخاطبـة مـا في نفوسـهم مـن مقـدس وعزيـز من تاريـخ الآبـاء ومجـد الأسلاف ومرجعياتهم

المبحث الثاني

الأبعاد التداولية لخطاب صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد

سنحاول في هذا المستوى من التحليل، النظر إلى خطابات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد من زاوية تداولية بحتة، مبنية على مفهومين أساسيين وهما: مفهوم التلفظ أو نظرية التلفظ في التحليل التداولي بالإضافة إلى استراتيجيات التأثير في المخاطب.

يعد مفهوم التلفظ من المباحث اللسانية التداولية، غير أن الطرح اللساني الذي ينطوي تحته مفهوم التلفظ ليس لسانيات اللغة، بل لسانيات الكلام، فحينما فرق فرديناند دي سوسور بين اللغة والكلام؛ كان يقصد باللغة الموروث الجماعي الموجود في كافة أذهان الجماعة اللسانية المتكلمة بلغة ما، أي هو الرصيد الكامل من المفردات والعبارات وكل استراتيجيات اللغة الموجودة على مستوى أذهان الجماعة اللسانية، أما الكلام فهو التحقق الفردي والعيني لذلك المخزون، لذلك يمكن القول أن الكلام هو استعمال ذلك المخزون أواللغة في حال التحقق والاستعمال، واللسانيات التداولية في عمومها هي دراسة اللغة في حال الكلام بمعنى حال الاستعمال، لذلك تتجه أغلب الدراسات التداولية إلى أثر اللغة على المخاطبين أوما يسمى بالتلفظ أوأفعال الكلام أواستراتيجيات الخطاب في التأثير على المتلقين، ونستنتج من كل هذا أن التلفظ أوالحديث في جوهره يقترن

بمفهـوم الـكلام، كـما أنه مفهـوم يتناول بالدراسـة والتحليـل اللغة حـال التلفظ بها، وهـذا مفـاده الاهتـمام بالمتكلـم بالدرجـة الأولى دون إهمال المتلقـي كذلك بوصفه شريـكا في العمليـة التلفظيـة، يقـول عبـد السـلام المسـدي في هـذا السـياق: «يمكـن تحديـد التلفـظ بالنسـبة للغـة بوصفه حـدث امتلاك اللغـة، فالمتكلم يمتلـك الجهاز الصـوري للغتـه ويعلـن عـن موقعه كمتكلـم من خلال أمـارات خاصـة، لكن بمجرد أن يقـوم بذلـك يقـوم في الآن ذاتـه بتنصيـب الآخـر قبالتـه أيًا كانت درجـة الحضور التـي يحولهـا للآخر»[1].

مـن خـلال هـذا الـكلام نسـتنتج أنّ للمتلقـي المسـتمع أوالمخاطَـب دورا محوريـا في منظـور نظريـة التلفـظ، «إذ لا يمكـن تصـور حـدوث عمليـة تلفـظ أوحديـث أوكلام مهـما كانـت طبيعتـه دون وجـود متلـق ولـو كان افتراضيـا، هنـا يتحـول المتلقـي في إطـار نظريـة التلفـظ مـن مجـرد مسـتهلك سـلبي ليس لـه تأثير فعـلي عـلى مضمـون الـكلام إلى شريـك مهـم في عمليـة الـكلام أوالتلفـظ. وبهـذا الاعتبـار يصـل فيهـا المتلقـي الى مسـتوى المتكلـم ذاتـه إذ يصـلان باعتبـار أهميـة كليهـما إلى حـد الاندمـاج «(2).

1 عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، ص 31.

2 ينظـر: ذهبيـة حمـو الحـاج، لسـانيات التلفـظ وتداوليـة الخطـاب، دار الامـل، تيـزي وزو، الجزائـر، ط2، 2012، ص 93

أولاً : المتلفِظ المخاطِب وعلاقته بالمخاطَب في خطابات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان

تظهر شخصية المخاطِب في بنية الخطاب بالإحالة على ذاته من خلال عبارات دالة على ذلك تظهر شخصية المخاطب (المتكلم) مثل ضمائر المتكلم المفرد أوالجمع، ومنه قول سمو الشيخ خطابه « إخواني وأخواتي وأبنائي .. نحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا لكي نصل إلى ما وصلنا إليه، وسدد خطانا للخير والبناء والتنمية، وأدعوه أن يمنحنا القوة والعزم لتحقيق طموحات وتطلعات شعبنا، حتى نسلم الراية إلى الأجيال المقبلة كما سلمها لنا الآباء والأجداد»(1). وهذا الكلام يظهر حضور شخصية المتكلم على عدة مستويات فباستعمال صيغة ياء النسبة يلفت السامع إلى تحمله كافة المسؤولية دون إقصاء فبقوله إخواني وأبنائي يكون قد لفت إلى حضوره وتصدره للمسؤولية، وبلفظ الأخوة والبنوة يكون قد نفى عن نفسه بصفته متكلما كل إمكانية للتسلط فيكون قد فتح باب التشارك ومراعاة المخاطَب.

ومما يدل على حرص الشيخ محمد بن زايد في خطاباته على إبراز دور المستمع، وتأكيده على نهجه التشاوري التشاركي؛ استعماله ضمائر المتكلم المفرد في السياقات التي يؤكد فيها على تصدره المسؤولية وتحمله أعباءها واستعماله ضمير المتكلم في صيغة الجمع عند حديثه عن منجزات الدولة ونجاحاتها؛ ليجعل من المستمع المتلقي شريكا في تلك النجاحات وليس مجرد متلقٍ أو مستهلك لاغير، ويظهر ذلك جليًا في قوله « إخواني وأخواتي وأبنائي .. نحمد الله

1 كلمة سمو الشيخ بمناسبة العيد الوطني 49 بتاريخ 02 ديسمبر 2020.

سـبحانه وتعـالى أن وفقنـا لـكي نصـل إلى مـا وصلنا اليه، وسـدد خطانا للخـير والبناء والتنمية».

ومـن بـين الأشـياء المهمـة في هـذا المسـتوى مـن التحليـل؛ مراعـاة الفروقـات الطبيعيـة بـين المتلقـين للخطـاب، وهـم في هذا الشـعب الإمـاراتي بمختلـف أطيافه، فمنهـم عموم الناس والمثقفون والشـباب والشـيوخ والرجال والنسـاء، وتفطنا لذلك يظهـر سـمو الشـيخ في صعـوده ونزولـه بمسـتويات الخطـاب وضمائـر المخاطـب المسـتعملة وعيـا اسـتراتيجيا بهـذا الاختـلاف على مسـتوى المسـتمعين، ولا أدل على ذلـك مـن تركيـزه الدائـم على شـعب الإمـارات عمومـا وتأكيـده على ذكـر المقيمين بهـا وفي هـذا اسـتراتيجية خطابية تؤكد وعي الشـيخ بقيمة الجاليـة المقيمة في دولة الإمـارات ودورهـا المهـم في بناء الدولـة- بالإضافة إلى أن ذكرهـم وتوجيه الكلام لهم يضفـي لديهـم مـن الحميمية مـا يجعلهم مؤمنـين بدورهـم الفعال في بنـاء الدولة، وينمـي إلى ضمائرهـم بأـنهم ليسـوا مجـرد عنـاصر وظيفيـة أو أيـد عاملـة تـؤدي عمـلا بمقابل.

الزمان/المكان في خطاب سمو الشيخ:

ونقصـد بـه انتبـاه الشـيخ محمـد بـن زايـد في خطابه لأهميـة الزمـان والمكان ومراعاتـه لذلـك في بنيـة خطابـه، وتظهـر مراعاتـه للزمـن على وجـه الخصوص على مستو يين:

تنويهـه بـالماضي مـن خلال تكـرار ذكـر أعمال صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد وتوصيتـه الدائمـة على ضرورة الحفـاظ على إرثـه والاعتراف بفضلـه إذ يقـول: « نتذكـر المغفـور لـه الشـيخ زايد بن سـلطان آل نهيـان وإخوانه مـن القادة المؤسـسين، رحمهـم اللـه وأسـكنهم فسـيح جناتـه، الذيـن وضعـوا معـالم الطريـق

الـذي سرنـا ونـسير عليـه اليـوم وغـداً»(1).

بالإضافـة إلى تأكيـده عـلى اهتمامه بالظرف الراهـن ومراعاته من أجل الحفاظ عـلى مكتسـبات الدولـة والاسـتمرار في الرقي مسـتقبلا، يقـول: « لقـد واجهت دولة الإمـارات، مـع بقيـة دول العـالم، التحديـات الصعبـة التـي سـببتها جائحـة كورونـا « كوفيـد - 19»، واسـتطاعت، بفضـل اللـه، ثـم الجهـود المخلصـة والصادقـة لفـرق خـط الدفـاع الأول، وروح الفريـق الواحـد بـين مؤسسـاتها، ووعي شـعبها والمقيمين عـلى أرضهـا، وجاهزيتهـا الصحية وبنيتهـا التكنولوجيـة المتقدمة.. أن تقـدم نموذجاً فاعـلا وإنسـانيا، في التعامـل مـع الجائحـة وإدارة آثارهـا وتداعياتها» هـذا بالإضافة إلى تأكيـده في الخطـاب ذاتـه عـلى ضرورة اسـتمرار العمـل من أجل جعـل الإمارات الدولـة رقـم واحـد في العـالم سياسـيا واجتماعيـا وتكنولوجيـا واقتصاديـا خـلال الخمسـين سـنة المقبلـة بحـول الله.

ثانيا: استراتيجيات التأثير والإقناع:

إن الاسـتراتيجية مصطلـح كغـيره مـن المصطلحـات التـي دخلـت منظومـة النقـد المعـاصر، مـع ظهـور العديـد مـن مناهـج النقـد الأدبي التـي حاولـت علمنـة النقـد الأدبي، بمعنـى إعطائـه طابعـا علميًـا دقيقًـا، ورغـم أنّ اتجاهـات مـا بعـد البنيويـة ثـارت عـلى أهـم المبادئ التي حاولت مـن خلالها علمنة الخطـاب النقدي، ومـن بـين أكـثر هـذه المبـادئ مقولـة المحايثـة البنيويـة ذات الطابـع الأرثوذوكـسي المغلـق والمتزمـت، غـير أنّ هذه الثـورة لم تكن تفكيكًا وهدمـا عدميًا لكل طروحات البنيويـة، بـل ظلـت الكثير من سـمات المحايثة البنيوية ظاهـرة وفاعلة في طروحات

1 كلمة سمو الشيخ بمناسبة العيد الوطني 49 بتاريخ 02 ديسمبر 2020.

النقـد مـا بعـد البنيـوي فبتعبـير «جـاك دريـدا» فالنقـد الأدبي بنيـويً في كل عـصر، بفعـل جوهـر، وبفعـل مصـير لم يكـن ليعـرف ذلـك، وأصبح يـدرك الآن وهـو يفكر اليـوم في نفسـه، في مفهومـه في نظامـه و طريقته»[1]. وكذلك قيـام الطرح التفكيكي على فكـرة مفادهـا «لا شيء خـارج النـص» هـذه الفكـرة التـي جعلـت الكـثير مـن طروحات البنيوية تبقى مسـتمرة في الطرح ما بعد البنيوي وإن كان حضورها ليس بتلـك السـطوة والحضـور الكامـل، ليبقى الحاضر مـن تلك المفاهيـم جوهرها الذي يُنشـد الدقـة والتحليـل العلمـي البحت، ولعل مـن بين المفاهيم التـي بقيت متأثرة بطروحـات المحايثـة البنيويـة هـو مصطلـح الاستراتيجيـة الـذي يحيـل إلى نـوع من الدقـة والتحليـل والإعـداد للمواجهـة، ولعـل السـبب وراء اسـتخدام هـذا المصطلح الـذي يحيلنـا إلى وجـود جـو مـن الصراع الـذي يفـرض وجـود خطـة أواستراتيجيـة -بالمصطلـح الحـربي- للمواجهـة، وهـذا راجـع إلى أن النظـرة التداوليـة -على وجه الخصـوص- للغـة تـرى أنهـا تكاد تكـون أقرب إلى حالة الشـد والجـذب بين المتكلم والمسـتمع أوالمرسـل والمرسـل إليـه، وهـذا مـا يجعلهما في شـبه مواجهـة تفرض على المتكلـم اتخـاذ إجـراءات واستراتيجيـات تمكنـه مـن التـأثير على المسـتمع وإقناعـه ذلـك الإقنـاع في الطـرح التـداولي يعـد مـن بين أهم وظائـف اللغة

1 جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 1988، ص 133.

1. في مفهوم التأثير:

إن التأثير لغة من الأثر؛ أي أن الأثر هو بمعنى تأثيرك على الشيء؛ والذي تتركه عليه، ويعد مصطلح الأثر من بين المصطلحات التي يشيع استخدامها في مختلف اتجاهات النقد المعاصر، ففي الطرح التداولي تعني استراتيجات المتكلم للتأثير في المتلقي فيصبح بنتيجة شريكًا في إنتاج الخطاب، أما في إطار نظريات القراءة فيقصد بالأثر ما يسمى بالبياضات النصية التي تعد استراتيجيةَ كتابةٍ جوهرها محاولة مخالفة أفق توقع القارئ وبهذا المنظور يكون المتلقي شريكا في إنشاء الكلام أصلاً، أما في الطرح التفكيكي فالأثر هو: مفهوم على قدر كبير من الأهمية وهو ما يجعل من مقولة الاختلاف ومقولة الحضور/الغياب أمر ممكن التحقق.

غير أنّه وفي المفهوم اللساني التداولي فإن الأثر هو عمل المتكلم (المرسل) على توجيه الفهم لدى المتلقي؛ بمعنى محاولته من خلال الأساليب اللغوية المستعملة توجيه المتلقي إلى النقطة التي يريدها هو؛ ومن بين الأساليب الشائع استعمالها في مثل هذا المقصد هو استعمال العبارات الدالة على المشاركة بين المتكلم (المرسل) والمتلقي (المرسل إليه)، بحيث يجعل المتلقي شريكاً فاعلا وليس مجرد مستهلك للخطاب، هذا يحدث لدى المتلقي نوعًا من النشوة والثقة بالنفس؛ التي تجعله يتبنى أفكار المتلقي وكأنّه هو من صاغها أوعلى الأقل من شارك في صياغتها وإعدادها.

إنّ مفهوم التأثير يتجلى في الخطابات (خاصة السياسية والوطنية منها كونها موجهة لعموم الجماهير قصد توجيههم) والمتحدث المخاطِب في مثل هذه المقامات لا يكون حرًا في خطاباته تلك الحرية المطلقة، فحريته لا يمكنها تجاوز

حيـز سـعيه إلى توجيـه أفهـام المسـتمعين الوجهـة التـي يريدهـا، ولهـذه الأسـباب تبـدأ الكثـير من الخطابات السياسـية والوطنية بعبارات التحية والبسـملة والشـكر، وهذا الأسـلوب الذي يبدأ به سـمو الشـيخ كافة خطاباته، وفي هذا نوع من التهيئة التفاعليـة للمسـتمع كي يتمكـن المتكلـم من توجيه دفـة الفهم لـدى المتلقي، ولعل مـن بـين أذكى أسـاليب الحـث العاطفـي أوالمشـاركة الوجدانيـة اسـتخدام العبارات الدينيـة كالبسـملة والحمدلـة وذلـك أنّ أغلـب المسـتمعين مسـلمون تؤثـر فيهـم هـذه العبـارات وتسـتثير وجدانهـم، وإلى جانـب هـذا فقـد أبدى الشـيخ محمد بن زايـد تأثـره الشـديد برؤيـة المسـاجد مغلقـة بسـبب الوبـاء، إلى جانـب اسـتخدامه لمصطلـح **دور العبـادة** للتأكيـد ضمنيًـا أنّـه لا تمييـز بـين أبنـاء الشـعب أوالجاليـات المقيمـة عـلى أسـاس ديني.

ومن الاستراتيجيات المشابهة لهذا والتي تؤدي غرضا مماثلاً؛ استعمال العبارات الدالة على المشاركة لجعل المستمع شريكاً، من أمثلة ذلك قوله: «اليوم، إخواني وأخواتي وأبنائي .. نحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا لكي نصل إلى ما وصلنا اليه، وسدد خطانا للخير والبناء والتنمية، وأدعوه أن يمنحنا القوة والعزم لتحقيق طموحات وتطلعات شعبنا، حتى نسلم الراية إلى الأجيال المقبلة كما سلمها لنا الآباء والأجداد.. عالية خفاقة في السماء، يُشار إليها بالبنان، ويُضرب بها المثل في التقدم والتفرد على جميع المستويات» ومنه كذلك قوله في خطاب آخر «ونحن في دولة الإمارات علينا مسؤولية حماية وطننا وأهلنا والمقيمين على أرضنا»(1)، وهذه الأمثلة والاقتباسات من خطابات صاحب السمو المفعمة بمعاني المشاركة خصوصا من خلال استعمال ضمير المتكلم بصيغة الجمع، وهذه العبارات التي تعج بها

1 كلمـة الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان بمجلسـه في قصر البحـر بحضـور عـدد مـن الشـيوخ والـوزراء والمسـؤولين 2020/3/16ـــ

خطابات سموه إلى جانب التواضع الظاهر فيها من خلال جعل القيادات السياسية لدولة الأمر ليست الفاعل الأساس في التطور والنجاحات التي تحققها بل هي مجرد طرف وشريك، بينما الطرف الآخر هو الشعب الإماراتي (وهو المتلقي المستمع في الخطابات الوطنية للشيخ محمد بن زايد)، ولا يستثني سموه من خطاباته الجالية المقيمة على الأراضي الإماراتية يضاف إلى هذا أنَّ هذا الأسلوب هو استراتيجية تأثير فعالة كونها دفع للمتلقي ليحس بضرورة المشاركة الفعالة في المشاريع التنموية للدولة بصفته طرفًا فاعلاً ومؤثرًا .

2. قوانين التأثير في مختلف الخطابات:

إذا كان التأثير في المتلقي غاية العملية التواصلية، وإن كان هذا التأثير نتيجة لذلك قد يكون عكسيًا بحيث يؤثر المتلقي على المرسل في شكل جدلي- كون المخاطِب في الوقت الذي يفكر فيه في ردات فعل المتلقي وكيفية التعامل معها يكون المتلقي قد أحدث تأثيره على المرسل، وكان مؤثرًا على بنية الخطاب في حد ذاته، فإن هذا يحتم على المخاطِب اتخاذ إجراءات وتدابير خطابية تمكنه من النجاح في التأثير على المتلقي، إنها الإجراءات التي يمكن عدها القوانين التي ينبغي الالتزام بها لإحداث التأثير، وهذه القوانين يمكن استنباطها من مبادئ» غرايس GRISE» الأربعة(1) وهي:

1. حكم الكميَّة: بما أنَّ الهدف من العملية التواصلية هو الإخبار، بمعنى تبليغ معلومات معينة للمتلقي، وجب أن تكون تلك المعلومات كافية بحيث تحقق نوعًا من الإشباع لدى المتلقي وتجيب على كافة تساؤلاته.

1 ينظر: ،هبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ ص 190.

2. حكـم الصـدق: بمعنـى موافقـة المعلومـات المبثوثـة في الخطـاب لواقـع الحـال، فيكتسـب المخاطِـب مصداقيـة لـدى المخاطَـب.

3. **حكـم العلاقـة:** بمعنى علاقة مضمـون الخطاب بمقتضى الحـال، وهو أقرب إلى القانـون البلاغـي العـربي القديـم «مراعـاة الكلام لمقتـضى الحال».

4. **حكـم الشـفافيَّة والوضـوح:** بحكـم أن الغمـوض (وهـو ظاهـرة بلاغيـة في الغالـب) يتنـافى مـع الوظيفـة الإخباريـة للخطـاب؛ خاصـة إن كان سياسـيًا ــو وطنيـا؛ فهـذا النمـط مـن الخطابـات أن يكـون مبـاشرًا مـن غـير الوقـوع في فـخ الشـعبوية»(1).

يمكـن مـن خلال هذه الأحكام الأربعة أن نسـتنبط قوانـين التأثير في الخطابات والبحـث عـن تجليـات هـذه القوانـين في خطابـات الشـيخ محمـد بن زايـد، والنظر في مـدى تحققهـا في مواجهـة متلقـين لهـم خصوصيتهـم؛ وهـم الشـعب الإمـاراتي بمختلـف أطيافـه وكـوادره؛ بالإضافـة إلى خصوصيـة المرحلـة فجميـع الخطابـات المدروسـة هـي في مرحلـة الوبـاء العالمـي كوفيـد 19.

أ - قانون الإفادة:

ويُقصـد بـه مـا يحصلـه المتلقـي مـن معلومـات بعـد الاطـلاع عـلى مضمـون الخطـاب، وهـذا الأمـر هـو محـور الإنتـاج الخطـابي، فالمخاطِـب يهـدف إلى إيصـال معـارف ومعلومـات بعينهـا إلى المتلقـي بقصـد تهيئتـه أوتوجيهـه والتأثـير عليـه، وبهـذا يكـون قانـون الإفـادة أمـرً محوريًـا في الاسـتراتيجيات الخطابيـة، وكل

1 ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

الأنماط الأخرى تدور حول حكم الإفادة وهو أكثر صحةً ودقة من الأحكام الأخرى(1)، ووفقًا لهذا القانون يكون الخطاب الناجح هو الذي يحقق نوعًا من الأثر المعلوماتي والمعرفي لدى المتلقي، يتناسب مع غاية المخاطِب من إلقاء الخطاب ويتناسب كذلك مع أفق توقع المستمع الذي يرغب في أن يحصل استفادة معرفية من اطلاعه على مضمون الخطاب فتكون طبيعة العلاقة هنا بين المخاطِب والمخاطَب براغماتيّة؛ بحيث يقاس نجاح الخطاب بمدى الفائدة التي يحدثها لدى المستمع، وخطابات الشيخ محمد بن زايد التي تتحدث عن جائحة كوفيد 19، ووفقاً لهذا القانون لا تحقق إفادتها بكم المعلومات التي توفرها حول الفيروس وطبيعته؛ فالخطاب لا يصدر عن طبيب متخصص في علم الفيروسات، بل يصدر عن قائد سياسي يتوقع منه أن يقدم معلومات مفيدة حول استراتيجيات الدولة في التعامل مع آثار الفيروس على المستوى الصحي والاقتصادي، وقد ركزت خطابات الشيخ محمد بن زايد كثيرا على هذا الجانب نذكر من ذلك قوله: « كانت الرؤيا غير واضحة سابقا ولكن اليوم باتت واضحة وفي اعتقادي بأن العالم ولأول مرة يسجن نفسه تطوعا؛ ولأول مرة تتفق البشرية على عدو واحد وتقف لتحاربه وهو فايروس كوفيد19- وأقول لكم اطمأنوا نحن على مشارف الوصول للنتائج الإيجابية، صحيح بأنها مرحلة تحد ولكن ستمر بإذن الله وسنخرج من هذه الأزمة. وفي النهاية أقول لكم بأنكم جعلتمونا نفتخر أمام العالم بجهودكم رغم كل التحديات فشكرا لكم»(2)، وفي هذا الكلام الذي يختصر مضمون الشيخ محمد بن زايد طمأنة للمتلقين وتأكيد

1 ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ، ص 191.

2 كلمة سمو الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع قطاع الصحة في 2020/5/13.

عـلى جاهزيـة الدولـة للتعامـل مـع آثـار الجائحـة، ومـا يتوقعـه المسـتمع غالبًا من خطـاب كهـذا هـو معرفـة اسـتراتيجية الدولـة وخططهـا للتعامل مع هكـذا ملمات ليكـون مطمئنـاً، وإن غايـة السـلطات الأهـم هـي الوصـول إلى ذلـك.

ب- قانون الصدق:

الصـدق هـو مطابقـة الـكلام للواقـع، والـكلام الذي يصـح الحكم عليـه بمنطق الصـدق والكـذب هو الـكلام الإخبـاري، أي أن هذا يكون في حالـة تقديم معلومات أوإحصائيـات مثـلا، والحقيقـة أن الصـدق كـما يقول غرايـس يحتاج جهـداً أكثر من الصـدق، فالصـدق في حالـة الخطـاب الوطني عـلى وجه الخصوص لا يتطلب سـوى نقـل المعلومات كـما هي وتبليغهـا للمتلقي.

وفي حالـة خطابـات الشـيخ محمـد بـن زايـد فإنّهـا تـدور مـا بين الأسـاليب الكلاميـة التـي لا تخضـع لقانـون الصـدق والكـذب كونها خطابات شـكر وتشـجيع لمختلـف أجهـزة الدولـة والشـعب الإمـاراتي نظـرًا لجهودهـا الناجعة في تجـاوز آثار الجائحـة، وفي هـذه الحالـة لا يمكـن إخضـاع الـكلام لمنطـق الصـدق، وهـذه براعـة ظاهـرة في اختيـار أنمـاط الخطـاب أمـا في الحالات التـي يتحدث فيها الشـيخ محمد بـن زايـد حـول الإجـراءات والتـدابير والإحصـاءات المتعلقـة بالجائحـة، فهنـا يمكـن الحكـم عليهـا بالصـدق كونهـا تقـدم معلومـات يمكن التأكـد منهـا في أرض الواقع،» فالصـدق يؤكده سـياق الـكلام»(1).

1 ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ، ص 192.

ج- قانون الإخبار والشمول:

الإخبار هو جوهر الخطاب والمقصد الأساس من إنشائه أصلاً، فالمخاطِب يهدف إلى إيصال كم من الأخبار والمعلومات إلى المتلقي، وإلا فما الغاية من وراء الخطاب أصلاً، والمخاطِب بناء على هذه القاعدة يجب أن يقدم كما من المعارف والمعلومات التي ينبغي أن تكون عامة وشاملة وملمة بالموضع (موضوع الخطاب) وإلا جاء الخطاب مهلهلاً ناقصًا، لذلك وجب تزويد المتلقي بمعارف ومعلومات شاملة حول الموضوع، يقول ديكرو: «على المخاطِب تقديم المعلومات اللازمة والتي يملكها عن موضوع الخطاب وغرضها إفادة المخاطب»، وفي حالة الخطاب السياسي والوطني؛ يتجنب المخاطِب الخوض في تفاصيل الموضوع التي تقوده إلى الغوص في المسائل وتحتم عليه التحليل العميق المتخصص وتجعله مجبرًا على تقديم الحجج والبراهين على ما يقوله وهذا ما نلمسه في حالة خطابات الشيخ محمد بن زايد، فهي تستوجب طبيبًا ومتخصصا في الإحصاء، فالخطاب الوطني يستوجب نوعاً من الذكاء الذي يوجه ويتحكم في أفق توقع المخاطَب؛ ويجعله يسلك المسلك الذي يريده له المخاطِب؛ وفي حالة الخطابات قيد الدراسة يوجه أفق القارئ إلى الموضوع وغايته وهي النتائج الفعليَّة والميدانية لسياسات الدولة في مواجهة الجائحة بحيث لا تهم كثيرًا تفاصيل طبيعة الجائحة، ومن هنا يتحقق الإخبار والشمول في الخطاب على النحو الذي يريده المخاطِب وبتوجيه المخاطب إلى الموضوع الذي تتحصل له من الفائدة والمعرفة.

ويخضع قانون الإخبار والشمول لقدرة المتكلم ومعارفه وقدراته، وكذا إلى موضوع الخطاب، وبما أنّ موضوع الخطابات هو فايروس كورونا، فإن من ذكاء

المخاطِـب هـو تحويـل طبيعـة الخطـاب مـن الحديـث عـن الجائحـة إلى الحديـث عـن آثارهـا، وبالمـوازاة وبمـا أنّ خطـاب الشـيخ محمـد بـن زايـد مناط بـه الخوض في تفاصيـل متعلقـة بطبيعـة الفايـروس، فإننـا نجد صاحب السـمو يعمـد إلى تكرار عبارات الشـكر والمديح للطواقم الطبية على جهودها في مكافحة الفيروس، فالتكرار كما هـو الحـال يعـد «سـلوكاً في الكتابـة تنتـج عنه ظاهرتـان، إعادة الـكلمات يعني التخفيـض مـن عـدد المعلومات، كما أنّه يجبر المتلقـي على الدخول في الموضوع على النحـو الـذي يريـده لـه المخاطِـب»(1) كل هذا مـن أجل تحصيـل الإقناع

إن الإقنـاع مـن الناحيـة اللغويـة هـو جعـل مـن تحـاوره راضيـا بمـا تعرضـه عليـه مـن أفـكار، ويمكـن تحقيـق ذلـك بمختلف الوسـائل اللغويـة والاسـتراتيجيات الخطابيـة المتاحـة، وذلك بالتأثـير العاطفي أوبالمنطق الاسـتدلالي أوبالحجج العقلية والبراهـين، وهـذا المصطلح هو مقابـل للكلمة اللاتينيـة (Persuderer) والملاحظ في هـذه الكلمـة أنهـا تتكـون من مقطعين هـما: (Per) بمعنـى العاطفـة و (suderer) بمعنـى يحـث»(2) أمـا عـن المقصود مـن وراء هذه المفـردة هو: «أن تجعل شـخصًا مـا يفعـل أو يعتقـد شـيئًا مـن خلال الحـث العاطفـي»(3) ويمكـن تعريـف الإقناع كذلـك بأنّـه «فـن حمـل الآخريـن عـلى التفكـير والسـلوك في الاتجـاه المرجـو»(4)، وغالبًـا يكـون هـدا الإقنـاع عن طريق أسـاليب تأثـير عاطفي أوحجـج وبراهين ذات طابـع عقـلي منطقي.

1 ينظر: ذهبية جمو الحاج، لسانيات التلفظ ص 193.
2 كريمة احسن شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، دار أسامة للنشر، الأردن، ط1، 2015، ص 117.
3 المرجع نفسه، ص ن.
4 المرجع نفسه، ص ن.

وإذا دخلنا إلى ميدان الاقناع بالحجج والبراهين فنحن أمام ما يسمى بالحجاج وهو واحد من بين أهم الاستراتيجيات الخطابية والمباحث التداولية، ومفردة الحجاج في جذرها اللغوي البحت تعود إلى الحج بمعنى القصد ومنه جاءت تسمية ركن الحج في الإسلام قال تعالى: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا»(1)، وفي هذا الدليل على أنّ الحج بمعنى القصد والمحجوج المقصود وعليه فالحجة بمعنى البرهان ما قُصد منه الإقناع واستخدام ذلك يسمى المحاججة أوالحجاج؛ الذي يكون في حالات النزاع والخلاف بوساطة الأدلة والبراهين ويكون هذا قريبا من الجدل أوبالأحرى قريبا من المناظرة التي تعد ميدانا مهما من الميادين الفكرية في التراث الإسلامي، غير أنّ جذر الحجاج هو الحجة والمناظرة من النظر؛ وهو ضرب من ضروب إعمال الفكر والتدبر وعليه تكون المناظرة قريبة جدا من مفهوم الحجاج كونها منازعة وجدال فكري يكون بين طرفين مختلفين يهدف كل منهما إلى دحض حجج الأخر؛ وإثبات وجهة نظره بالحجج والبراهين الممكنة.

إنّ الحجاج في الاصطلاح «هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»(2)، وهنا نفهم من الكلام أن الحجاج استعمال للغة بقصد الإقناع والإفهام بالحجة مع إتاحة الفرصة للآخر للرد والمحاججة، وكل هذا يتم بالإجادة في استعمال الأساليب اللغوية المتاحة مع امتلاك الحجة والقدرة على إثباتها، «فللحجة وجهان تختص بهما يتمثل الأول في

1 سورة الحج الآية 27.

2 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لالمغرب، ط1، 1998، ص 226.

إفـادة الرجـوع أوالقصـد؛ إذ أن الحجـة مشـتقة مـن الفعـل حـجَّ الـذي يعني قصد أورجـع إلى.. فتكـون الحجـة أمـرا نرجـع إليـه أونقصـد إليـه لحاجتنـا إلى العمـل به ... والثـاني يتمثـل في إفـادة الغلبـة، ذلـك أنّ الفعل حـجّ يدل أيضا عـلى معنى غلب فيكـون مدلولـه إلـزام الخصم بالحجـة»(1).

ويعـد الناقـد البلاغـي الغـربي «شـيم بيرلمـان» أهـم مـن أسسـوا لمقـولات الحجـاج في النقـد الأدبي المعـاصر، والميـزة الأسـاس لتوجهـات بيرلمـان في التنظـير للحجـاج والإقنـاع هـو أنّـه يـكاد يوحـد بين الخطابـة والإقنـاع إذ ينظـر إلى الخطابة باعتبارهـا فـن الإقنـاع، والحجـاج هو مجموعة من الأسـاليب أوالتقنيـات التي تقوم في الخطـاب بحمـل المتلقـي عـلى الإذعـان لمـا يعرض عليـه؛ أوالزيـادة في حجم ذلك الإذعـان، وفي هـذا السـياق يـرى بيرلمـان أن موضـوع نظريـة الحجـاج هـو دراسـة التقنيـات الخطابيـة التـي بدورهـا تدفـع أوتحمـل الأذهـان إلى التسـليم لمـا يعرض عليهـا مـن أطروحـات أوالزيـادة في حجـم ذلـك التسـليم.

يفهـم مـن هـذا الـكلام أن مفاهيم وتنظيرات شـايم بيرلمـان تتموضع في صميم التفاعـل بـين الخطيـب وجمهـوره، وإن صلـة هـذه المفاهيـم بمفهـوم الخطابـة من المنظـور الأرسـطي لا غبـار عليها، لكـن لم يكتف بيرلمان بمجرد النقـل والتقليد حيث ركـز عـلى مفهـوم صناعـة الجـدل من جهـة وصناعة الخطابـة من جهة أخـرى، وقد جعـل مـن الحجـاج أمـرا ثالثـا مفارقـا لهـما رغـم اتصالـه بهـما، فالحجـاج يأخذ من الجـدل التمـشي والتأثـر الذهنـي الذي يقـود إلى التأثير في المتلقـي وإذعانه، فمجاله العقـل والإدراك، حيث يتوسـل المسـلمات لإلـزام الخصم وإفحامـه والخطابة تتمثل

1 المرجع نفسه، ص 137.

في توجيه السلوك.

وبما أنّ الحجاج يعد مكوناً أساسيًا من مكونات الخطاب، ومنتهى الغاية من الحجاج هو إقناع المتلقي بمقصد المتكلم الباث، فإن الإقناع هو لب العملية التواصلية وجوهرها والغاية المطلوبة من حدوث فعل التواصل أصلا، كما أن الإقناع إلى جانب كونه غاية هو كذلك وسيلة فعالة تجعل الفرد يتصرف ويفكر إراديًا وفق المنحى الذي أراده له القائم بالإقناع؛ وهو في الوقت نفسه هدف؛ فإذا وصل إليه القائم بالإقناع يستطيع أن يعتبر نفسه قد نجح في مهمته، وهنالك من يوصّف هذه العملية بمعنى القوة، لأن القوة بهذا الاتجاه هي جعل الناس يتصرفون وفق إرادة ومصالح القوة عبر آليات وتقنيات معينة، وإن هذه التقنيات والآليات هي ما نسميه استراتيجيات الخطاب الإقناعي وهي الهدف والغاية من هذه الدراسة، إذ سنعمل على تبيان أساليب الإقناع واستراتيجياته في خطابات سمو الشيخ محمد بن زايد.

والخطاب الوطني في كل العصور يعالج الأمور التي تتعلق بشؤون الدولة، و إن أغلب الخطابات ترمي إلى جعل المتلقين يشاركون المخاطِب في آرائه وطريقة تفكيره في شتى الأمور، وكذلك استقبال عواطفه الخاصة، وبقول شامل جعلهم يتعاطفون معه، وهذه النتيجة يصل إليها منشئ الخطاب من خلال غرس أفكاره في أذهانهم بواسطة الكلمات(1)

1 ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ، ص 159.

3. استراتيجية المشاركة:

إنّ الخطابـة تعنـي التوجـه بالـكلام إلى كافـة الجماهـير بمختلـف أطيافهـم ومسـتوياتهم لمعالجـة قضايـا سياسـية وثقافيـة واجتماعية وتنموية مرتبطة بمسـيرة بنـاء الدولـة ومنهـج عملهـا وسياسـاتها تجـاه شـعبها إزاء القضايا المصيريـة المرتبطة بتطـور الدولـة وتنميتهـا، وبمـا أنّ الخطـاب أوالمخاطبـة تعنـي في بعـض دلالاتهـا اللغويـة والاصطلاحيـة المشـاركة والتعـاون، وبمـا أن الجمهـور الـذي يقصـد مـن الخطابـة السياسـية هـو عمـوم الشـعب وجـب مخاطبتـه بصفتـه شريكا في مسـيرة بنـاء الدولـة، وهـذا أمـر لا يخفـى عـلى الشـيخ محمـد بـن زايد وقـد ظهـر جليًا في كافـة خطاباتـه، وقـد يهـدف مـن خـلال اسـتراتيجية المشـاركة إلى أمريـن:

الأول اسـتمالة عمـوم الجماهـير عاطفيـا مـن خـلال الأسـاليب الدالـة عـلى الأخـوة أوالبنـوة أوالأبـوة، وقـد أسـلفنا ذكرهـا مـن قبـل، ومـن الأمثلـة عليهـا قول الشـيخ محمـد بن زايد: «الإخـوة والأخوات والأبنـاء .تحتفل دولة الإمارات بمناسـبة اليـوم الوطنـي التاسـع والأربعـين، في مرحلة فارقة في تاريخها، تقف خلالها موشـحة بالفخـر والعـزة، ومفعمـة بالطمـوح والأمـل» وفي موضـع آخـر من الخطاب نفسـه «اليـوم، إخـواني وأخـواتي وأبنـائي .. نحمـد اللـه سـبحانه وتعـالى أن وفقنـا لكي نصل إلى مـا وصلنـا اليـه، وسـدد خطانا للخير والبنـاء والتنميـة»(1)، وإذا نظرنـا إلى الأمر مـن زاويـة إحصائية فقد اسـتخدم سـمو الشـيخ عبارة إخـواني وأخـواتي وأبنائي مثل اللازمـة التـي تتكـرر باسـتمرار في أجـزاء كثـيرة مـن الخطابـات، وفي هـذا اهتـمام واضـح بـضرورة الاسـتمالة العاطفيـة لعمـوم الجماهير.

1 كلمة سمو الشيخ بمناسبة العيد الوطني49، بتاريخ 02 ديسمبر 2020

- أما الأمر الثاني الذي يستهدف من مثل هذه الاستراتيجية هو توعية الجماهير بأهمية المشاركة الفعالة في تطبيق سياسات الدولة ونجاحها، وهذا أمر على قدر كبير من الخطورة؛ وقد استخدم الشيخ في كافة خطاباته أساليب وعبارات تدعو الشعب الإماراتي وعموم المقيمين في دولة الإمارات إلى ضرورة المشاركة في مسيرة التنمية كما تدعوهم للمساهمة الفعالة في تطبيق سياسات الدولة وإنجاحها على أرض الواقع يقول: «لقد واجهت دولة الإمارات، مع بقية دول العالم، التحديات الصعبة التي سببتها جائحة كورونا « كوفيد - 19»، واستطاعت بفضل الله، ثم الجهود المخلصة والصادقة لفرق خط الدفاع الأول، وروح الفريق الواحد بين مؤسساتها، ووعي شعبها والمقيمين على أرضها، وجاهزيتها الصحية وبنيتها التكنولوجية المتقدمة.. أن تقدم نموذجاً فاعلا وإنسانيا، في التعامل مع الجائحة وإدارة آثارها وتداعياتها على مختلف المستويات، مع إعطاء الأولوية القصوى لصحة الناس وسلامتهم في كل خطط وإستراتيجيات المواجهة، لأن الإنسان هو المحور الأساسي لمشروعنا التنموي»(1).

وفي هذا الجزء من الخطاب إلى جانب تركيز الشيخ محمد بن زايد على أهمية المشاركة الجماهيرية في سياسات الدولة، هنالك لفتة في غاية الدقة والذكاء وذلك باعتبار عمل الشعب ووعيه في مواجهة جائحة الكورونا هو الأساس في نجاح دولة الإمارات في تجاوز الأزمات التي خلفتها الجائحة التي كانت كارثة حقيقية على اقتصادات الكثير من الدول، بالإضافة إلى تلميحات الشيخ إلى استثمار ما يعرف عند المتخصصين في شؤون التنمية بالرأس مال البشري في حين

1 كلمة سمو الشيخ بمناسبة العيد الوطني49، بتاريخ 02 ديسمبر 2020.

لا يخفى على أبسط المتابعين لشؤون الدول والسياسات أنّ إرادة الدولة وحسن تدبير المسيرين والقادة ضروري وأساسي في أية مسيرة تنمية، وإن الشيخ محمد بن زايد على الرغم من تأكيده على أهمية دور المشاركة الشعبية في نجاح سياسات الدولة، فإنه لا يلغي أبدا دور القيادات الفعال كذلك في التنمية يقول: «ندخل العام الخمسين من عمر دولتنا الفتية وتجربتنا الوحدوية الفريدة، ونحن أكثر قوة وثقة في النفس والقدرات، وأشد عزماً على بلوغ أهدافنا خلال الخمسين سنة المقبلة، تحت قيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله، لتكون دولة الإمارات، كما نتطلع ونستهدف، أفضل دولة في العالم بحلول الذكرى المائة لإنشائه»(1).

ويمكن لمن يتتبع خطابات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد يتنبه إلى تركيزه على نمطين من استراتيجية المشاركة وهما المشاركة العاطفية وتظهر من خلال الخطابات التي تستهدف عاطفة الجمهور وتتجلى في الخطابات التي تستعمل عبارات الأخوة والبنوة التي سبق لنا الإشارة إليها، أما النمط الثاني من المشاركة هو المشاركة بدافع الواجب وتتجلى في الأمثلة التي سبق لنا ذكرها والتي تتعلق بضرورة وأهمية دور الجماهير في تجسيد مشاريع التنمية ونجاحها، «وهو لهذا السبب يستعمل جميع وسائل الإقناع المتاحة ، بحيث لا يكف عن محاولة الإقناع إلاّ عندما يستنفد جميع ما في متناوله من وسائل»(2) ويستند إلى أساليب فيها شيء من التلطف حتى يكتسب ثقة من يسمعه معالجا وبحذر

1 كلمة سمو الشيخ بمناسبة العيد الوطني49، بتاريخ 02 ديسمبر 2020.

2 محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي «محاولة منهجية» د .م. ج، الجزائر 1995، ص 14.

الأحـوال العاطفية للمسـتمعين بمختلف أشـكالها(1).

ومـن الأسـاليب التـي اسـتخدمها الشـيخ محمد بـن زايد -وهـي تحمل دلالات المشـاركة- هـو اسـتخدام ضمـير المتكلـم بصيغـة الجمـع، في مخاطبتـه لمسـتمعيه ومعـروف في اللغـة العربيـة أن اسـتخدام ضمـير المتكلـم بصيغـة الجمـع رغـم أن المتكلـم واحـد قـد ورد هـذا في أسـلوب القـرآن الكريـم في مواضـع عديـدة منهـا في قولـه تعـالى في سـورة يوسـف «نحن نقـص عليك أحسـن القصـص»(2)، والله تعالى واحـد أحـد غـير أنّ دلالاتهـا البلاغيـة في اللغـة الغربيـة توحـي بعظمـة المتكلـم في أحايـين كثـيرة، إلا أنّ قصـد الشـيخ مـن اسـتعمالها في خطاباتـه كما يظهر مـن قوله: «لقـد حققنـا الكثـير عـلى المسـتويين الداخـلي والخارجـي خـلال العقـود الماضيـة، لكننـا نتطلـع لتحقيـق الأكـثر خلال العقـود المقبلـة»(3).

قصـد الشـيخ محمـد بـن زايـد مـن هـذا قـد يحمـل عـلى أمريـن إمّـا تواضـع المخاطـب فينسـب مـا حققتـه الدولـة مـن نجاحـات إلى تكاتـف جهـود الدولـة بمختلـف قطاعاتهـا مـع وعـي الشـعب بخطـورة الأمـر، كـما يحمـل الأمـر إذا نظرنا إليـه بمنطـق تـداولي أنّـه إعـمال لمبـدأ الحـث أوالتحفيـز العاطفي من خـلال جعل المسـتمع يـرى نفسـه شريـكًا في النجـاح وليـس مجـرد متفـرج، وهذا هو ما يسـمى بمبـدأ المشـاركة العاطفيـة.

إنّ أشـكال المشـاركة التـي أوردناهـا في هـذا البـاب تنـدرج في إطـار ما يسـمى

1 ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ، ص 161.
2 سورة يوسف، الآية 3.
3 كلمة سمو الشيخ بمناسبة العيد الوطني49، بتاريخ 02 ديسمبر 2020.

بالمشـاركة الوجدانيّـة أو العاطفيـة(1)، غـير أنّـه يمكـن الحديـث عـن نمـط آخر من أنمـاط المشـاركة في الخطـاب وهـو المشـاركة بالإكـراه أو بالقوة، وهذه الاسـتراتيجية غـير محببـة وممجوجـة نظـرًا لطبيعتهـا القائمـة على التهديـد عن طريق اسـتخدام الإمكانـات البلاغيـة التأثيريـة للغـة التـي تمكـن مـن حصـول حالـة مـن الخـوف تدفـع المتلقـي مرغـمًا إلى تبنـي أفـكار المخاطـب ولو من بـاب المـداراة ودفع الشر، ومعـروف عـبر التاريـخ القديـم والمعاصر الكثـير من الخطابـات المؤثرة التـي ألقاها قـادة وسياسـيون مسـتبدون وديكتاتوريـون، وهـذا مـا لا يتـماشى مع التوجـه العام لدولـة الإمـارات نحـو فتح المجال أمام الحريّات وحقوق الإنسـان كما أوردنا سـابقًا.

ولعـلّ مـن أهـم الأمثلـة التاريخيـة عـلى الخطابـات السياسـية التـي تبنـت خطـاب القـوة والإكـراه هـي خطابـات «الحجاج بن يوسـف الثقفي» الـذي قيل إنّ وقـع بلاغتـه كان أحـد مـن وقـع سـيفه، وشـهرة خطاباتـه لا تحتاج حتـى أن نعرف بهـا، غـير أنّهـا تعد مثـالا متميزًا على قوة ما يسـمى المشـاركة بالإكـراه. وعدم ورود أمثلـة عـن هـذه الاسـتراتيجية في خطابـات الشـيخ ليـس عجـزًا عـن اسـتعمالها في الغالـب بـل هـو العزوف عنه كونـه يتنافى مع سياسـة الدولة تجاه شـعبها، ولو كان الخطـاب موجهًـا لجهـة تجـب مواجهتهـا بالقوة والحـزم اللازمين فحينها كنا سـنجد في خطابـات سـموه مـا يسـمى باسـتراتيجية المشـاركة بالقوة والإكـراه هذه.

1 تعـد مقولـة المشـاركة العاطفيـة التـي أوردناهـا هنـا امتـدادًا لمقولـة ضاربـة في تاريـخ البحـث في فـن الخطابـة، إذ هـي تـقترب إلى حـد بعيـد مـن مقولـة التطـهير عنـد أرسـطو التـي أوردهـا في حديثـه عـن التراجيديـا،

4. المخاطِب وموقعه في الخطاب:

المخاطِب هنا هو منشيء الكلام أصلا وبالتالي حضوره يكون في كل أجزاء الخطاب بأسلوبه (يقال في بعض اتجاهات النقد الأسلوبي أنَّ الأسلوب هو الرجل) واستراتيجياته في الخطاب، وهذا الأمر مفروغ منه بل هو في حكم البديهي فكل كاتب أومتكلم إلاّ وله أسلوبه الخاص في الكتابة والتعبير وهو ما يؤثر على طبيعة الخطابات وجودتها الأسلوبية، وفي حالة الخطاب السياسي يضاف إلى الأسلوب القدرات الخطابية للمخاطِب وقدرته على الارتجال في حالات تعامله مع الجماهير بشكل مباشر.

غير أنَّ الحضور الذي نقصده ونحاول إبرازه هنا هو مواضع حديث المخاطِب عن نفسه باسمه أو بمختلف الأساليب الدالة على ذاته، وكل ذلك بالشكل الذي يجعله يستخدم حديثه عن نفسه كاستراتيجية من استراتيجيات الإقناع، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «وفي هذه المناسبة أوجه التحية والتقدير إلى عناصر هذه الفرق، وأشكرهم باسم كل مواطن ومقيم على هذه الأرض المعطاءة»(1) وكذلك قوله: «أنا اليوم سعيد بمستوى الخدمات التي تقدم لكل من يرغب في إجراء الفحوصات من مواطنين ومقيمين على هذه الأرض» «وأرجع وأشكر الكوادر الطبية ووزارة الصحة من أصغر موظف إلى أكبرهم ..الذين وقفوا خط الدفاع الأول وفي الصفوف الأمامية»(2) وقوله: «تحياتي وشكري لكل العاملين في القطاع الصحي، اليوم أنتم الخط الأمامي لأمن وصحة واستقرار

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني ديسمبر 2020.

2 كلمة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان بمجلسه في قصر البحر بحضور عدد من الشيوخ والوزراء والمسؤولين 2020/3/16ـــ

وليـس صحـة الـبشر فقـط وإنمـا اقتصـاد البشر ومسـتقبل الـبشر وأمن الـبشر»(1)، ومـن خلال كل هـذه الأمثلـة نـدرك أنّ جل السـياقات الخطابية التي اسـتعمل فيها ضـمير المتكلـم بصيغـة المفـرد تكـون في سـياق شـكر قطاعـات بعينهـا، والتـي تمثل جـزءا مـهما مـن الجمهور المتلقـي، وفي هذا حـث وتحفيز للمسـتمعين من مختلف فئـات الشـعب على تقديـم مزيـد مـن النجاحـات، ونذكـر هنـا أنّ الشـيخ محمـد بـن زايـد وعنـد حديثـه عن النجاحـات في شـتى الميادين أوحديثه عـن العمل على مزيـد مـن الإنجـازات والمضي في مـسيرة التطويـر؛ دائمـا مـا يسـتعمل صيغـة ضـمير المتكلـم بصيغـة الجمـع نحـن أوإننـا أوالأفعـال المضارعـة المتصلـة بالضمائـر الدالة على المتكلـم بصيغـة الجمـع، وفي اختياره هذا حث على ضرورة المشـاركة وتشـجيع أوتحفيـز عاطفـي للجمهـور كونهـم جـزء مـن صناعـة النجاحـات، أما في السـياقات التـي تسـتوجب شـكر قطاع مـن قطاعات الشـعب على النجـاح في مشروع ما، مثل شـكره قطـاع الصحـة على نجاحـه في التصـدي للجائحـة، فأمعـن في تقديـر جهـوده وقـال إن نجاحهـم في ذلـك ليـس نجاحًـا صحيًـا فقـط؛ بـل أن لـه أثـرا بالغـا على اقتصـاد الدولـة، ولا يخفـى على أحـد الأثـر المدمـر لكورونـا على الاقتصـاد العالمـي، ويعتمـد صاحـب سـمو في مثـل هـذا المقـام على اسـتعمال ضـمير المتكلـم المفـرد أو مـا يـدل عليـه، وذلـك نـوع مـن التحفيز والدفـع العاطفـي الذي يدفـع مختلف فئـات الشـعب مـن المسـتمعين للخطـاب إلى مزيـد مـن الجديـة في العمـل كـون جهودهـم لـن تذهب أدراج الرياح بل سـتلقى الشـكر والتقدير مـن قبل أعلى هرم في سـلطات دولـة الإمـارات، وقـد يـأتي الشـكر مـن قبـل الشـيخ محمـد بـن زايد في

1 كلمة سمو الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع قطاع الصحة في 2020/5/13

صيغة الجمع ولكنه لا يخرج عن هذا الإطار كون حديثه بصيغة الجمع في هذه الحالة إنّما يكون نيابة عن السلطات الإماراتية.

5. المخاطَب وموقعه في الخطاب:

المخاطَبون في خطابات سمو الشيخ موضوع الدراسة هم في الغالب عموم الشعب الإماراتي ينضاف إليهم المقيمون على تراب الدولة، وهذا أمر على قدر كبير من الأهمية كونه يفرض على المخاطِب مراعاة عموم المخاطبين دون إهمال الفروقات بينهم سواء في المستوى التعليمي الذي يفرض صياغة الخطاب بلغة مفهومة دون الوقوع في فخ الإسفاف والشعبوية، أم على مستويات أخرى، هذا بالإضافة إلى أنّ الكثير من المقيمين في دولة الإمارات يدينون بديانات مختلفة تفرض على المخاطِب احترام حرياتهم الدينية دون إهمال دور الإسلام بوصفه دين الأغلبية في التأثير على مشاعر وعواطف المتلقين ولا أدل على ذلك كثرة استخدام العبارات الدينية في كل الخطابات ولكن بالقدر اللازم، هذه هو مفهوم التسامح الذي تبنته دولة الإمارات.

وبما أنّ هذه الخطابات قد جاءت في حقبة جائحة كورونا، فقد كان موظفو الصحة والكوادر الطبية هم أبرز من وجه إليهم الخطاب بشكل مباشر، هذا بالإضافة إلى أنّ قطاعا هاما ممن يتوجه إليهم الخطاب هم مسؤولون فاعلون وقادة وسياسيون مهمون، ومن ذلك كلمة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان بمجلسه في قصر البحر بحضور عدد من الشيوخ والوزراء والمسؤولين 16/3/2020، وهذا يفرض على الشيخ محمد بن زايد مراعاة كل طبقات المتلقين فلكل ضرب من السامعين ما يصلح من لغة وأساليب (هذه القاعدة تسمى مراعاة المتكلم

لأحـوال السـامعين وهـي مسـتمدة مـن القاعـدة البلاغيـة مراعـاة الـكلام لمقتـضى الحـال)، ويجتمـع كل ذلـك في توليفة أسـلوبية تناسـقية تجعل من الخطـاب خطابًا متكاملا.

وإنّنـا - إذ نتحـدث عـن المخاطَـب وموقعـه في الخطـاب فكأنّنـا نتحـدث عـن وجـود نـوع مـن الجـدل أوالمحـاورة بين المخاطِـب والمخاطَـب، وهـذا الأمـر في مثـل هـذا النـوع مـن الخطابـات غير متـاح كونـه لا يحتـوي على متسـع للحـوار، بـل يكـون إنشـاء الخطـاب غالبًـا مـن جانب المخاطـب فقـط، كونـه في الغالب يتم الاسـتعداد لـه مسـبقًا، غير أنّ إلقـاء الكلمـة على الجمهور بشـكل مبـاشر يتيح حيزاً مـن المحـاورة التـي تؤثـر على بنيـة الخطاب كـون المخاطِب يرصد دومـا ردات فعل المسـتمعين الحضـور إذا مـاكان الإلقـاء بحضـور جماهيري كما هـي حالـة خطابـات سـمو الشـيخ موضوع الدراسـة، فالجمهور في هذه الحالات لهم ردات فعل عديدة تشي بطبيعـة تأثرهـم بالخطـاب، كمثل التصفيق مثلا، أوالضحـك التفاعلي وتقطيب الحواجـب، ومختلـف الحـركات التي يقـوم بها الجمهور والدالـة على نمط معين من التفاعـل العاطفـي، والمخاطِـب الـذي يرصـد ردات الفعـل هـذه يوجه خطابـه بناء على دراسـته وفهمـه لـردات الفعـل فيزيـد أوينقـص أو يركـز على بعـض العبـارات أو يرفـع مـن صوتـه عنـد بعـض الـكلمات كما يطيـل في خطابه أو يخـتصر بناء على ردات الفعـل تلـك، وبمـا أنّ الخطـاب يسـجل في شـكل فيديـو فإنـه سـيكون إذ ذاك متاحًـا لعمـوم الشـعب، فـإن المخاطِـب في هذه الحالـة لا يكتفي برصـد ردات فعل الحاضريـن والتعامـل معهـا وفـق ما تقتضيـه استراتيجيات الخطابة، بـل هو يتعامل مـع كافـة أطياف الشـعب الذين سـيطلعون على مضمون الخطاب إمـا كتابيا أوعن طريـق الوسـائط السـمعية البصريـة، وبالتـالي يكـون المخاطِب مـجبرًا على توقع كل المتلـقين وتوقـع آفـاق انتظارهـم مـن الخطـاب واتخـاذ الاستراتيجيات اللازمـة التي

تراعـي خصوصيـات كل المتلـقين، وعلى هـذا الأسـاس ورغـم كـون الخطابـة لا تتيح لصاحبهـا المحـاورة المبـاشرة إلا أن الخطيـب الحـذق المتمرس يسـتطيع التعامل مع كافـة أطيـاف المتلـقين لخطابـه مـن المسـتمعين في القاعـات إلى القـراء إلى المتتبعين على الشاشـات ووسـائط التواصل السـمعي البصري، ومن الأمثلة على انتباه الشـيخ محمـد بـن زايـد لهـذه الأمـور، العنايـة بالجانـب الـجمالي والبلاغـي للخطـاب دون مبالغـة (وعـدم المبالغة في اسـتعمال الصـور البلاغية راجع كذلـك إلى مراعاة ظروف المخاطَـبين كـون أغلبهـم مـن عموم الشـعب ممـن لا يميلـون إلى البهرجـة البلاغية) بحيـث يكـون مادة سلسـة وقابلـة للنشر بكافة أشـكاله ومنه كذلـك عنايته بجانب السلامـة النحويـة، ومـن المواضـع التي اسـتخدم في التصوير البلاغي قولـه: «الكوادر التـي أخـذت على عاتقهـا مسـؤولية مواجهـة فيروس كورونـا المسـتجد في الصفـوف الأماميـة منـذ بدايـة الأمـر»(1)؛ وقولـه: «تحياتي وشـكري لـكل العامـلين في القطاع الصحـي، اليـوم أنتـم الخط الأمامي لأمن وصحة واسـتقرار وليـس صحة البشر فقط وإنمـا اقتصـاد الـبشر»(2) وهـذا مقطـع بلاغي اسـتعاري من كلام الشـيخ محمد بن زايـد غير أنَّـه لا ينطـوي على عنايـة شـديدة بجانـب الاسـتعارة ومثلـه قولـه: «نحن في سـباق مـع الزمـن»(3) لكن تبقى الاسـتعارات والكنايات التي يسـتعملها الشـيخ مؤثـرة على الجانـب الـجمالي دون أن تقـع في المبالغـة في العنايـة بالتصويـر التـي تـؤدي إلى الغمـوض، فهو يـدرك الحدود الرقيقة بين الوضـوح والغموض والوقوع في فـخ أحـدهما نتيجـة الإفـراط في العنايـة بالصـور البلاغيـة من حيـث طبيعته

1 1 كلمـة الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان بمجلسـه في قصر البحـر بحضـور عـدد مـن الشـيوخ والـوزراء والمسـؤولين 2020/3/16ـــ

2 كلمة سمو الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع قطاع الصحة في 2020/5/13

3 كلمـة الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان بمجلسـه في قصر البحـر بحضـور عـدد مـن الشـيوخ والـوزراء والمسـؤولين 2020/3/16.

(بحيـث تكـون غامضـة تحتـاج عنايـة وتـأويلا) أومـن حيـث دروجهـا وكثرة اسـتعمالها أوالعـزوف عـن اسـتعمالها إطلاًقـا وهذا ما يجعـل الكلام مبـاشرًا، إضافة إلى اسـتحالة وجـود كلام بـأي لغـة يكـون خاليًـا مـن أي تصويـر بلاغـي، فاللغـة البشريـة كلهـا حتـى اليومـي منها ينطـوي على أسـاليب بلاغية، وإن كانت بسـيطة.

وجـه الشـيخ محمـد بن زايد رسـالة غير مبـاشرة لكبار المواطـنين حين جمعهم في قصر البحـر ،وكأنـه يقـول لهـم بـأن الأولويـة الأولى لقطاع الصحة أنتـم ،حيث أن هـذه الفئـة أكثر فئـة معرضـة لهذا الفايروس والتي يشـكل عليها خطـرا كبيرا، ولكن دولـة الإمـارات أعطـت هـذه الفئـة أولويـة في اللقـاح والـعلاج والرعايـة وتوصيتـه الدائمـة لأفـراد الشـعب على الاعتناء بهم

وحين نتحـدث عـن الخطـاب المؤثـر والـذي يمـر بسلاسـة إلى المتلقـي فإننـا نتحـدث عـن خطـاب الشـيخ محمـد بـن زايـد، فهـو خطـاب وصـل إلى قلـوب كل المواطـنين والمقيـمين على أرض الإمـارات، بـل رددوا كلمتـه «لا تشـلون هـم» والتي طمأن بهـا الجميـع فـيما يخـص الغـذاء والـدواء وبأنـهما أولويـة وسـيصلان للجميع ، فلا يحملـون هما ولا قلـق. هـذه الجملـة التـي قالهـا في قصر البحـر بين المواطـنين والمسـؤولين بعثـت الكـثير مـن الطمأنينـة والراحـة في انفـس الجميـع

ومـن الاستراتيجيـات التـي وظفتهـا خطابـات سـمو الشـيخ والتـي تـدل على عنايتهـا بالمخاطَـب، التركيـز على التكـرار الدائـم لذكـر عمـوم الشـعب الإمـاراتي مع التأكيـد الدائـم على ذكـر المقيـمين في دولـة الإمـارات ودورهـم في مـسيرة التطويـر والتنميـة وكذلـك واجـب الإمـارات دولـة وشـعبًا تجـاه الجاليات المقيمـة على تراب الدولـة يقـول الشـيخ محمـد بـن زايـد : «ونحـن في دولـة الإمـارات علينا مسـؤولية

حماية وطننا وأهلنا والمقيمين على أرضنا»(1).

ومـن المقاصـد التـي يحتملهـا تكـرار بعـض العبارات إضافـة إلى ما سـبق ذكره في عـنصر الإخبـار والشـمول، هو التـذكير والتأكيد على أهمية العنـاصر المكررة، كما أن للتكـرار فائـدة في ترسـيخ المكرر في أذهـان المتلقين

1 كلمـة الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان بمجلسـه في قصر البحـر بحضـور عـدد مـن الشـيوخ والـوزراء والمسـؤولين 2020/3/16.

الهوية؛ الأصالة والمعاصرة

المواطنة وفلسفة التعليم
في خطاب الشيخ محمد بن زايد

المبحث الأوّل

الهويَّة الوطنيَّة والأصالة والمعاصرة في خطاب الشيخ محمد بن زايد

أولا :الهوية الوطنية وتجلياتها في خطاب الشيخ محمد بن زايد

« تطلعات المواطن العالمي»:

يتعين علينا قبل الخوض في تفاصيل موضوعنا، تحديدِ مفهومِ للهويَّة، انطلاقاً من أَصلها اللغوي، ومروراً بمفهومها الاصطلاحي.

يقول أَبو البقاء الكفويّ معرِّفاً الهويَّة: (الهُوِيَّة: لفظ الهوية يُطلق على معانٍ ثَلَاثَة: التشخص والشخص نَفسه والوجود الْخَارِجِي. قَالَ بَعضهم: مَا بِهِ الشَّيْء هُوَ هُوَ بِاعْتِبَار تحَققه يُسمى حَقِيقَة وذاتاً، وَبِاعْتِبَار تشخصه يُسمى هوية).[1]

والهُويَّة كما ورد في المعجم الوسيط: هي (حَقِيقَة الشَّيْء أَو الشَّخْص الَّتِي تميزه عَن غَيره؛ وبطاقة يثبت فِيهَا اسْم الشَّخْص وجنسيته ومولده وَعَمله وَتسَمى البطاقة الشخصية أَيْضا)[2].

1 الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص961.

2 المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة:998/2.

وجاء تعريفها في معجم المنجد بأنها: (حقيقة الشيء أَو الشخص، المُطْلَقة؛ المشتملة على صفاته الجوهرية).[1]

هذا تعريف الهويَّة في المعاجم اللغويَّة، لكنَّ مصطلحَ الهويَّة قد صارَ من المُصطلحاتِ الشائعة في العصر الحديث، وقد تشعَّبَ فحملَ مدلولاتٍ عميقةٍ، وأَصبحَ ينطوي على تمفصلات قيم مهمَّة، وقد كثُر في الآونة الأَخيرةِ الحديثُ عنه في حقول البحثِ الأَدبيِّ والفكر الاجتماعي والسياسيِّ، وغيرها.

هكذا صارَ مفهومُ الهوية مفهوماً مُطْلَقاً يدلُّ على ماهية وحقيقة الفردِ والمجتمع، وانتماءاته التاريخية والفكريَّة والمكانيَّة، وعلاقته بالآخر، واندماجه أَو تميُّزه عن غيره.

يقول جون جوزيف:(إِنَّ هويَّتَك، بكلِّ بساطة، هي ماهيتك... وعليه، يوجد مظهران أَساسيان لهوية شخص ما: أَولهما: اسمه الذي يميزه عن غيره من الناس، وثانيهما ذلك الشيء غير الملموس والأَكثر تعقيداً وعمقاً، الذي يشكل، في الحقيقة، ماهية المرء، والذي لا نملك كلمة دقيقة تصفه)[2].

ذلك أنه متعلق بملابسات خاصة وثيقة الصلة بقيم تاريخية وأخرى مكانية، وكذا بانفعالات وتمظهرات يصعب تحديدها وفق رؤية واضحة ودقيقة.

وهناك نوعان من الهوية، هما:

أولا: **هويـة الفـرد:** و تنطـوي عـلى مفهومـين : مفهوم بسـيط متصل (بهوية بسـيطة) يتمثَّـل في البطاقة الشـخصية من الاسـم والعمر والصفـات الظاهرة، وبلد

1 المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف، ط8، بيروت، ص،ص:564-565.

2 اللغة والهوية، جون جوزيف، ترجمة: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، أغسطس 2007؛ ص85

الإقامة؛ ومفهوم مركَّب مفسر لمدلولات (الهوية المركَّبة) وهي ذات معنىً عميقٍ وبعدٍ فلسفي ونفسي واجتماعي، وهي التي تميِّزُ كيانَ الفردِ أَو الجماعة فكراً وعقيدةً وانتماء وطنيَّاً وقوميَّاً.

ثانيا: **هوية الجماعة**: وتتكوَّنُ من هذه الهويَّات الفرديَّة البسيطة والمركَّبة هويَّةً عليا هي هويَّة الجماعة، تجمع مجموعةً من الأفراد لهم انتماء واحدٌ وقيَمٌ ورؤىً وأَفكارٌ تُشكِّلُ أَهدافاً مُشتركةً وتنبع عن همومٍ واحدة.

وهذه الهوية العليا(هوية الجماعة) تنبثق في مبعثها بصورةٍ فطريَّةٍ وعفويَّةٍ، لكنَّها تتغذَّى قيميا من عوامل تُرسِّخها وتُعزِّزُ من انتماءِ أَفرادها لهويَّتهم.

والناظر في واقع الناسِ وفي ما كتبه علماء النفس والاجتماعِ ومُنظِّرو الفلسفة والفكر؛ يجد أَنَّ هناك مُشتركات وعوامل تنبني على أَساسها الهويَّة وتتميَّز، منها:

1-اللغة.

2-الدين.

3- التاريخ.

4 الوطن.

5-الفكر.

والملاحظ أَنَّ هذه العوامل المشتركة تعود في جوهرها إِلى وعاء قيمي عامٍّ يجمعها؛ لتلتقي عنده وتنصهر في بوتقتِهِ، وهذا الوعاءُ هو الثقافة بمعناها العامِّ الشاملِ الذي تلتقي في صميمه كُلِّ توجُّهات الأَشخاصِ ورؤاهم وأَفكارهم وهمومهم ونظرتهم للحياةِ.

ولذلك فإنَّ من أَهمِّ مُقوِّمات الهويَّة، والتي لا يمكن إغفال مركزيتها؛ «التراث الحضاري» ببعديه المادِّي والفكريِّ، ذلك أن الحفاظ على هذا التراث يُعدُّ سبيلاً مهمّاً من سبل الحفاظ على الهويَّةِ باعتبارها قوى كامنة داخل بنية المجتمع الواحد.

إن الأمم والمجتمعات إنَّما تتميَّزُ هويتها وتستقلُّ كينونتُها ويزدهرُ حاضرُها ومُستقبلُها بالحفاظِ على تراثها، فهذا التُراثُ يُمثِّلُ ذاكرةً حيَّةً وتفكيراً جمعيّاً يتمركزُ حوله المُجتمعُ، وينطلقُ منه نحو آفاقِ المستقبلِ الواضحة، وفقَ تشكُّلاتِ الماضي والحاضر من عواضل وإمكانات، وتحديات.

وهنا لا بدَّ من التنويه إلى أَنَّ تراثَ كُلِّ أُمَّةٍ يستقر على دعامتين؛ جانبٌ مادِّيٌّ يتمثَّلُ في الإرث المحسوسِ المُشاهد من أزياء وعمرانٍ وأَدواتِ عيشٍ، ونحوها من مظاهر الحياةِ المُعاشة؛ وجانبٌ غيرِ مادِّيٍ فكريٌّ قابع في حواضن الدينِ والأَفكارِ والرؤى، واللغةِ والآدابِ والفنونِ.

وهنا بالضبط، تترصدنا جدليّةٌ مهمَّة، هي جدليَّة الأنا والآخر، والتي تتبلور في مسارات ومداءات علاقاتٍ فلسفيَّةٍ واجتماعيَّةٍ مُتشابكة.

وبعد هذه المهاد النظريِّ لمفهوم الهويَّة وتمظهراتها ننتقل إلى دراسة الهويَّة الوطنيَّة وتجليَّاتها الفكريَّة في خطابات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان؛ الذي أولى أهمية كبيرة للتواصل مع مواطنيه.

تراعي التواصلية أولوية بالغة للتخاطب اللفظي، حيث أن» الكلمة المنطوقة الصادرة عن جسد، تبدو أقرب إلى فكر الخالق من الكلمة المكتوبة»[1] ذلك أن

1 رامـان سـلدن، موسـوعة كامبرج في النقـد الأدبي مـج 8-4، المجلـد الثامـن مـن الشـكلانية إلى مـا بعـد البنيويـة، مراجعــه وإشراف، مــاري تريــز عبــد المســيح المشروع القومــي للترجمــة، (د.ب)، (د.ط)، 2006، ص 136

لحضور المتكلم تأثيرا على صياغة الدلالات والمعاني، ، كما أن « سمة المباشرة في حقل الكلام تعطي قوة خاصة في أن المتكلم يعرف ما يعني، ويعني ما يقول، ويقول ما يعني، ويعرف ما يقول، وهو قادر فضلاً عن ذلك على معرفة فيما إذا كان الفهم قد تحقق فعلاً أم لم يتحقق»[1].

إنَّ الناظر في نهج دولة الإمارات العربيَّة المُتَّحدة؛ وفي خطابات قادتها يجد أَنَّ استراتيجية الحفاظ على الهويَّة الوطنيَّة يعد من المرتكزات الفكرية الأَساسيَّة التي قامت عليها الدولة؛ لكنَّ هذا الحفاظ على الهويَّة لا يلغي الآخر ولا يقصيه، ولا يمارس عليه الوصاية، بأي شكل كان؛ فهو يتعايش معه؛ ويتعاون من أجل نشر قيم السلام ومعاني الإِنسانيَّة، ولعلَّ من أَشهر العبارات التي نلفيها في هذا الفحوى؛ عبارة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان «رحمه الله»، إذ قال: **(إِنَّ من لا هويَّة له لا وجود له في الحاضر، ولا مكان له في المستقبل)** وهي عبارة عميقة في مفهومها، كما أنها تحملُ أَبعاداً واثقة ذات دلالات كبيرة، ورؤىً تدلُّ على عمق التجربة- المعرفية، وعلى رجاحة الفكر المتصل بالإحاطة بكوامن الذات بكامل خصوصياتها؛ وبمكونات ماهية الآخر -الذي تسعى هاته الذات العالمية على التواصل والتعاون والتعايش معه؛ وفق خطة معرفية متزنة، حيث أن الآخر يسكن كل ذات على نحو ما، وكما يقول باختين: « أن نكون يعني أن نكون للآخر وبالنسبة إليه ومن خلاله» ولكن هذا لن يتم داخل النظرة المنسجمة لمفهوم الهوية والعالمية، إلا وفق رؤية الشيخ محمد بن زايد، والتي تحاول طرح أسئلة جديدة ذات صلة حقيقية بمستجدات العصر، من

1 عصام عبد الله، جاك دريدا ثورة الاختلاف والتفكيك، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2008، ص 20

خـلال توفـير طروحـات معرفيـة ناضجـة ومتواصلة.

ونجـد للشـيخ محمـد بـن زايد، عبـارة تسـتقي من المشـكاة المعرفية نفسـها؛ إذ تسـتعير منهـا هـذه العبـارة العارفـة؛ إذ يقـول في خطـاب لسـموه في 13 يوليـو 2022: (سـيبقى تاريخنـا وهويتنـا وموروثنـا الثقـافي جـزءاً أساسـياً في خططنـا إلى المستقبل).

وهـو خطـابٌ يُنـمُّ عن وعـيٍ متزن بأَهميـة الهويـة الوطنية، ويدعـمُ ركائزها القويمـة، ويُعـزِّز معـاني الـولاء والانتـماء للوطـن، مـن خـلال الانطلاق مـن التاريخ والمـوروث الثقـافي، بعـدِّه دافعـا موثوقـا وراسـخا للمُضيِّ نحـوَ المُسـتقبلِ، وإنَّ هذا ليمثـل خطـا اسـتراتيجيا نابعـا مـن رؤيـة واضحـة لمـا ينبغـي أن تكـون عـلى وفقه الخطـط المسـتقبليَّة للدولةِ ومُؤسَّسـاتِها.

إن توجُّهـات ومسـارات الدولـة السياسـيَّة والاجتماعيَّـة تنطلـق مـن هـذه الثوابـت الأَصيلة-التاريـخ، والهوية، والموروث الثقافي-، لترسـم خططها المُسـتقبليَّة، وتترسَّـم الخُطـى الثابتـة الرصينـة نحـوَ آفاقِ المُسـتقبل؛ وإنـه لا يخفـى علينا ما في ذلـك مـن تعزيز أَواصر الانـتماء للوطن، وترسـيخ لمعاني الأُخوة والمحبَّـة والتعايش السـلمي، وتعمـل على أخلقـة الفعـل السـياسي في ذاتـه، ولذلـك نجـده يقـول في خطـاب توليـة الرئاسـة:(**وسـيكون تعاوننـا.. وتآلـف قلوبنـا.. والتفـاف شـعبنا حـول قيادتـه.. كما كان على الـدوام، مصـدر قوتنـا وعـزة دولتنـا)** إن هـذا يـدل على الرغبـة الجامحـة في إيصـال» قـدرة الحـس بالعدالة؛وهـي القـدرة على الفهـم والتطبيـق والعمـل انطلاقـا مـن مبـادئ العدالـة السياسـية التـي تعـي الشروط المنصفـة للتعـاون الاجتماعـي»[1].

1 جون راولز، العدالة كإنصاف إعادة صياغة؛ تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات

فهـذا التآلـف النابـع مـن الانتـماء للهويـة الوطنيـة هـو مصـدر القـوَّة والعزة للوطـن والمواطـن وللتعـاون الاجتماعـي؛ وهنـا عنـد هـذه العبـارات لا بـدَّ مـن وقفـة تأمُّـل، إننـا نجـد الشـيخ محمـد بـن زايـد يسـتخدم أُسـلوباً يرتكـز عـلى تقانـات حجاجيَّـة مـن أَجـل إيصـال رسـالته السـامية هـده، فمـن ذلـك اسـتخدام ضمـير الجمـع للمتكلمين(نـا) في قولـه: **(تعاوننـا... وتآلف قلوبنا.. شـعبنا... مصدر قوتنـا وعـزة دولتنـا)**. وهـو أُسـلوب إقناعـي يعتمد عـلى تقانـة التأثـير في المُتلقِّي؛ وتحريـك مشـاعره للوصـول إلى إقناعـه بفكـرة الانتـماء وبيـان أَهميتهـا وقيمتهـا، ذلـك أن الـكلُّ لـه الانتـماء نفسـه؛ ويعيـش واقعاً واحـداً؛ وينشـد مُسـتقبلاً واعداً؛ يعيـش في حـماه الجميـع في مجتمـعٍ متعـاون يعد بخـيرات هذا البلـد المعطاء، وإن كل ذلـك لـن يتـم مـن دون الانتـماء للهويَّـة الوطنيـة الواحدة، حيـث أن اللحظات التاريخيـة الحاسـمة للهويـة، تقـع داخـل بـؤرة رؤى تفـسر فيهـا، فالحفـاظ عـلى الهويَّـة هـو قيمـة تتعقل المجتمع وكينونته بوصفها مسـألةٌ ذات أهمية في سياسـة الدولـة، فرعايـة الـتراث والانطـلاق منـه للمسـتقبل، وربـط المـاضي بالحـاضر، هي قيـم تمثِّـل ثابتـاً صلبـا للهويـة الوطنية.

لذلـك فـإِنَّ شـعب الإِمـارات هـو المحـور الـذي يـدور عليـه اهتـمام الدولـة وقيادتهـا، يقـول الشـيخ محمد بن زايد: **(شـعب دولة الإمـارات وتمكينه.. كان ولا يـزال محـور اهتـمام دولتنـا المباركـة وعلى قمـة أولوياتها منذ نشـأتها.. وسـيظل منهـج راحـة المواطـن وسـعادته ورعايتـه الأسـاس في كل خططنـا نحـو المسـتقبل بـإذن اللـه تعـالى)**. ويؤكِّـد الشـيخ محمد بـن زايد على اعتـزازه بالإنسـان الإماراتي

الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص112

وفخـره بـه، يقـول: **(نحـن يـا إخـواني محظوظـون بهـذا الشـعب العزيـز.. شـعب أثبـت قبـل الاتحـاد وبعـده وفي كل المراحـل الصعبـة التـي مـرت بنـا.. أصالتـه وصلابتـه وإرادتـه القويـة وقدرتـه عـلى تجـاوز التحديـات.. اعتزازنـا وفخرنـا بالإنسـان الإمـاراتي لا حـدود لـه..)** إن الشـيخ محمـد بـن زايـد ينطلق مـن التعبير عـن «عـالم كائـن» شـهد وقائـع بعينهـا، متشـوفا إلى «العـالم القـادم».

وهنـا يُؤكـد أَيضـاً عـلى أَصالـة هذا الشـعب وصلابتـه، وفي ذلك لفتـة واضحة إِلى أَنَّ هـذه الأَصالـة هـي مصـدر قوَّة لهذا الشـعب ولهذه الدولة، مـا يحقق صفاء الحيـاة وديمومتهـا، فتكاتـف المُجتمع واعتـزازه بأَصالته يعتبر عن مبعث جسـارته، وهـذا بحسـبانه خيطـا ناظـما لاتصاله بالمـآلات الحضارية التـي يطلع إليها.

وإننـا نجـد الشـيخ محمـد بـن زايـد لا ينـسى التأكيـد عـلى قيمـة الهويَّـات الفرعيَّـة للمُقيمـين، وأَنَّهـا ينبغـي أَنْ تكـون كينونـات متشـابكة تزيـد مـن متانـة النسـيج الحضـاري للبلـد، مـن خـلالِ اندماجهـا في هويـة البلـد الأصيلـة وتآلفهـا معهـا، وتلاقحهـا، لتكـون رافـدا مـن الروافد التـي تتدفق في روح تشـكلات بواعث النمـوِّ والازدهـار، إذ يقـول: **(كـما نثمن الـدور الـذي يقوم بـه المقيمون على أرض دولـة الإمـارات الذيـن يعتـبرون الدولـة بلدهـم الثاني وإسـهاماتهم المسـتمرة في البنـاء والتطويـر منـذ قيـام دولة الإمـارات).**

إن وجهـة نظـر الشـيخ محمـد بـن زايـد هنـا، تضعنـا أمامـه باعتبـاره ذلـك المثقـف والمفكـر القلـق، فهـو يضـع مسـافة عقلانيـة كافيـة بـين الـذات الإماراتيـة والموضـوع الـذي يعنيهـا وهـو تيمـة: الآخـر المندمج فيهـا، وفي هذا المثـار الفكري، نجـد ليفـي شـتراوس عـالم الأنثروبولوجيـا الذي يـرى في كتابـه « العـرق والتاريخ» أن أي حضـارة قامـت عـبر التاريخ البشري، لم يتسـن لها الظهـور والتميز، من دون

إقامة جسور علاقات إنسانية- ثقافية بينها وبين العناصر الحضارية والثقافية للآخر الذي يخالطها، فالحضارة هي قيمة مركبة لثنائيتي – الأنا والآخر.

وهذا عينه ما يراه محمود أمين العالم في قوله «إن الهوية ليست أحادية البنية أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الأخلاق، الخبرة الذاتية أو العلمية لوحدها وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها».[1]

إن الحفاظ على الهويَّة لا يعني الانغلاق على الذات، بل هو الانفتاح الواعي على «شكل العالم»، والأَخذ من متفرق الثقافات والحضارات أَخذاً رائيا لا يمسُّ من جوهر الثوابت ونقائها الهوياتي، والذي يكون «غير زائد عن الحاجة» بحيث يُغذِّي الموروث ولا يهدر الثروات؛ إذ أنه يستقي من عناصر الفنون والآداب والحضارات وخيراتها، دون أَنْ يمسَّ ذلك سيادَةَ الإماراتِ وأَمنَها وقيَمَها، وهي معانٍ نجدها في سياقات متنوِّعة من خطابات الشيخ محمد بن زايد، مثل قوله: (**سيادة دولة الإمارات وأمنها مبدأ أساسي لا يمكن التنازل عنه أو التهاون فيه.. نمد يد الصداقة إلى كل دول المنطقة والعالم التي تشاركنا قيم التعايش والاحترام المتبادل لتحقيق التقدم والازدهار لنا ولهم**).

وإن هذا يُؤكِّد في مثل هذه السياقات على دعمِ دولةِ الإماراتِ للسلامِ والاستقرار في المنطقة والعالم، يقول الشيخ محمد بن زايد: (**وستظل سياسة دولة الإمارات.. داعمة للسلام والاستقرار في منطقتنا والعالم.. وعوناً للشقيق والصديق.. وداعية إلى الحكمة والتعاون من أجل خير البشرية وتقدمها..**

1 محمود أمين العالم، الهوية مفهوم في طور التشكل مؤتمر العولمة والهوية الثقافية؛ سلسلة أبحاث المؤتمرات مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1996؛ ص376

وسنستمر في نهجنا الراسخ في تعزيز جسور الشراكة والحوار والعلاقات الفاعلة والمتوازنة القائمة على الثقة والمصداقية والاحترام المتبادل مع دول العالم لتحقيق الاستقرار والازدهار للجميع.)

إنَّ عناية الشيخ محمد بن زايد بالهوية الوطنية، يعكس وعيه الكبير بأَهميتها، إذ أن خطابه هو كما يقال «ابن دنياه» وليس خطابا يعلو على الواقع ويترفع عنه؛ وإن هذا يدل على فهمه لدوره في حركة التاريخ، فهو يشير إلى المعضلات الحضارية التي تواجه الإنسان الإماراتي وهي مستفزات ثقافية تتسم بقيمة الاستمرارية والعودة في التشكل والتحور؛ لذلك فهي تقتضي وعلى الدوام التعديل في الرؤية والإضافة.

إن حرص الشيخ محمد بن زايد على إبراز الثوابت الاجتماعية والقيم والعادات والتقاليد الأَصيلة مع توضيح الحدود الدقيقة التي ترسمها، يبين رؤيته الشفافة لقضايا الازدهار والتطوُّر والتنمية، ووعيه بالحداثة المرتكزة على ثوابت القيم؛ حيث أن اعتزازَ المُجتمع بتاريخه وانتمائه وتراثه وموروثه الثقافي والاجتماعي، يُعزِّز ثقته بذاته، ويدفعه نحوَ المُشاركة الفعالة في تطوُّر مسيرة الحياة الإنسانية، بحيث أن كلمة الشيخ محمد بن زايد اتسمت بالقدرة الفائقة على التفويض الاجتماعي والثقافي لشعبه، فهو يراه فريق عمل يساهم معا في إنجاز في خطة التنمية ككل؛ فريق عمل تتم استشارته كذلك من أجل صناعة قرار مشترك، ففي الوقت الذي نرى فيه دولة الإمارات تتمتَّع بالانفتاح الحضاري والتعدُّديَّة الثقافيَّة وبالتعايش السلمي وتلاقح الثقافات، نلفي عناية بالغة من القيادة والشعبِ على الحفاظِ على الهويَّة الوطنيَّة، وتمسُّكاً كبيراً بثوابت وخصائص الذات الإماراتيَّة، وانسجاما مع القيم والتقاليد والثقافة

وأَنمـاط الحيـاة؛ كل ذلـك يتـم في خضـم معادلة دقيقة واعيـة تقوم على أَسـاسِ أَنَّ التمسـك بالهويـة لا يعني الانغلاق على الـذات وإلغاء الآخر، ولا الانصهار والتلاشي في ثقافـة الآخـر، بـل إنهـا تعني التعايـش والتآلـف والتلاقح الفكـري والتعاون من أَجـل عـالم أَكـثر سـلماً وازدهـاراً وأَماناً، وهـذا ما ألمح إليه الشـيخ محمد بـن زايد، حيـث أنـه يطـرح إشـكالية الأنا والآخـر وفق رؤية عميقـة تلغي الحـدود المعرفية الوهميـة التـي تجمـع بنـي الإنسـان؛ ذلـك أن هـذه الأطـر المعرفيـة الوهمية هي التـي أبقـت وعـلى الـدوام الكثـير من الـدول داخل ما يسـمى بالمنطقـة المظلمة في التاريـخ؛ والتـي تتحجـر فيهـا رؤاه بالتمسـك بالاغـتراب داخـل ماضي الـذات، وكذا بفقـدان روح العـالم في نطـاق تجاذبـات الحـاضر الملتبس الـذي يفتقـد إلى التوجيه المرجعي.

ثانيا: الأصالة والمعاصرة في خطاب الشيخ محمد بن زايد

نداءات الأنا / وأصداء الآخر:

تُشـكل ثُنائيـة الأَصالة (الـتراث) والمعـاصرة مُرتكزاً محوريا في الفكر الإنسـاني بشـكلٍ عـام، وفي منـاط التفكير العربيِّ بوجه خاصٍّ، فالأَصالـة ترتبط بالجذور الأُولى للحيـاة المُعـاصرة فكـراً وسياسـةً واقتصاداً، وهي القِيَمُ الراسـخة التـي تنطلق منها الأُمـمُ المتفوقـة، لتشـقَّ طريقَهـا نحوَ المُعاصرة الحقـة والتطـوُّرِ والازدهارِ، وصوب العالِميَّة والإنسـانيَّة بمعناها العام الشـامل.

لكـن هـذه الثنائية (الأصالـة والمعاصرة) ذات بعدين مُتقابلـين في واقعها وفي فهـم النـاسِ لهـا وفي تعاملهـم معهـا، شـأنها شـأن كثـيرٍ مـن القيـم العليا، فهـي إِمَّا أن تكـونَ أَداة مـن أَدوات التطـوُّر والنـماء إن أُحسـن التعامـل معهـا، وإِمَّـا تكـون

خـلاف ذلـك في حـاضر الأُمـة ومسـتقبلها، فالأصالـة والمعـاصرة هـما خطَّـان يجب أَن يسـيرا مُتوازيـين مُتلاقحـين، يسـتعير أَحدهـما إشـعاع الآخـر وعرامتـه، فيكـون الـتراث مصـدر اعتـزازٍ وإلهـامٍ لجيـلٍ يعيـش الحـاضر وينصهـر في بوتقتِـهِ، وينظـر للمسـتقبل ويتطلـع لحيـاةٍ كريمـة مُتطـوِّرة، فيسـتمد مـن الـتراث ثوابتـه، ذلك أنه «لا يهـزم التاريـخ إلا مـن خـلال التاريـخ»[1] فالحـدود الزمنيـة هـي حواجـز وهميـة، فالتأريـخ باعتبـاره ماضيـا يتصـل بالتاريـخ الـذي يتعلـق في الحقيقـة بالمسـتقبل؛ فصناعـة التاريـخ هـي مهمـة متواصلـة لا تعترضهـا الأزمـان ولا تحدهـا؛ فالإنسـان يقـف عنـد الماضي ليسـتوحي روحه ويسـتلهم معانيها السـامية، ليتجـاوزه لينطلق إِلى سـماوات مـن الفكـر والحيـاة والجـمال وقيـم العـصر؛ ذلـك أنه يسـتحيل لنداء الهويـة أن يبقـى وعـلى الـدوام محـلي التطلـع، جاثمـا داخـل أسـيجة الأنـا الضيقة.

وإن الناظـر في خطابـات الشـيخ محمـد بـن زايـد؛ يـرى بوضـوحٍ هـذه القيـم العليـا للـتراث والمعـاصرة؛ فالشـيخ محمـد بـن زايـد قـد اسـتلهم الـتراثَ بأصالتـه وعروبتِـهِ، بجمالـهِ وإشراقـه، لينطلـقَ منه إِلى الآفـاق الرحبة للمعـاصرة؛ فخطاباته تنشـط الوعـي الإمـاراتي، كـما أنهـا لا تكتفـي بالإجابـات الثانويـة لأسـئلة الـذات الملحـة، بـل تقـدم مقـولات وأطروحـات تسـتمد عرامـة قوتهـا مـن قدرتهـا عـلى الانفتـاح الدائـم عـلى الذات والآخـر معا؛ إذ أنهـا تفكر وعلى الدوام خـارج العلب الثقافيـة والفكريـة الضيقة.

إنهـا معـانٍ كانـت ولم تـزل حـاضرة في أكـثر كلـمات الشـيخ محمـد بـن زايـد وخطاباتـه، وذلـك منذ أَوَّل خطاب له بعد تولية رئاسـة دولة الإِمارات، واسـتمرت

1 بول د يمان، العمى والبصيرة، مقالات في بلاغة النقد المعاصر، تر: سعيد العالمي، المشروع القومي للترجمة 2000، ص 183

في أكثر خطاباته. يقول الشيخ محمد بن زايد رئيس الدولة؛ في خطاب تولية رئاسة دولة الإمارات: (**اليوم ونحن نرى وطننا بين دول العالم كما أراده زايد والمؤسسون «رحمهم الله جميعاً».. من مكانة عالية ودولة قوية ومتطورة.. نحمد الله على هذه النعم.. ومستمرون بإذن الله على نهجهم وحكمتهم ورؤيتهم...نستلهم منهم الدروس والعبر في القيادة والإرادة.. وسيبقى تاريخنا وهويتنا وموروثنا الثقافي جزءاً أساسياً في خططنا إلى المستقبل**).

إنها كلمات تنمُّ عن قدرة فائقة على الإلهام؛ ووعيٍ تامٍّ وعميق بمفهوم التراث والمعاصرة، فقد ابتدأت من الحاضر المزدهر المُستمدّ من روح تجربة الماضي، لينطلقَ الشيخ محمد بن زايد بعد ذلك؛ إلى استشراف المستقبل الموعود؛ وذلك بالتركيز على استراتيجيات علمية تتسم بالنظرة الشمولية الكلية، مع مراعاة الدقة في بسط القضايا الكبرى كالنهج والرؤية؛ بالإضافة إلى القراءة الجاردة للماضي والحاضر؛ مع مزاوجة الأساليب النوعية والكمية في الدعوة إلى العمل المستقبلي، وقد ظهرت في تفاصيل كلمة الشيخ محمد بن زايد الحيادية التي تطبع الرؤية بالصبغة العلمية، وهذا ما يفهم منه بأن أقوى مرتكزات إدراك الواقع هي المعرفة الدقيقة بالمستقبل والمأمول منه من أجل الريادة الاستراتيجية، لأن المعرفة بالمستقبل تقتضي التقييم الدقيق للماضي والواقع.

إن المتأمِّل في هذه العبارات أعلاه يلمسُ فيها استخدام الشيخ محمد بن زايد أُسلوباً إقناعيًّاً؛ مُستخدماً تقاناتٍ حجاجيَّةٍ تدلُّ على ثقافةٍ عاليةٍ وبلاغة أُسلوبيَّة أَصيلة؛ فقد استهل خطابة بعرض صورةٍ مشهدية متحركة وحية؛ من صُوَرِ الواقع المُشاهد الذي قد اتفقَ الجميعُ على استحسانِهِ في قوله: (**اليوم ونحن نرى وطننا بين دول العالم**)، فكلمة اليوم، تمتلك قدرة فائقة على إحالة انتباه ومشاعر المستمعين إلى اللحظة التي يتحدث فيه الشيخ محمد

بـن زايـد؛ ثُـمَّ اسـتخدمَ الجملـة الاعتراضيَّـة مـن خـلال التذكـير بمؤسـسي الإمارات ليُخاطـب بذلـك وعـيَ المُتلقِّي ويُحرك مشـاعرة الوطنيَّـة في قوله:**(كـما أراده زايد والمؤسسـون «رحمهـم اللـه جميعـاً»)**، ثـم انتقـل إلى إكـمال صـورة هـذا الواقـع بقولـه: **(مـن مكانـة عاليـة ودولـة قويـة ومتطـورة)**؛ هكـذا يكـون قـد اسـتقدم تقانتـه الحجاجيـة، ليصوغهـا صياغـة تعتمدُ عـلى جماليَّـات التأثيرِ الأُسـلوبيِّ، ليصلَ في النهايـةِ إلى اسـتمالة المُتلقِّـي للتسـليم بجدوى هـذه المُثلِ العُليا والقيم السـاميَّةِ التـي قامـت عليهـا دولـةُ الإماراتِ منذ تأسيسِـها على يـد الراحل زايـد «طيب اللهُ ثـراه»؛ محيـلا إلى القيـادة الريادية التـي يطمح إليهـا الجميع؛ غير محيـل إلى ذاته، وهـذا عينـه مـا يدل عـلى الأصالة في أعمـق تجلياتهـا، يقول مارتـن هيدجر محددا مفهـوم الأصالـة « إن الأصالـة هـي الأفـكار والعواطـف الصادرة عـن صاحبها فكل مـن كان تفكيـره صـدى للبيئة، أوللـرأي العام، وكلامـه غير صادر عـن ذاته؛ يكون إنسـانا أصيلا»[1].

ونجـده في سـياقٍ آخـر يسـتخدم أُسـلوباً مُشـابهاً مـن أجـلِ تحفيـزِ الشـعب للسـيرِ في طريـقِ البنـاءِ والنماء، وتحقيق طموحات أَكبر، من خلالِ اسـتلهام مسـيرة هـذه الدولـة الشـابة الفتيـة، بعقليـة ريادية فائقة؛ فيقـول: **(الإخـوة والأخوات.. حققـت الإمـارات، الدولـة الشـابة الفتيـة، إنجـازات نوعيـة عديـدة واسـتثنائية.. لكـن طموحاتنـا أكـبر بكثـير، ومـن الـضروري أن نسـتمر في بـذل أقـصى طاقاتنـا وجهدنـا لتحقيـق المزيـد.. فمسـؤوليتنا تأمـين مسـتقبل مـشرق لأجيـال الحـاضر والمسـتقبل.. وتحقيـق هـذا الهـدف يعتمـد عـلى العمـل والجهـد الـذي نقدمـه اليـوم. الوالـد المؤسـس «رحمـه اللـه».. وضـع أساسـات صلبـة لهـذا الوطـن..)**.

1 جميل صليبا؛ المعجم الفلسفي؛ دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982؛ ص96

يستخدم الشيخ محمد بن زايد الأُسلوبَ الخبري الخالي من المؤكدات **(حققت الإمارات، الدولة الشابة الفتية، إنجازات نوعية عديدة واستثنائية)**، وفي هذا مؤشِّر أُسلوبيّ واضح على أَنَّ هذه الإنجازات لا تحتاجُ إلى تأكيد أَو استدلال عليها، بل هي واقع مُشاهد يُقرُّ به المُخالِفُ قبلَ المُؤالِفِ والعدوُّ قبل الصديقُ؛ وهنا ينتقلُ إلى معنىً جديد مُستخدماً أداة الاستدراك **(لكن)** بما تحمله هذه الأداة من دلالات، وبما تنطوي عليه من طاقاتٍ تعبيريَّةٍ تستثير المُتلقِّي وتشدُّ انتباهه وتستفزُّ وعيَهُ، وبعد أَنْ هيَّأَ ذهنَ السامعِ جاء التعبير الجريء عن الطموحِ بقوله:

(.. لكن طموحاتنا أكبر بكثير، ومن الضروري أن نستمر في بذل أقصى طاقاتنا وجهدنا لتحقيق المزيد..).

إن الطموحُ كبيرٌ ولاريب، لكن لا بدَّ من السعي إلى تحقيقه، وذلك من خلالِ بذل الجهد واستخدام الطاقات البشرية والمادية، الفكرية والاقتصادية، لتحقيق المزيد، والملاحظ هنا أَنَّ الشيخ محمد بن زايد لم يقل: **(لتحقيق الطموح)** كما قد يتوقَّع المستمع لكلامه، ولكنه قال: **(لتحقيق المزيد..)**. وهذا أُسلوبٌ يحمل معه الخبر وحجَّته، ويجعل المُتلقِّي على درجه من المشاركة في إنتاجِ الخطاب مع المُنشئ، فهو يُرجع المُتلقِّي إلى مرجعياتِ من الحاضر والماضي، فكأَنَّه يقول إنَّنا سنبني على ما تركه الوالد المؤسس (زايد الخير) ومن سار على دربه من أبنائه وإخوانه، سنُنجز كما أَنجزوا ونبني كما بنوا ونكمل مسيرتَهم في التطوُّرِ، مستثمرين التراث من أَجل الحاضر والمُستقبلِ.

ثمَّ استخدم بعد هذا تقانةً أُسلوبيَّةً أُخرى بقوله:**(فمسؤوليتنا تأمين مستقبل مشرق لأجيال الحاضر والمستقبل..)** وهي جملة مُحمَّلة بمضامين فكريَّةٍ عميقةٍ،

تدلُّ على أَنَّ صاحِبَها يحملُ همَّ أَجيالِ الحاضرِ والمُستقبل، فالنظرة لم تكن نظرةً ضيِّقةً، بل كانت نظرةُ من يرى بعينِ فكره وطموحه ما ينبغي عليه أنْ يعملَ وما هو عليه حجمُ المسؤليَّةِ التي يحملها؛ ولذلك بيَّن السبيلَ إلى تحقيق هذا الهدف السامي، فقال: **(وتحقيق هذا الهدف يعتمد على العمل والجهد الذي نقدمه اليوم)** فمواصلة العمل من الشعب وقيادته هو السبيل لتحقيق هذا الهدف الأسمى.

ثُمَّ يقول: **(الوالد المؤسس «رحمه الله».. وضع أساسات صلبة لهذا الوطن..)** وفي هذا جانبان من الدلالة؛ الجانبُ الأول يتعلق باستذكار مؤسس هذه الدولة، بكلِّ ما كان يكتنزه من حكمة وحنكة وهمَّة، والجانبُ الآخر يتعلَّقُ بالتدليلِ على أَنَّ المتكلِّمَ يسيرُ على خطى المؤسس، ولا يخفى ما في ذلك من معانٍ إنسانيَّةٍ، ومن تعزيزِ للثقةِ بواقع هذه الدولةِ، واستشراف لمستقبلها.

ولو عدنا إلى بداية الخطابه لوجدناه يُركِّز على ربط الماضي بالحاضر من أَول كلماته، فمع أَنَّ الشيخ محمد بن زايد يُعزِّي نفسه وشعبَهُ بوفاةِ الشيخ خليفه «رحمه الله»، إلا أنه لم ينسَ استثمارَ ذلك للتنويه بسيرتِهِ، والتنبيه على أَهمية السير على أثره، وفي ذلك إلماحات واضحة للربط بين الأَصالة والمعاصرة، إذ يقول: **(الشيخ خليفة «رحمه الله» رافق المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه» في كل مراحل دولة الإمارات.. وحمل أمانة الوطن بعد رحيله بإخلاص وحكمة.. وأدى رسالته تجاه شعبه.. وترك إرثاً خالداً من العطاء لشعوب المنطقة والعالم)**. إن الشيخ محمد بن زايد يركز على مرافقة الشيخ خليفة للشيخ زايد « رحمهما الله» في جميع مراحل التأسيس والتطوُّرِ لدولة الإمارات، وفي هذا إشارة جلية إلى أَنَّ ما وصلت إليه دولة الإماراتِ من نماء، وما تنعم به الآن من ازدهارٍ وحداثةٍ وقوَّةٍ إنَّما تحقق بصورةٍ تراكميَّةٍ حثيثة عبرَ مراحل تنموية متعدِّدة.

ولا يخفى علينا ما في هذا من ربطٍ حجاجي بين الأَصالةِ والمُعاصرة، وأَنَّ أَحدَهما تابع للآخر؛ فالشيخ محمد بن زايد يغرف من مناهل الماضي، منفتحا على آفاق واقعه؛ وقد أَكد هذا بأُسلوبٍ يدلُّ على ذكاءٍ وفطنة، عندما أعلن قائلا: **(وحمل أمانة الوطن بعد رحيله بإخلاص وحكمة.. وأدى رسالته تجاه شعبه..)**. فقد كان في حمله لتلك الأَمانةِ-أَمانة قيادة الدولة وريادة التطوُّرِ- أَميناً مُخلصاً حكيما، صاحبَ رسالةٍ يُريدُ أَنْ يُؤدِّيها على أكمل وأبلغ صفة؛ ويُسلِّمها لمن بعده، وقد وفق في ذلك ونجح نجاحاً باهرا.

وهنا يأتي دورُ الحاضر في استلهامِ الماضي استلهامَ استنارةٍ واقتباسٍ، لا استلهامَ اجترارٍ وجمودٍ، يقول الشيخ محمد بن زايد: **(وترك إرثاً خالداً من العطاء لشعوب المنطقة والعالم)**. إذن هناك إرثٌ خالدٌ من العطاء، يتَّسمُ بالعالَميَّة، ينبغي رعاية منجزاته، والسيرُ بها قدما.

ويختم الشيخ محمد بن زايد خطابه مُؤكِّداً على قيم الأَصالة والمُعاصرة بقوله: **(الوالد المؤسس «رحمه الله».. وضع أساسات صلبة لهذا الوطن..علينا اليوم مضاعفة الجهود لحفظ مكانة الدولة ومكتسباتها.. هدفنا الأول والأخير هو الإمارات وشعبها. أملنا بالله كبير وثقتنا بمستقبل أفضل لوطننا وشعبنا ومسيرتنا المباركة.. ندعو الله تعالى أن يوفقنا ويعيننا.. وعليه نتوكل.. إنه ولي التوفيق.وحفظ الله بلادنا بالعز والأمان والخير)**. وفي هذا إيجاز لما تضمَّنه خطابه من معاني الاستفادة من التراث لبناء الحاضر واستشراف المُستقبل، وأَنَّ المواطن هو محوَرُ هذه الأَهدافِ، ومُرتكزُ العمل والبناء، بناء الإنسان والوطن فكريَّاً وماديَّاً.

المبحث الثاني

مفهوم المواطنة وتطبيقاتها في خطاب الشيخ محمد بن زايد

«المواطنة كفضيلة انتماء»:

يكـوِّن» الوطـن» في اللغـة العربيـة اللبنـة الأصليـة التـي تتحقـق منهـا صفـة المواطنـة، فالوطـن مـكان يمـارس فيـه الفرد نشـاطاته الفرديـة والجماعيـة، والوطن هـو مقـر الإقامـة، ومكان العيـش والحيـاة: «الوطن، منـزل الإقامة، ووطـن به بطن وأوطـن: أقـام، وأوطنـه ووطنـه واسـتوطنه: اتخذ وطنـا»[1].

ويشـير مصطلح المواطنة إلى إسـهام الأفراد في إدارة الشـؤون السياسـية للدولة، عـن طريق المشـاركة في صياغـة القرارات والأحكام التنظيميـة؛ وهي «صفة المواطن الـذي يتمتـع بالحقوق ويلتزم بالواجبـات التي يفرضها عليه انتـماؤه إلى الوطن»[2].

إنَّ مفهـومَ المواطَنـة مـن المفاهيـم الاجتماعيَّـةِ المهمَّـة، التـي تحظـى باهتـمام الباحثـين في مجـالاتٍ متنوِّعة كالمجالات الاجتماعية والسياسـية والنفسـية والتربوية وغيرهـا؛ وذلـك لمـا يُشـكله هذا المفهـوم من أَهميـة في حيـاة الأُمم والشـعوبِ، ولما لـه مـن تجلِّيـات في حياة الـدول والمجتمعـات، فهو قيمـةٌ فكريَّـة واجتماعية ترتبط بمناحـي الحيـاة المُختلفة.

1 الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005، ص 1238

2 الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط03، 1996، ص 73

ولقـد شـهد هـذا المفهوم في العـصر الحديث تطـوُّراً كبيراً وتشـعباً فكرياً، فصار للمواطنـة فلسـفتها الخاصة، ومنطلقاتها الفكرية الأَساسـيَّة، وصـار لها معالم مميّزة، وأُسـس وقواعـد راسـخة وواضحـة، وإِنَّ التطـوُّر العلمـي فكريَّـاً ومادِّيَّـاً، والانفتـاح الاقتصـادي والاجتماعـي، قـد أَدَّى إلى تحـوُّلات جوهريَّـة في مفهـوم المواطنـة، فلـم يعـد التعامـل مـع هـذه القيمة الاجتماعيـة تعاملاً سـطحيَّاً عفويَّاً، بـل يتم في ضوء البحـث العلمـي الدقيـق، وقـد اشـتركت عـدَّة علـوم وأَدبيـات في ترسـيخ مفاهيـم المواطنـة، ورسـم حدودها.

وقبل الخوض في التفاصيل لا بدَّ من تعريف المواطنة، لغة واصطلاحاً.

إِنَّ (المواطنـة) في اللغـة العربيـة هـي مصدر (وَطَنَ)، من قولهـم وطَنَ بالمكان، أَي اتخـذه وطنـاً لـه، أَي محـلّاً وسـكناً يقيـم فيه، وواطـن القوم، أَي عـاش معهم في وطـن واحـد، وهـذه الكلمة(مُواطَنـة) عـلى صيغـة (مُفاعلَـة)، وهـذه الصيغـة تدلُّ على المُشـاركة بـين طرفـين أَو أَكثر»[1].

يقـول ابـن منظـور: (الوَطَـنُ: المَنْزِلُ تُقِيـمُ بِهِ، وَهُـوَ مَوْطِـنُ الإِنسـان وَمَحَلُّهُ... وَطَـنَ بِالْمَـكَانِ وأَوْطَـنَ أَقام؛ الأَخيرة أَعـلى. وأَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَناً. يُقَـالُ: أَوْطَنَ فلانٌ أَرض كَـذَا وَكَـذَا أَي اتَّخَذَهَـا مَحَـلًّا ومَسْـكَناً يُقِيـمُ فِيهَـا... وأَوطَنْـتُ الأَرض ووَطَّنْتُها تَوطِينـاً واسْـتَوْطَنْتُها أَي اتَّخَذْتُهَـا وَطَناً)[2].

ومـن الجديـر بالتنبيـه عليـه والوقـوف عنده في هـذا الموضع أَنَّنـا نجدُ في هذه المعـاني اللغويـة للوطـن ومـا اشـتقَّ منـه إِشـارات إِلى دلالات الانتماء للمـكان، وفقَ

1 ينظر: تاج العروس،:36/260-262،والمعجم الوسيط:2/1042.
2 لسان العرب:13/451.

فلسـفة العلاقـة الجدليَّـة بين الإنسـان والمـكان الذي نشـأ فيه، يقول يحيـى الجمل: «مـا أبعـد المعـاني التـي يعنيهـا الوطن عند ابـن منظور، حيـث يتضمـن الانتماء إلى الرقعـة الجغرافيـة وتسـاوي الـتراب الوطنـي والروابـط اللغوية والعرقيـة والثقافية ويكـون العـدو واحـداً يهـدد الجميع بغض النظر عـن الفروق التي تكـون بينهم»[1] فالعلاقـة بـين الإنسـان والوطـن علاقة قائمـة على الأُلفـة والمحبَّة.

وتختلف عبارات الدارسين في تعريف المواطَنَة اصطلاحاً؛ وذلك تبعاً لاختلاف مشاربِهِم، وتخصُّصاتهم، ووجهاتهم في الدراسة.

فجـاء تعريـف المواطنـة في دائـرة المعـارف البريطانيـة بأنهـا: «علاقة بـين الفرد والدولـة كـما يحددهـا قانـون تلـك الدولة، وبمـا تتضمنه تلـك العلاقة مـن واجبات وحقـوق في تلـك الدولـة» وتقـورد أَيضـاً: (بـأنَّ المواطنـة عـلى وجـه العموم تسـبغ عـلى المواطـن حقوقـاً سياسـية، مثـل حـق الانتخاب وتـولي المناصـب العامة).

ويعرفهـا أحمـد زكي بـدوي: بأنهـا «صفة تُمنـح للفرد؛ وتحدد حقوقـه وواجباته الوطنيـة؛ ويعـرف الفـرد حقوقـه وواجباته عن طريـق التربية الوطنيـة، وهي تتميز بنـوع خـاص من الولاء لبلاده أَيام السـلم والحـرب، والتعاونِ بـين المواطنين لتحقيق الأَهداف القوميـة العليا»[2].

وبنـاء عـلى ذلك يمكن القـول: إنَّ المواطنة هي رابطة اجتماعيـة وميثاق قانوني بـين الفـرد والدولـة التـي ينتمـي إليهـا ويعيـش فيهـا، وبـين المواطنـين فيـما بينهم، وينشـأ عـن ذلـك جملـة مـن الحقـوق والواجبـات، وفق إطـار قانوني يضمـن ذلك.

1 يحيى الجمل في مقال له بجريدة المصري اليوم في العدد 291 السنة الثانية ،2007/5/8.
2 ينظر: أحمد زكي بدوي؛ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية؛ بيروت ،1986،ص51

كـما أن المواطنـة هـي تعبـير عـن الصـورة الواضحـة للعلاقـة بـين الشـعب والدولـة، وبـين أَفـراد المجتمـع مواطنـين ومقيمـين، مـن جهـة الحقـوق والواجبات، والـولاء والاحـترام، والتعـاون والتـآزر، فهـي مظهـر مـن مظاهـر بنيـة المجتمعـات الحديثـة، وهـي عهـد انتـماء للوطـن، وعهـد ولاء للدولـة، وهـي التـزام بالواجبات، ومنـح للحقـوق، والتـزام بفلسـفة الدولـة، وفـق منظومـة الحكومـة، وقيـم المدنيَّة، بحيـث يُصبـح المجتمـعُ نسـيجاً متماسـكاً متوافقـاً سياسـياً وفكريًّـاً.

ولـو تأمَّلنـا مفهـوم المواطنـة في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة لوجدنـا أنَّ مؤسسـيها قـد كانـوا حريصـين منـذ تأسيسـها عـلى تكريـس قيمهـا، وترسـيخها في المجتمـع، فهـم ينظـرون إلى المواطنـة عـلى أنهـا إِحـدى الركائـز الأوليـة التـي يقـوم عليهـا المجتمـع، وأنها مصدر من مصادر تماسـكه، وعنصر من عنـاصر قوَّتِهِ وتطوُّرِهِ؛ وهـذه مبـادئ نجدهـا في خطابـات الشـيخ محمـد بـن زايـد في مناسـبات متنوِّعـة.

يقـول الشـيخ محمـد بـن زايد آل نهيـان في خطابه **(إن للمواطـن حقوقاً يجب ان تقدمهـا الدولـة، ونحـن ماضـون في تحقيقهـا، سـاهرون عـلى رعايتهـا، لأننـا في المقابـل لـن نفـرط في ان ركـن المواطنـة هو الـولاء المطلـق الكامل للقيـادة في دولة الإمـارات).** «فالمواطنـة هـي صفة المواطـن والتي تُحـدد حقوقه وواجباتـه الوطنية ويعـرف الفـرد حقوقـه ويؤدي واجباتـه عن طريـق التربيـة الوطنية»[1].

وفي هذا الخطاب يؤكِّد الشيخ محمد بن زايد على مفهوم المواطَنَة، ويقدمه في عرض بليغ وفق أسلوبٍ إقناعيٍّ، فهو يبتدئ كلامه ذاكرا حقوق المواطن بجملةٍ مؤكَّدة بـ(إنَّ)، مستخدما أُسلوب التقديم والتأخير من خلالِ تقديم خبر إنَّ

1 أحمد زكي بدوي؛ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982 ، ص 60

(للمواطن)، ولا يخفى ما في هذا من بيان عناية المُتكلِّم بمضمون الجملة التي هي هنا حقوقَ المواطنِ، ثُمَّ يستخدم منبِّهاً أُسلوبيَّاً آخر في قوله: **(ونحن ماضون في تحقيقها)** معتمدا على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرارِ، ممَّا ينبي عن اهتمامه البليغ بهذا الأَمر، إذ أَنَّه ينبع عن قناعاتٍ راسخةٍ، ومبادئ ثابتةٍ، مُستقرَّة في وجدان المُتكلِّم، وفي ثوابت أَهداف الدولة، أي في خطابها الرسمي ليؤكد ذلك مرةً أُخرى وبالأُسلوبِ نفسه فيقول:**(ساهرون على رعايتها).**

ليخلـص بعـد ذلـك إلى بيان ركنِ المواطنة الذي تقوم عليـه من جانب المواطن، بعـد أَنْ ذكـر عـماده مـن جانـب الدولـة، فيقـول: **(لأننـا في المقابل لن نفـرط في أن ركـن المواطنـة هـو الـولاء المطلـق الكامـل للقيـادة في دولـة الإمـارات). حيـث أن المواطنـة** «تتميـز بنـوع خـاص مـن ولاء المواطـن لوطنـه وخدمته في أوقات السـلم والحـرب والتعـاون مـع المواطنـين الآخرين؛ عـن طريق العمـل المؤسسـاتي والفردي الرسـمي والتطوعـي في تحقيـق الأهـداف التـي يصبـو إليهـا الجميـع وتوحـد مـن أجلهـا الجهـود وترسـم الخطـط وتوضـع الموازنـات» [1]وهـذا يذكِّرنـا ما سـبق ذكره في تعريـف المواطَنـةِ عـلى أَنَّهـا عهد وميثـاق وتنظيـم للعلاقة بين الدولـة والمواطن، وأَنَّهـا تقـوم على الحقـوقِ والواجبات من الجانبـين، التي يُنظِّمهـا ويُحقِّقها القانون؛ فالمواطَنـةُ أَخـذ وعطـاء، وتضحية وفـداء، وعلاقة إِنسـانيَّة كبرى، ومبـادئ اجتماعيَّة وسياسـيَّة عُظمـى، تفرضهـا القيـم والمبـادئ، والأَعـراف السـامية، ويكفلها الدسـتور ويحميهـا القانـون؛ وهـذا مدمج ضمن ما أسـلفناه آنفا في ما يتصـل بصفات القيادة التحفيزيـة، التـي تنطلـق مـن بواعث متصلـة بالقدرة عـلى بناء فريق عمـل متحد؛

1 أحمد زكي بدوي؛ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 60

عـن طريـق التواصل بشـكل فعـال بإبـراز الموقف الإيجـابي، بإبداعيـة وتفاؤل.

وفي السـياق نفسـه يقـول الشـيخ محمد بن زايـد مُؤكِّداً على مفهـوم المواطَنَة، ومنبهـاً عـلى مبادئهـا التي تقوم عليها، (**إننـي إذ أؤكد لكم اليـوم أننا نضع المواطن في أول اهتماماتنـا، وفي مقدمـة أهـداف خططنا التنموية، لأنبه إلى مسـألة غاية في الأهميـة، وهـي أننـا لـن نتنـازل يومـاً، ولا سـاعة، ولا لحظـة عن واجـب المواطنة، وركيزتهـا الولاء المطلـق لهذه البلاد وقيادتهـا ونظامها).**

فالدولـة تضـع المواطـن ضمـن أَوَّليـات اهتماماتها، فتسـعى بـدأب إلى تحقيق الرفاهيَّـةِ للوطـن والمواطـن، لتجعلـه في مقدِّمـة أَهدافهـا وتطلعاتهـا وخططتهـا التنمويَّـة، فتضـع الخطـط وتسـعى لتنفيذهـا؛ حيـث أن التنميـة لا تقـوم إلا عـلى عنـاصر الكفايـة والحريـة والمشـاركة.

وإن فكرة المواطنة في ذاتها وبالإضافة إلى كونها سلوك، فهي شعور و»اندماج لهذا الشعور في فكر واحد واتجاه وحركة واحدة[1] تسير وفق رؤية وتطلع سديد، ترسمه تشوفات ومسارات توافقية للدولة مع مواطنيها، مسارات حتمية لا يمكن التنازل عنها.

يقول الشيخ محمد بن زايد: (**لأنبه إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أننا لن نتنازل يوماً، ولا ساعة، ولا لحظة عن واجب المواطنة)**؛ وفي مُقابل ذلك التنبيه على الركن الثاني من أَركان المواطَنَةِ والركيزة الأَساسيَّة من ركائزها؛ وهي (**الولاء المطلق لهذه البلاد وقيادتها ونظامه**) حيث يتصل الولاء هنا بالهوية، فالانتماء لا يتحقق إلا

1 رضـوان أبـو الفتـوح؛ التربيـة الوطنيـة (طبيعتهـا ، فلسـفتها ، أهدافهـا ، برامجهـا) المؤتمـر الثقـافي الرابـع، جامعـة الـدول العربيـة ، القاهـرة ، 1960، ص 127

به ووفقه، فالولاء هنا يعتبر فضيلة من أهم فضائل المواطنة.

ثُـمَّ يؤكِّـد الشـيخ محمـد بـن زايـد عـلى قيـم الـولاء للوطـن، يقـول: **(وإذا كنا نرفـض الـولاء الكامـل لغير القيـادة، فإننا أيضـاً نرفض الولاء الجـزئي لغيرها، فالولاء الوطنـي كتلـة كاملـة وكل لا يتجـزأ؛ لا مجـال اليـوم لتعـدد الانتـماءات؛ كـما لم يعـد مقبـولاً أن يحظـى أنـاس بامتيـازات المواطنـة وولاؤهـم وانتماؤهـم خـارج حـدود الإمـارات)** وهنـا يـبرز مفهـوم الشـيخ محمـد بـن زايد للـولاء إذ هـو تصرف عمـلي وليـس مجـرد عاطفـة، ذلـك أن الولاء هـو الذي يحـدد الإقصاء مـن الجماعة كـما يـبرز الانتـماء كقيمـة جوهريـة للهويـة والمواطنـة، وهـو يتسـم بالكليـة إذ أنه غـير قابـل للاجتـزاء، وهـذا بوصفـه فعلا أخلاقيـا قبـل كل شيء، يعبر عـن أخلاقيات جوهريـة؛ تسـتمد قيمتهـا مـن إجرائياتهـا، « فالـولاء هـو الجانـب الذاتي في مسـألة الانتـماء؛ وهـو يعـبر عـن أقـصى حـدود المشـاركة الوجدانيـة والشـعورية بـين الفرد وجماعة الانتـماء»[1].

وفي سـياق متصـل؛ بخصـوص الشراكـة بين المواطـن والدولـة في عمليـة التنمية وبنـاء والوطـن يقـول الشـيخ محمـد بـن زايـد: (إن طريـق التنمية طويـل، ولا يزال أمامنـا الكـثير مما يجـب علينـا عملـه، وهـذا يحتـاج مـن الجميـع، ومنكـم بشـكل خـاص إلى مضاعفـة الجهـد والعمـل الجـاد وإلى التفاعـل مع المواطـنين لإشراكهم في عمليـة التنميـة مشـاركة حقيقية فاعلـة). فلا بدَّ من التفاعـل بين الدولة ومواطنيها في سـلوك سـبيل التنميـة الطويـل، وذلك بـإِشراك المواطـنين في عملية التنميـة؛ وأَن

1 علي أسـعد وطفـة؛ نسـق الانـتماء الاجتماعـي وأولوياتـه في المجتمـع الكويتـي المعـاصر : مقاربـة سوسـيولوجية في جـدل الانـتماءات الاجتماعيـة واتجاهاتهـا ، مجلـة دراسـات الخليـج والجزيـرة العربيـة ، مجلـس الـنشر العلمـي في الكويـت،ع108، السـنة 29، 2003، ص133

تكـون هـذه المشـاركة فاعلـة وحقيقيـة، وليس شـكلية أَو سـطحية؛ ولا يخفى مـا في هـذا مـن تعزيز لـروح المواطنـة وتعميـق لمبادئهـا العليا.

المبحث الثالث

فلسفة التعليم في خطابات الشيخ محمد بن زايد

تمهيـــــد:

لا يخفـى مـا للعلـم والتعليـم مـن فعاليـة في إلهـام تشـوفات المأمول الإنسـاني فكريًّـاً واجتماعيًّـاً واقتصاديًّـاً، ولا مـا لـه مـن أثـر جوهـريٍّ عـلى تماسـك البنيـات الاسـتراتيجية للمجتمعـات؛ فـ»ظاهـرة العلـم أَخطـر ظواهـر الحضـارة الإنسـانية، وأكثرهـا تمثيـلًا إيجابيّـاً لحضـور الإنسـان- الموجـود العاقـل - في هـذا الكـون»[1]، والتعليـمُ هـو الحجـر الأسـاس في نظـام البنيـة الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصادية لأَيـة دولـة ومجتمـع، وبالعلم يتميَّز إنسـان عن غـيرِه، وبه تنهض الأُمـمُ من رقدتها، فيكـونُ للشـعوبِ دورهـا الفاعـل في التخطيـط للحيـاةِ الإنسـانيَّةِ.

فالتعليـم هـو السـبيل الأوفـق للتنميـة الفرديَّـة والاجتماعيـة، وعـلى مداءاتـه تتجـاوز المُجتمعـاتُ انكسـاراتها، وتتغلـب عـلى منغصـات كينونتهـا، وإكراهـات واقعهـا؛ وتبنـي تطلعـات أَجيالهـا، فيعلـو شـأنُها، ويسـمو كيانُهـا.

ولقـد تراكمـت أُصـول العلـم عـبرَ التاريـخ» منـذ الحضـارات القديمـة الشرقية

1 يمنـى طريـف الخـولي، فلسـفة العلـم في القـرن العشريـن الأصـول الحصـاد الآفـاق المسـتقبلية؛ مؤسسـة هنـداوي، مصر،2012،ص9

والإغريقية وغيرها، ومرَّ بتطوُّرات كبيرة في العصر الحديث؛ أنتجتْ خلفيات ضرورية لنشأة فلسفة العلم والتعلم؛ وفي القرن التاسع عشر قد أَصبح للعلم والتعليم فلسفة خاصة نمت وتجسدت وتبلورت كفرع من فروع الفلسفة الغربية، وفي القرن العشرين أصبحت فلسفة العلم من أهم فروع الفلسفة المعاصرة، ومن أَكثرها عمقاً وأَبعاداً»[1].

هكذا إذن لم يعد التعليم عملية تراكمية أو عفوية عشوائية» بل صار له مناهج وأصول وأهداف ووسائل، وأَصبح له نظريات علميَّة ينطلق منها، وقد كتب في ذلك كثير من البحوث والمؤلفات»[2].

وقد أَدركت قيادة دولة الإمارات منذ عهد الشيخ زايد «رحمه الله» أَهمية التعليم في بناء دولة الإنسان، فأولته اهتماماً بالغا مخصوصا، فوضع الشيخ زايد آل نهيان «رحمه الله» استراتيجيات للتعليم وخططاً سارت بالتعليم إِلى مستويات رفيعة؛ إِذ كان «رحمه الله» يمتلك رؤية استشرافية واعية لدور العملية التعليمية باعتبارها الثروة الحقيقية للدول والمجتمعات؛ والخزان الإبداعي والتنموي الزاخر الذي لا تنفد عطاءاته.

وقد سار شيوخ الإمارات في العناية بالخطة التعليمية وفق نهج الشيخ زايد البين، فواصلوا المسيرة، وطبَّقوا في ذلك سياسات واستراتيجيات تتناسب مع

1 ينظر: يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين الأصول الحصاد الآفاق المستقبلية، مؤسسة هنداوي،مصر،2012،ص7-11، و ستاتس بسيلوس؛ فلسفة العلم من الألف إلى الياء، تر: صلاح عثمان، المركز القومي للترجمة، مصر،2018، ص؛ ص؛11-15.

2 للاطلاع أكثر على معرفة فلسفة العلم ونظريات التعليم ينظر: كفاح يحيى صالح العسكري، وآخرون؛ نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،2009، و عماد عبد الرحيم زغلول؛ نظريات التعلم، ،الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1 ؛ 2010، و دونالد جيليز؛ فلسفة العلم في القرن العشرين؛ تر: حسين علي، منهج الاستقراء العلمي، التنوير للدراسة والنشر، لبنان،2009

تحديثـات العصر.

التعليم في رؤية الشيخ محمد بن زايد:

سنقف في هذا المبحث على فلسفة الشيخ محمد بن زايد «حفظه الله»، ورؤيته لتطوير وتأطير قطاع التعليم في الإمارات.

إنَّ مسيرةَ وخبرة الشيخ محمد بن زايد في الحقل التعليمي في دولة الإمارات؛ تمتدُّ إلى سنوات عديدة متواصلة الجهد، فقد تولى عام 2005 منصبَ رئيس مجلس أَبو ظبي للتعليم، فكان له نظرته وبصمته الخاصة في ذلك، والتي خطت بالتعليم في الدولة بقفزات كبيرة وجبارة.

وبتتبع إنجازات الشيخ محمد بن زايد في ميدان التعليم، واستقراءً لخطاباته في مناسبات متعدِّدة، وصلنا إلى استنباط محاور تدور حول مفاهيمها فلسفته في التعليم.

يمكن تلخيص رؤى الشيخ محمد بن زايد في هذا الخصوص في نقاط أهمها:

1. يرى الشيخ محمد بن زايد بأَنَّ التعليم هو اللبنة الأولى والرافدُ الأَساسيُّ في نظام بناء الوطن والمواطن، كما أنه السلاح الفعَّال لحماية مقدرات الدولة؛ يقول الشيخ محمد بن زايد: **(العامل الرئيسي الذي يجعل الدول تبقى أَو تتطور وتواكب الركب في العالم التعليم)**[1].

إن رؤية الشيخ محمد بن زايد هذه تنطلق من أَنَّ التعليم هو أَهم أداة لبناء الدول القوية وتطوُّرها، بل هو السبب الرئيس الذي يكون به بقاء الدول،

1 من كلمة الشيخ محمد بن زايد في لقائه بالمعلمين في يوم المعلم.

وهذا يعني أَنَّ تضعضع الهيكل التعليمي هو انهيارٌ للمجتمعات وتفكك للدول؛ وهذه نظرة دقيقة مُستندة على استقراء فاحص لمآلات التاريخ، وفهم للمأمول من الواقع، ذلك أن كثيراً من الدول والمجتمعات قد تقوضت أركانها لما وهنت منظومتها التعليمية.

ولذلك فإِنَّ الشيخ محمد بن زايد يرى (**أَنَّ التعليم صمام الأمان وقاعدة ارتكاز لتقدم الشعوب وتطورها**).[1]

إنه يعول على أَنَّ رهان دولة الإمارات الآن هو في استثمار كل الإمكانيات المتاحة لديها من أَجل تحسين مناهج التعليم وأطروحاته الناجعة، إذ يقول في سياقٍ آخر: **(رهاننا الحقيقي في هذه الفترة...هو أن نستثمر كل إمكانياتنا في هذا التعليم)**.[2] وهنا حرص على تطوير قطاع التعليم وجودة التعليم.

إن هذا الجيل الذي على مقاعد التعليم اليوم هو الذي سيقود البلاد في المراحل القريبة القادمة، وهو الذي سيوظف خيرات الطاقات العلمية والمادية لخدمة الإنسان، ولذلك فالشيخ محمد بن زايد يراهن على هذه الأَجيال كمادة تنموية خام، إذ يقول مخاطباً الطلاب: **(بداية يسعدني جداً أن أرى هذه الوجوه النيرة والمتفائلة الطموحة ،التي نحن نراهن عليه، نراهن عليهم بمسؤولية بلد ومسؤولية أمة ومسؤولية جيل، وإن شاء الله نفرح بهذا)**[3].

إن رحلة الطالب والمعلم إِنَّما هي خطوات الأَجيال التواقة للتحديات نحوَ آفاق المستقبل ولذلك يقول الشيخ محمد بن زايد في هذا السياق: **(فرحلتكم أنتم رحلة**

1 من كلمته المنشورة على موقع جائزة محمد بن زايد لأفضل معلم في 17/أبريل/2017

2 نفسه

3 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017.

جيل من أجل وطن، عليه أن يجاهد ويتسلح بالعلم ثم يعود ليتسلم الراية، أنتم جيل مهم، نحن نتشرف بكم وأنتم حظ بلادكم)[1].

ولا يخفى ما في هذه العبارات من دعم وتحفيز للمتعلمين، وشحذ لهممهم، وحثٌّ لهم على الانخراط في سيرورة إنجاح عمليات التعلُّم، فهي تشجيع نفسي ومعنوي للطلاب؛ ويمكن وضع هذا الأَمر في سياقِ ما يعرف عند علماء التربية بـ(دوافع التحفيز)، وهي نقطة جوهريَّة من نقاط تطوير التعليم، يقول العالم النفسي وليم جيمس مبيِّناً أَهمية التحفيز: «إنه من أعمق الصِّفات الإنسانية لدى الإنسان: أن يحرص دائماً على أن يكون مُقدَّراً خير تقدير من قِبَل الآخرين".[2]

فالتحفيز هو عمليةً نفسية معتبرة تعلي من ثقة المُتعلِّمَ بقدراته الإبداعية الكامنة، وتدفعه إلى توخي السلوك الأَفضل، وهذه العبارات من الشيخ محمد بن زايد تدخل «ضمن ما يُعرف بالحوافز المعنوية، وهي تلك الحوافز غير المادية التي تعطي المُتعلِّم شعوراً بالرضا، من خلال تنشيط شعور الاحترام والتقدير، وتدفعه إلى مزيد من العمل»[3].

وفي المثار نفسه نجد الشيخ محمد بن زايد يحث على هذه الحيثية الحيوية، التي تُعدُّ دافعا ارتكازيا للانطلاق بالتربية والتعليم، فيقول:) **أنتم جيل مهم، وأنا سعيد جدا لرؤية الكثير من الشباب والبنات تخصصاتهم مهمة جدا ونحن**

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017.

2 وليم جيمس؛ عالم متعدد، تر: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، ص60.

3 ينظر: جرجيس عُمير عباس، ومثنى وعد الله يونس، الحوافز وأثرها في الرضا الوظيفي، بحث منشور في مجلة تربية الرافدين،ع97، مج32، سنة 2010.

نتشرف بكم وأنتم حظ بلادكم)[1]. ذلك أن قطاع التربية والتعليم يُعدُّ رافداً عضويا متصلا بكل مناحي الحياة الأخرى السياسية والاقتصادية والتكنلوجية وغيرها، وهذه الرؤية تستند إلى نظرة فلسفية نادى بها علماء التربية، وعلماء النفس والفلاسفة، وهي تندرج ضمن عدَّة مباحث، منها ما يسمِّيه علماء النفس التربوي بـ(الأَهداف السلوكية للتعليم)[2].

2. يرى الشيخ محمد بن زايد أَنَّ التعليم ضمانة حيوية لتماسك المجتمع، فكلَّما كان المُجتمعُ أَكثرَ تعلُّماً، كان أَكثرَ تماسكاً، كما يعدُّ الشيخ محمد بن زايد التعليم خير استثمار يمكن أن يستثمر في الإنسان، فالتعليمَ هو الخيارُ الأمثل لدولة الإماراتِ، كما أن الشيخ محمد بن زايد يصبو إلى النوعيَّة لا الكميَّة، وهما قيمتان مهمتان تضبطان معايير المخرجات البيداغوجية والعلمية المتعلقة بالتمدرس؛ وهذا ما يسمى بالجودة الشاملة في ما يتعلق بمردودية العملية التعليمية، ولا يكون هذا إلا بتكامل تدخلات الفاعلين؛ يقول في معرض كلمته: (أَنا بالنسبة لي التعليم هو من أَول أولويتنا؛ لأننا لا نستطيع أن نعتمد على الكم، ويجب أن نعتمد على النوعية، النوعية أنتم تخرجونها، أولادنا أمانة في رقابكم)(3).

ويقول أيضاً: **(هل نحن نريد أن نعتمد على الكم أم على النوعية؟، السؤال الذي يطرح نفسه بطريقة أخرى هل دولة الامارات بلادنا، عندنا الخيار أن نعتمد على الكم (لا) لذلك لدينا الخيار أن نذهب للنوعية، ومن هذا المنطلق،**

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017.

2 ينظر: عبد المجيد نشواتي؛ علم النفس التربوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط4، 2003 ، ص؛ ص،51-63.

3 من لقاء للشيخ محمد بن زايد بالكادر التعليمي في يوم المعلم، وهو منشور على شبكة النت.

لـذا يجـب أن يكـون لدينـا تسـليح حقيقي الـذي هو العلـم ، بحيـث ننافس بكم دول العالم).[1]

3. تقوم فلسفة الشيخ محمد بن زايد في التعليم على العناية الخاصة بالتعليم الأَساسي والتعليم العالي على حد سواء؛ ففي التعليم الأساسي هناك احتفاء بالجانب الأخلاقي والسلوكي؛ ولذلك أمر سموه بتدريس مادة التربية الأخلاقية في المدارس، وهذا متصل بما يسمِّيه الفلاسفة وعلماء النفس بـ(النمو الأَخلاقي)، إذ نجد (كولبرج) مثلاً قد «قام بدراسة النمو الأَخلاقي لدى الأَطفال، ووضع ثلاثة مستويات للنمو الأَخلاقي»(2) وإننا لا نشكٍّ في أَنَّ هذا النمو الَأخلاقيَّ بجميع مراحله إِنَّما يضطلع بالتربية الأَخلاقية والتوجيه السلوكي للطفل في المراحل الأولى لتكوين بنية شخصيته.

يقـول الشـيخ محمـد بـن زايـد في لقائـه بالمعلمين في يـوم المعلـم: (**اللبنة التي هـي الابتدائيـة والإعداديـة والثانويـة هـذه أمانـة في رقابكـم كلكم، فأنـت تجعله يخـرج عالمـاً ويصنـع لنا الـذرة أو يصنع لنـا دواء..تشـجيعكم لهـم نصيحتكم لهم في الاتجـاه الصحيـح يجعلهـم يفكـرون بأنهـم يتجهـون في الاتجـاه الصحيـح، كل واحـد وواحـدة في هـذه البـلاد أشـوفه مثـل خالـد ومريم،أنـا واجب عـليّ كمحمد وكمسـؤول أن أقـف معهـم، نحـن كلنـا عائلة واحـدة...)**[3].

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017

2 ينظـر: عبـد المجيـد نشـواتي؛ علـم النفس التربـوي؛ دار الفرقـان للـنشر والتوزيـع،عمان-الأردن،2003 ،ص؛ ص190-195، و علي الجـارم؛ ومصطفـى أمين؛ علـم النفـس وآثـاره في التربيـة والتعليـم، ،وكالـة الصحافـة العربية(نـاشرون)، مصر،2021، ص؛ص؛181-186.

3 من لقاء للشيخ محمد بن زايد بالكادر التعليمي في يوم المعلم، وهو منشور على شبكة النت.

ولذلك فقد سعى إلى تشجيع الإثراء الفكري للمتعلمين، بتنمية الحقل المعرفي؛ فأَمر بإنشاء المكتبات المدرسية وأكد على إلزامية مسايرتها لمستجدات العلوم، كما ألح على ضرورة تخصيص ستة ملايين درهم، لشراء مجموعة من الكتب، وتوزيعها على مكتبات المدارس.

وفي إطار الاهتمام العملي بالتعليم العالي فقد سعى الشيخ محمد بن زايد للاستفادة من التجارب والخبرات التعليمية شأنه في ذلك شأن كل المهتمين بالمنظومات التعليمية عبر الهيئات الجامعية الكبرى؛ فاستقطب الأَساتذة المتميِّزين من شتى الجنسيات العربية والعالمية، وقام بإنشاء «**جامعة محمد بن زايد للذكاء الاصطناعي**»، كما افتتح فرعاً لجامعة السوربون ولجامعة نيويورك في أَبو ظبي.

4. لقد اعتنى الشيخ محمد بن زايد بالمعلم عناية خاصة، مادية ومعنوية، واهتم به اهتماما خاصا، لأنه يدرك بأن الاهتمام بالمعلم هو إعلاء من شأن التعليم باعتباره نظاما منسجما من المعارف؛ يصرح الشيخ محمد بن زايد في لقائه بالمعلمين في يوم المعلم قائلا: **(أنا سعيد جدا أن ألتقي معكم في هذا اليوم الذي هو يوم المعلم، العامل الرئيسي الذي يجعل الدول تبقى أَو تتطور وتواكب الركب في العالم التعليم. المعلم بالنسبة لنا مهم لعاملين الرئيسيين، العامل الأول: نحن في دولة الإمارات محتاجون أن يكون التعليم عندنا راقٍ إلى درجة بحيث نحن لا نخسر واحداً. من المهم إذا كنا نريد نخرج نوعية ونخرج كوادر مميَّزة نحتاج أن يكون عندنا معلم مميَّز...وعلى فكرة أنا لي ذكريات مع مدرسيِّي وفضلهم أُقسم لكم بالله على رأسي؛ لأن أنا اليوم...من بركات تربية أهلي ونصيحة وتربية**

مدرسيني).

ولِبثّ روح التنافس بين المعلمين فقد أنشأ الشيخ محمد بن زايد عام 2017 **جائزة الشيخ محمد بن زايد لأفضل معلم خليجيّ**؛ هذا ومن الجدير بالذكر أَنَّ الإمارات العربية المتحدة تُعتبر واحدة من أَكثر دول العالم العربي احتفاء بجوائز التميز في مجال التعليم، إذ أنها تحتفي في أكثر من (12) جائزة بالتعليم وتطويره؛ حيث أن للجوائز دورا بالغا في بث روح الإبداع، فهي من أفضل أساليب التحفيز على الصعيد التعليمي؛ ولذلك نجد أنَّ استحداث الجوائز لتحفيز الابتكار في التعليم؛ قد عرف وتيرة متصاعدة خلال السنوات الأخيرة، ذلك أن «الجوائز تعد من أهم الوسائل المستخدمة لشحذ الهمم وللتعريف بالمواهب الواعدة القادرة على التميُّز والإنجاز»[1] فجوائز التميُّز هي من الوسائل الحديثة المستعملة في استحثاث المتعلِّمين والمُعلِّمين والمؤسسات التعليمية، وتطوير مهاراتهم، وتشجيعهم على توسيع معارفهم، وإذكاء روح المنافسة بيهم»[2].

5. يرى الشيخ محمد بن زايد أنَّ التعليمَ متصل بعملية منظومةٍ متكاملة يشترك فيها عدَّة أَطراف من أَجل الوصول للهدف التعليمي المنشود، «**فعندما نتحدث عن التعليم فهذا يعني المدرسة والمعلم والطالب، والتعليم منظومة متكاملة لا يمكن تحقيق أهدافها بدون دور الأب والأم والأسرة ، ومتابعة الأبناء وتهيئة البيئة المناسبة لهم؛ وكذلك يجب أن يقوم**

1 ينظر: محمد مرع، دليل التحفيز في المؤسسات والإدارات، دار الرضا للنشر، دمشق 2000، و؛ مدحت محمد أبو النصر، الإدارة بالحوافز؛ المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة؛ 2004.

2 ينظر: جوائز التميز في التعليم في بعض دول العالم العربي دراسة مسحية، إعداد : المركز الإقليمي للجودة والتميز في التعليم، ص75.

المجتمع بدوره (متمثلا في جميع هيئاته ومؤسساته) بمعاونة ومساندة منظومة التعليم حتى تحقق أهدافها الكاملة».[1] والشيخ محمد بن زايد يعتبر العنصر الأكثر فعالية في شبكة تكامل تدخلات الفاعلين التعليميين.

6. وقد أعلى الشيخ محمد بن زايد من قيمة التعليم الفني والتقني، فأنشأ في عام 2005 **معهد التكنلوجيا التطبيقية.** وهذا احتفاء بحقول مهمة تنضوي تحت اهتمامات التعليم العالي.

ختاماً نقول: إنَّ تحسين التعليم قد شكِّل أَولويَّةً كبرى لدى اهتمامات الشيخ محمد بن زايد، وهو في ذلك يعتمد على رؤية معرفية وتربوية واعية لأهمية العملية التعليمية، ولذلك فقد كان حريصاً على توفير كلّ ما من شأنه المضي بالتعليم إلى مراكز متقدِّمة، مستنداً في كل ذلك إلى منهجية علمية دقيقة، ورؤية ينطلق فيها من الواقع، ويستشرف من خلالها آفاق المُستقبل العلمي.

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد للطلاب والمعلمين في أول يوم دراسي 2022/8/30 .

تقانات الحجاج والترابط النصي

في خطاب الشيخ محمد بن زايد

المبحث الأوّل

تقانات الإقناع في حجاج خطاب الشيخ محمد بن زايد

«فن الإقناع والإمتاع»:

إنَّ الخطـاب هـو رسـالةٌ كلاميَّـة تهـدفُ إلى التأثـير في المتلقي لإحـداث قناعاتٍ مسـتجدة فيـه أَو لتثبيـت وتأكيـد قناعـاتٍ سـابقة، فهـو في كثـيرٍ مـن صـورهِ يقـومُ عـلى التأثـير والإقنـاع في المُتلقّـي؛ ذلـك أن الإقناع هو مـن الأَهداف التـي يرمي إليها المُرسِـل مـن خلال رسـالته الكلاميَّة، ليصـل إلى (إحداث تغيير في الموقـف الفكري أَو العاطفـي)[1] لـدى المُرسَـل إليه؛ وذلك يسـتدعي مـن المُتكلِّم لزاما اسـتعمال (آليات فاعلـة لتحقيقـه؛ ولـذا نجـد الحجـاج ميـزة مـن ميـزات هـذا التخاطـب بمواقفـه المتعـدِّدة وأَشـكاله المتنوعـة بين الشـفوية والكتابيـة، ولذا فهو يُعـد ركيزة النصوص الموجهـة المتضمنة للقصديـة والنقـاش والنقد).[2]

إن الحجـاجُ في الـدرس اللسـاني الحديـث يُنظرُ إليه على أَنَّه وسـيلة من وسـائل الإقنـاع، ولذلـك يـرى الدكتور عبد الله صولة أَنَّ الدراسـة الحجاجيَّة هـي أنْ (نتدبَّر الـكلام... مـن زاوية أُخـرى هي زاوية التأثـير لا التعبير)[3].

1 هنريش بليث؛ البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص64.
2 نعمان بوقرة؛ مباحث في اللسانيات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص95.
3 عبد الله صوله؛ في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، ص142.

وهذا يقودنا إلى تعريف إيميل بنيفينست للخطاب، إذ يعلن أن: (الخطاب في أَعم مدلول له هو كلّ تلفّظ يفترض متكلّماً ومستمعاً مع توفّر مقصد التأثير بوجه من الوجوه عند المتكلّم في المستمع).[1]

هذا وقد عدَّ (روبول) الوظيفةَ الإقناعيةَ واحدةً من وظائف البلاغة، فالبلاغة في إحدى تعريفاتها هي فنُّ الإقناع بالخطاب.[2]

فالمُرسِل عندما يريد إقناع المُرسَل إليه يتبع في ذلك «سبلاً استدلالية متنوِّعة تجرّ الغير جراً إلى الاقتناع برأي المحاور؛ وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه».[3]

وتعد نظرية الحجاج في اللغة؛ والتي وضع أُسسها اللغوي الفرنسي (أزفالد ديكور منذ عام 1973) من النظريات اللغوية المهمَّة تنظيراً وتطبيقاً، فهي نظرية لسانية، تهتم بدراسة الوسائل اللغوية، وتتغيا في ذلك إلى اكتشاف منطق اللغة، فتدرس قواعد الخطاب، التي يكون على أَساسها تسلسل الأَقوال، وتتابع الأَفكار، وتناميها، وفقَ قوانين تستند إلى إمكانات اللغة، وقواعد الاستنتاج والتحليل، ولذلك فهي تدرس كما أسلفنا الإمكانات اللغويَّة التي يُتقنها المتكلِّم، لتمكِّنه من توجيه خطابه إلى المُتلقين للتأثير فيهم؛ فاللغة بصورة عامة؛ واللغة العربية على وجه الخصوص تحمل بصورة جوهرية في معجمها وبنيتها الصرفية وفي تراكيبها وصورها:

1 نقلاً عن كتاب في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، ص:143.

2 ينظر: طبيعة البلاغة ووظيفتها، أوليفي روبول، تر: الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجده، ع(16)، يونيو2001، ص75.

3 في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص38.

وظيفة حجاجية[1].

وقد عدَّ (بوبر)الحجاجَ من وظائف اللغة؛ حيث أن للغة أَربع وظائف هي :الوظيفة الحجاجية، والوظيفة الإشارية، والوظيفة الوصفية، والوظيفة التعبيرية»[2].

إن الوظيفة الحجاجية للغة تتحقَّق بتظافر وتواشج مجموعة من المعطيات؛ ولذلك فإنَّ المقاربة اللسانية الحجاجية تعتمد على تحليل البنى اللسانيَّة للخطاب، فهي(تقف عند حدود الخطاب ولا تتعداه إلى وقائع أخرى تتعلق بالمنتجين المفترضين لهذا الخطاب...).[3]

وقد عرف الحجاجَ كلٌّ من **برلمان وتيتكا** في مؤلفهما المشترك بقولهما: (موضوع الحجاج هودراسة تقنيات الخطاب التي شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات؛ أو أن تزيد درجة التسليم).[4] ويقولان في موضع آخر(غاية الحجاج التأثير بالإنسان بأن يجد نفسه مدفوعاً إلى العمل أو مُهيّأ لإنجاز عمل محتمل).[5]

كما عرف أبو بكر العزاوي الحجاجَ بأنَّه (ما تشتمل عليه اللغات البشرية عامة، واللغة العربية خاصة من وسائل لغوية ومن إمكانيّات صرفية ومعجمية

1 ينظر: أَبو بكر العزاوي؛ اللغة والحجاج؛ الدار البيضاء، ط1، 2006، ص، ص، 08،14.

2 ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان،ط1، 2004، ص457.

3 الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ص57ـ وينظر: السلالم الحجاجية في كتاب أطواق الذهب، مقاربة تداولية؛ الضاوية لسود، مجلة فصل الخطاب، مج7، اع25، مارس2019، ص 36.

4 الخطابة الجديدة، ص5، نقلاً عن كتاب في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع،تونس،ط1، 2011، ص13.

5 الخطابة الجديدة، ص:92، نقلاً عن كتاب في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، ص144.

وتركيبية ودلالية يوظّفها المتكلّم لتحقي أهدافه وغاياته الحجاجيّة و الإقناعيّة).[1]

تقانات الإقناع في خطاب الشيخ محمد بن زايد /قراءة حجاجية:

إنَّ الوظيفة الحجاجية في الخطاب تتحقَّق بواسطة استخدام وسائل وتقانات، ترجع بمجملها إلى استثمار مقدرات اللغة، وما تنطوي عليه من خصائص أُسلوبيَّة، وتضمينها مقاصد حجاجيَّة، ووسائل إقناعيَّة، ليصلَ المُتكلَّم إلى ما يريده من التأثير.

وإن هذه الوسائل الحجاجية والإقناعيَّة مختلفة في قيمتها، فمنها وسائل نفسية، ومنها وسائل منطقيَّة عقلية، لكنَّ جميعها؛ ينبغي صياغته في قوالب حجاجيَّة لغوية، (فالحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، وإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير)[2].

وإننا إذا نظرنا في خطابات الشيخ محمد بن زايد وجدنا أنَّه يولي المتلقي في خطاباته عناية بالغة، ويهتم به أَهمية كبرى، وذلك ضمن ممارسة لسانية نصية، يستحضر فيها آليات الحجاج وطرقه التعبيرية، ولذلك سنقف في هذه الدراسة على بعض هذه الآليات الحجاجية في نماذج من خطاباته.

1 أَبو بكر العزاوي؛ اللغة والحجاج؛ ،الدار البيضاء، ط1، 2006، ص13.

2 محمد السالم محمد الأمين؛ الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2008، ص؛ ص؛ 120،121

1. الإحالة:

تعـد الإحالـة وسـيلة لسـانية ذات قيمة بـارزة، إذ أنها تؤدي وظيفـة حجاجية، فضـلاً عـن وظيفتهـا التركيبية المتمثلـة في تحقيق ترابط النصِّ، فهي تشـكل واسـطةَ تأثـير في المتلقـي؛ تجعله يسـتحضر في ذهنـه الربط بين الحجج والمقدمـات والنتائج الحجاجيـة في النـصِّ، فهـي إذن أداة حجاجيـة تقـوم (على الوصل بـين البنى النصية المتباعـدة داخـل النـص الواحـد، مـما يجعـل مـن مهـام الربـط بهـذا النـوع مـن الأدوات تحقيـق الانسـجام الـدلالي بـين البنـى الصغرى للخطـاب)[1]؛ وهـذه الإِحالة لهـا صـور منها:

أ. الإحالة بالضمير:

إنَّ الناظر في خطاب الشيخ محمد بن زايد يلاحظ حضور ضمير المتكلمين بصيغة الجمع، الذي يُحيلُ إلى دولة الإمارات حكومةً وشعباً، ومن أَمثلة ذلك قوله في أول خطاب له بعد توليه رئاسة دولة الإمارات:[2]

(فقدنا قبل مدة صاحب القلب الكبير.. القائد الوالد..)

(وتقبلنا رحيله بقلوب صابرة ومؤمنة بقضاء الله وقدره)

(.. نسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة.)

(اليوم ونحن نرى وطننا بين دول العالم كما أراده زايد والمؤسسون «رحمهم الله جميعاً ..)

(نحمد الله على هذه النعم)

1 تفاعل البنية والدلالة في فلسفة الثعبان المقدس، نعمان بوقرة، ص40.

2 هذه النصوص من أول خطاب للشيخ محمد بن زايد آل نهيان بعد توليه رئاسة دولة الإمارات.

(ومستمرون بإذن الله على نهجهم وحكمتهم ورؤيتهم..)

(نستلهم منهم الدروس والعبر في القيادة والإرادة..)

(وسيبقى تاريخنا وهويتنا وموروثنا الثقافي جزءاً أساسياً في خططنا إلى المستقبل.)

لقد شكَّل ضمير المُتكلِّمين البارز في هذه النماذج أعلاه؛ مُهيمناً أُسلوبيَّاً في هذا الخطاب، أَعطاه عُمقاً دلاليَّاً، وبعداً تأثيرياً، من خلال إشعار المُتلقين بوحدة الهدف، وأَنَّهم مُشارِكون في القرارِ وفي الإنجاز، هذا فضلاً عن كونه دعوة بلاغية في إشراك المُتلقِّي في إنتاج دلالات الخطاب، ممَّا يُسهم في التأثير فيه، وإثارة انتباهه، وشدَّ وتيرة حضوره.

كما أَدَّت هذه الإحالة وظيفةً تركيبيَّةً تتمثَّل في تماسك الخطاب، من خلال البعد عن تكرار الملفوظ.

ونجد أن صاحب الخطاب لم يُغفل استخدام ضمير المُتكلِّم المفرد؛ وذلك لمُناسبات استدعاها السياق المُقامي أَو الثقافي، ومن أَمثل ذلك قوله:

(إخواني وأخواتي..) وقوله: (وأشكر إخواني وسندي وعوني.. أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات الذين حمَّلوني مسؤوليةً عظيمةً.. أدعو الله تعالى أن يعينني على حملها)[1].

وبناء على ما مضى؛ يمكننا أن نقول: إنَّ حضور ضمير المتكلمين(نحن)، وضمير المتكلم(أَنا)، وضمير المخاطب (أنتم)، وضمير الغائب، يجعل الخطابَ خطاباً يتسم

1 هذه النصوص من أول خطاب للشيخ محمد بن زايد آل نهيان بعد توليه رئاسة دولة الإمارات.

شاملا، فهو يُخاطب الإنسان خطاباً عامَّاً، بالإضافة إلى ما يؤدِّيه هذا التنوُّع في استخدامات الضمائر من وظائف أُسلوبيَّة تستند إلى أُسلوب الالتفات المعروف في البلاغة العربية، والذي يرمي إلى جذب انتباه المتلقي، وإثارة تساؤلاته الفعالة.

ب- الإحالة باسم الإشارة:

تُعدُّ الإحالة الإشارية وسيلة لسانية لها أهمية كبيرة في تحقيق ترابط المكوِّنات الحجاجية في النصِّ، فهي واسطة تأثير في المتلقي تدفعه إلى الربط الذهني بين أجزاء النصِّ، كما تحيله في أحيانٍ كثيرةٍ إلى سياقاتٍ خارجية محيطة بالنصِّ تؤثث عملية الحجاج؛ ولذلك فإنَّ هذه الإحالة تُقسم عند الباحثين في الحجاج إلى: إحالة داخلية وإحالة خارجية.

1- الإحالة الداخلية: وهي الإشارة إلى عناصر داخل النص سابقة كانت أَو لاحقة.

ونجد هذه الإحالة الداخلية حاضرة في سياقات متنوِّعة من خطابات الشيخ محمد بن زايد، لتـــنفذ بذلك وظائفها الحجاجيَّة، ووظائفها الأُسلوبية والدلالية.

ومن أَمثلة ذلك قوله في كلمة له لأجيال المستقبل: (يا أبنائي دائما من يسبق الآخر، يسبقه بثلاثة أشياء رئيسة، الأول الحجم، يجب أن يكون لديه سلاح العلم وتستثمر في التعليم بكل بكل طاقاته وامكانياته، الثالث يجب أن يكون هناك قيادة واعية عندها رؤية واضحة وعندها خارطة طريق محددة اتجاها الذي تسير فيه،

هذه هي العوامل الرئيسية للنجاح).[1]

فهنا قد ذكر وفق متتاليات لغوية ثلاثة أَسباب للسبق بين الشخص وغيره، ثُم جاءت الإحالة الداخلية البعدية من خلال اسم الإشارة (هذه هي العوامل الرئيسية للنجاح). فأَدَّت هذه الإحالة وظيفة حجاجية من خلال ربط المقدمات والأَسباب بالنتائج، إذ نجد في هذا الخطاب ملفوظين، الأَول يمثل المقدمات الحجاجية (أَسباب السبق أَو العوامل الرئيسة للنجاح)، والثاني يتمثل النتيجة الحجاجية المطلوبة (النجاح).

هكذا عملت الإحالة الإشارية هنا على إثارة همة المتلقي، وتحريكه نحوَ العمل، كما أنها أدت إلى تماسك النص، والبعد عن التكرار اللفظي.

ومن الملاحظ هنا استخدامه اسم اشارة القريب(هذه) مع أَنَّ التركيب النحوي يجيز استخدام اسم اشارة البعيد(تلك)، لكننا نحسب أَن هذا الاختيار جاء مقصوداً، إذ أن فيه إِشارة إِلى أنّ هذه العوامل متيسرة قريبة فما على المتلقي إلا مباشرتها والأخذ بها ليصل إِلى النتائج المرجوة؛ وكل ذلك يُعدّ من أساليب الحجاج التي تعمل عملها على المتلقي اعتمادا على تعقله للغة الخطابية التي تشتغل وفق اليات مرتبطة بإحالاتها الدلالية والبلاغية المتوارية.

وفي السياق نفسه يقول الشيخ محمد بن زايد في كلمته لأجيال المستقبل 2017: (**لأننا نحن سنصل لمرحلة اسمها انتهاء المكون الرئيسي لاقتصادنا وهو البترول، لهذا السبب يجب أن نستعد من الآن، والاستعداد يكون بطريقة مؤمنة للأجيال القادمة. لهذا السبب لدينا نحن رهان بأن التعليم في هذا البلد المبارك بكم**

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017.

وبأهلكم يكون رقم 1 في العالم لا نستطيع أن نقبل بأن نكون رقم 2).

هنا بالضبط تبرز مقدمة حجاجية مهمة في قوله: (**لأننا نحن سنصل لمرحلة اسمها انتهاء المكون الرئيسي لاقتصادنا وهو البترول**)؛ فبعد أَن هيّء ذهن السامع من خلال هذه المُسلَّمة، جاء باسم الاشارة (هذا) للإشارة إلى نتيجة مفادها أَنَّه يجب علينا أن نستعدَ لتلك المرحلة بطريقة تؤمن حاضر البلد ومستقبل الأجيال، ثم جاءت القيمة التي يرمي إليها وهي: أَنَّ التعلم هو الرهان وهو البديل الذي يجب أن يحل محلَّ البترول، وبه تتقدَّم البلاد وتزدهر؛ وهذا كله ينقل حركة الإقناع عند السامعين من مرحلة منطقية تقتضي مرحلة أخرى؛ لتكون النتيجة محصلة لنقلات عقلية، تدلل على أهمية الغاية وضرورتها.

ولذلك نجد الشيخ محمد بن زايد يؤكِّد على هذا الأمر بالأُسلوب الحجاجي نفسه إذ يعلن قائلا: (**إن رهاننا الحقيقي أنتم يا أبنائي، ولدينا إيمان بأن التقدم في هذه الدولة لن يتم إلا بكم، أنتم أمل هذه البلاد ومستقبلها والسلاح الحقيقي، وليس الـ3 ملايين برميل نفط، وأنتم صمام أمانها، فحين تتسلمون الراية يجب أن تتسلموها وأنتم بخير وعز، ولديكم القدرة على أن ترتفعوا بها**)[1].

ومن صور هذه الإحالات الداخلية قوله:(الحقيقة بأن دولة الامارات مغرية، مغرية لماذا؟ لأنه لدينا أكثر من 20 مليون سائح، مغرية لأنها فيها اقتصاد قوي، مغرية لأن فيها مواصلات واتصالات مميزة على مستوى المنطقة والعالم، مغرية لأنه عندنا أمن وأمان نحمد الله عليه فهذا الوضع هو الذي يجعل الاستبيان المقدم للشباب في العالم وسؤالهم ما هي الجهة المفضلة في العالم والتي تود العيش فيها فيأتي الجواب دولة الإمارات ،70% من الشباب العربي يود العيش في الامارات)[2].

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017

2 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017

إن الشيخ محمد بن زايد يحيل هنا إلى إحالة قبلية داخلية في قوله:(**فهذا** الوضع هو الذي يجعل...). فبعد أن ذكر استهلالات حجاجية مفادها أَنَّ دولة الإمارات دولة مغرية بسبب ما فيها من سياحة واقتصاد وبنى تحتية واستقرار أَمني، أَتى بالرابط الحجاجي (هذا) ليشير إلى ما ذكر من قبل، والغاية من ذلك الوصول إِلى نتيجة حتمية مفادها: أَن كل ذلك تحقَّق بسبب تظافر الجهود بين أبناء الإمارات قيادة وشعباً، وذلك منذ تأسيسها، يقول: (السبب يا عيالي لان 47 سنه توفقنا بقيادة حكيمة ليس فقط ذكية، وضعت البنية التحتية صح ووضعت الأساس الصحيح والسليم ونعيش بسعادة، كل ما نراه اليوم هو بفضل الله وبركات القيادة التي ليست معنا اليوم، الله يرحمهم).

وهنا أتى بالقيمة التي يرمي إِليها من هذا الحجاج، وهي: أنَّه علينا أن نحافظ على هذه المنجزات ونبني عليها، فقال: (الحمد لله أمورنا طيبة ولكن نحن الآن نضع رؤية 50 سنة قادمة، حتى تتمتع الأجيال القادمة بالسعادة والأمان ،ونحن لا نقبل إلا أن يكون مستقبل الأجيال أفضل منا الآن).

2- الإحالة الخارجية: وتتحقق بالإحالة إِلى السياق الخارجي المُحيط بالنصِّ، من المواقف والأَحداث والقيم الثقافية، وكلُّها تساهم في إنتاج النصِّ وفي فهمه وتأويله، فهذه الإحالة تربط السياق في ذهن المتلقي بالإطار العام زماناً ومكاناً.

وإن هذه الإحالة كانت حاضرة في خطابات الشيخ محمد بن زايد بشكل مكثَّف، ومن أَمثلتها قوله:

(كل انسان في هذه الحياة يمر بتحديات، التحديات هذه أحيانا تكون صعبة، وأحيانا أصعب، خاصة عندما يكون الأمر متعلق بالوطن).[1]

1 المصدر نفسه.

فهو قد أَحال هنا إحالة بعدية من خلال الاشارة (هذه الحياة) إلى الحياة المحيطة، ثم أَحال إحالة قبلية إلى التحديات (التحديات هذه).

وهذه الإحالة (القبلية والبعدية) أَعطت الخطابَ بعداً حجاجياً عميقاً، فإنَّ في ذلك تجسيداً للحياة وتحدياتها، وهي أُمور معنوية نفسية، لكنَّه أَشارَ إليها باسم إشارة القريب(هذه)، ممَّا استلزم استحضار صورتها الذهنية لدى المتلقي، لينفذ من خلالها إلى بثَّ ما يرمي إليه من قيم، فجاء قوله: (فرحلتكم أنتم رحلة جيل من أجل وطن، عليه أن يجاهد ويتسلح بالعلم ثم يعود ليتسلم الراية، أنتم جيل مهم، نحن نتشرف بكم وأنتم حظ بلادكم)[1].

وبذلك يكون الشيخ محمد بن زايد قد مارس سلطة حجاجية إقناعية، ليوصل رسالة إلى المتلقين، وهم هنا أَجيال المستقبل كما هو مبين من عنوان الخطاب (رسالة إلى أَجيال المستقبل).

ومن أَمثلة هذه الإشارة أَيضاً قوله: (عززت دولة الإمارات منذ قيامها علاقاتها مع دول العالم على أسس راسخة من حسن التعامل والمصداقية والتعاون البنّاء، لذلك اكتسبت الدولة سمعة طيبة إقليمياً ودولياً بجهود شبابها وشاباتها الي نفتخر فيهم داخل الدولة وخارجها..

وسنسعى خلال المرحلة المقبلة للبناء على هذه السمعة في إقامة شراكات استراتيجية نوعية مع مختلف الدول..).[2]

فهنا نجد الإحالة البعدية (هذه السمعة)، وهي تُشير إلى ما ذكر في الخطاب من تفصيلات بيَّنت كيف نالت الإمارات هذه السمعة الطيبة، لينتقل

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017

2 أول خطاب للشيخ محمد بن زايد بعد توليه رئاسة دولة الإمارات.

الخطاب من خلال الرابط الإشاري (هذه)، ليجعل من هذه المُسلَّمة المنطقية حجة يبني عليها النتيجة المُبتغاة وهي (إقامة شراكات استراتيجية نوعية مع مختلف الدول).

ومما يلمح هنا؛ أن هناك نتيجة مضمرة في هذا الخطاب يستطيع المتلقي الوصول إليها واستنتاجها من خلال الإيثاق بين هذه الحجج، وهي أنَّ هذه الشراكات الاستراتيجية ستعود بالخير للوطن والمواطن، وبالأَمن والاستقرار على المنطقة؛ وهذه كلها نتائج تمَّ الوصول إليها من خلال هذه التقانات الحجاجية السالفة.

وهي التقانات التي كثفت الدلالة، مع الاقتصاد اللغوي في التعبير، وهي مقاصد أُسلوبية جليلة.

ومن الظواهر الأُسلوبية التي ينبغي الوقوف عندها؛ هو أَن هذه الخطابات تتميَّز بالحضور المكثف لاسم إشارة القريب، وفي ذلك إشارة إلى قرب المتكلم من شعبه، وتلاحمه مع قضاياهم وهمومهم وتطلعاتهم، فنجد مثلاً:

(في هذه الذكرى المباركة)

(نستحضر هذه القيم والمعاني التي يجسدها الشهداء....

وأخص بالتحية، في هذه المناسبة، أمهات الشهداء...)[1]

(عيالي ...الحياة بداية أحلام تكبر معنا ويكبر طموحنا بتحقيقها ومدارسكم تصقل هذه الأحلام والمهارات ، وترسم فيها المستقبل)[2]

2- جماليات التكرار:

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد في يوم الشهيد 29 نوفمبر 2020

2 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017

يُعـدُّ التكـرارِ من الظواهر الأُسـلوبيَّة والتقانات اللسـانية التي تتسـم بها اللغة العربيـة، ولهـا أَغـراض تركيبيـة ودلاليـة وصوتيَّـة، كـما أن لديهـا أَيضـاً أَغراضـا ذات خصائـص حجاجيـة في اسـتمالة المتلقـي، عـن طريـق تكـرار أجـزاء لغويـة، إِذ يؤدي هـذا التكـرار إِلى تركيزهـا في ذهـن المتلقـي، وترسـيخها في وعيه.[1]

يسـتخدم الشـيخ محمـد بـن زايـد في خطابـه تقانـة التكـرار، ومـن أَمثلة ذلك تكـرار كلمـة الإِمـارات في أول خطـاب لـه بعـد توليـه رئاسـة الدولـة، فقـد ورد أَكثر مـن سـبع عـشرة مرة (17 مـرة)، مما يجعلها كلمـة محورية في هـذا الخطاب؛ يدور حولهـا مثـار الخطـاب؛ وفي هـذا إلماحـات واضحـة إِلى أن الإِمـارات وشـعبها وأمنهـا ومصلحتهـا وتطوّرهـا وازدهارهـا هـي محـور اهتمامـه، و قد اسـتخدم هـذا التكرار البلاغـي بغيـة الوصـول إِلى اسـتراتيجية حجاجيـة مركزيـة مفادهـا، أَن عـلى أبنـاء الوطـن أن تكـون الإِمـارات المحـور الـذي يجتمعون عليـه ويتعاونون مـن أجله، ولا شيء غيرها.

ومـمَّا يؤكـد عـلى ذلـك أَنَّنـا نجـده يكـرر كلمة أُخـرى لهـا المدلول نفسـه، فقد كـرر كلمـة (وطـن) خمس مـرات في هـذا الخطاب.

كـما أننـا نجد كلمـة (الإِمـارات) وكلمة (بلدنـا) و(طننا) تكـررت مرات كثيرة في خطاباتـه الأُخرى.

ومـن أمثلـة التكرار، تكـرار كلمة (شركاء) في قوله: (وجودكـم هنا اليوم للطرف والطـرف الآخـر مهـم، لأننـا جميعـا شركاء في المهمـة، شركاء في خدمـة الوطن، شركاء في همومـه وسـعادته، شركاء في تقدمـه، شركاء في أمنه، كلنـا شركاء، ولكن هنالك من

1 ينظـر: استراتيجيـة الحجـاج التعليمـي عنـد الشـيخ البـشير الإبراهيمـي، حمـدي منصـور جـودي، بحـث منشـور في مجلـة كليـة الآداب واللغـات، جامعـة لـخضر، بسـكرة، الجزائـر؛ عـدد10، 2012، ص 228.

استلم الراية ومضى، والبعض منا سيأتي عليه الدور ليستلم الراية والمهمة، وهذه اللحظة قادمة)[1].

إن هذا التكرار لكلمة (شركاء) بما تحمله هذه الكلمة من دلالات عميقة ومن إشارات سيميائية، قد شكَّل قيمة حجاجية كبرى، إذ رسَّخ التكرار هنا مفاهيم كثيرة في ذهن المتلقي، ولا سيما أن هذا الخطاب هو لأجيال المستقبل.

ومن أمثلة التكرار، تكرار كلمة(ننافس) في الخطاب نفسه أعلاه، في قوله:(أنا ما أقول بأننا نريد أن ننافس شركة بوينج ، وجميعكم يعرفها، ولا نريد منافسة شركة ايرباص وكيف صنعت أفضل طائرة نقل، ليس هذا هدفنا يا اخوان وعيالي، نحن هدفنا أن ننافس فنلندا، ننافس نيوزلندا، ننافس حتى كوريا الجنوبية وسنغافورة).[2]

إن المنافسة هي إذن البؤرة الدلالية التي يدور عليها هذا النصِّ الخطابي، وتجتمع عندها أنساقه، وفي ذلك بعدٌ حجاجي يتمثَّل في ترسيخ هذه المفاهيم في ذهن المتلقِّين.

ولذلك فإننا لو عدنا إلى بداية هذا الخطاب نجده يكرِّر كلمة (نراهن) في قوله: (بداية يسعدني جدا أن أرى هذه الوجوه النيرة والمتفائلة الطموحة، التي نحن نراهن عليه، نراهن عليهم بمسؤولية بلد ومسؤولية أمة ومسؤولية جيل، وان شاء الله نفرح بهذا.)[3] فإذن هذه المنافسة من قبل أَجيال المستقبل هي ما تراهن عليه الإمارات حكومةً وشعباً.

1 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017.
2 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017
3 المصدر نفسه.

ومـن صـور التكـرار أَيضـاً تكـراره كلمة (مغريـة) في الخطـاب نفسـه، في قوله: (الحقيقـة بـأن دولـة الامـارات مغريـة، مغريـة لماذا؟ لأنـه لدينا أكثر مـن 20 مليون سـائح، مغريـة لأنها فيهـا اقتصاد قوي، مغريـة لان فيها مواصـلات واتصالات مميزة عـلى مسـتوى المنطقـة والعـالم، مغريـة لأنه عندنا أمـن وأمـان نحمد اللـه عليه.)[1] لقـد تكـرَّرت هـذه الكلمة خمس مـرَّات في هذا النـصِّ القصير، إن المتكلـم يعلم أن هـذا التكـرار قـد كان يمكـن الاسـتغناء عنـه من وجهـة نظـر تركيبيـة، دون أن يتأثر المعنـى العـام للجمـل، لكـنَّ – المتكلـم - قـد لجأ إِليـه لغايـاتٍ حجاجيَّـة مقصودة، إذ أنـه سـعى إلى أن يرسـخ هـذا المعنـى في ذهـن السـامع، ليجعل منه حجـة ينتقل منهـا لتقريـر معنـى ارتـكازي في الخطـاب، وهـو قولـه: (فهـذا الوضـع هـو الـذي يجعـل الاسـتبيان المقـدم للشـباب في العـالم وسـؤالهم مـا هـي الجهـة المفضلـة في العـالم والتـي تـود العيـش فيهـا فيـأتي الجـواب دولـة الإمـارات ،70% مـن الشـباب العـربي يـود العيـش في الامـارات.) وهنـا نلاحـظ اسـتخدام الإحالـة الإشـاريَّة (فهـذا الوضع).

وبعـد أن قـرَّر الحجـج وهـيّء ذهن السـامع انتقل الشـيخ محمد بـن زايد إلى تقريـر معنـى جديـد بنـاه على ما سـبق، قال:(السـبب يا عيـالي لأن 47 سـنه توفقنا بقيـادة حكيمـة ليـس فقـط ذكيـة، وضعـت البنيـة التحتية صـح ووضعت الأسـاس الصحيـح والسـليم ونعيـش بسـعادة ، كل مـا نـراه اليـوم هـو بفضـل اللـه وبـركات القيـادة التـي ليسـت معنا اليـوم ، الله يرحمهـم).[2]

وفي خطابـه في يـوم الشـهيد نجـد الشـيخ محمـد بن زايـد يكرر كلمة (شـهيد،

1 المصدر نفسه

2 كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 8 مارس 2017

شـهداء) عـشرة مـرَّات، لكون الشـهادة ومـا تحيل إليه مـن معان السـامية في ذاكرة الأَجيـال هـي المحـور الموضوعي في هـذا الخطاب.

ونلفيـه في الخطـاب نفسـه يعيـد كلمة (تضحيـة)، فقد كررها سـبع مرات، كما يكـرِّر كلمة(وطـن) خمـس عـشرة مـرَّة؛ وهذا ما يشـكِّل ثلاثيـة (الوطـن والتضحية والشـهادة)، وهـي ثلاثيـة تشـتمل على قيـم عظيمـة، وتنطوي عـلى دلالات عميقة، وتحيـل المتلقـي والـدارس إِلى التخمـين في أَن الشـهادة هي تضحية مـن أَجل الوطن ومـن أَجـل القيم الإِنسـانية العليا.

3 - الرابط الحجاجي (لكنّ):

لقـد قـرَّر النحـاة أنّ (لكـنَّ) هي حرف مشـبه بالفعـل، من أخـوات إنَّ، تدخل عـلى الجملـة الإِسـمية فتنصـب الأول اسـماً لهـا وترفـع الثـاني خـبراً لهـا، وأَنَّهـا تفيد معنى الاسـتدراك.

وتسـتعمل (لكـنَّ) في الأُسـلوب الحجاجـي للاحتيـاط مـن نتيجـة تشـير إِليهـا الجملـة السـابقة لهـا، فتأتي الحجة بعـد (لكنّ) لتكـون أَقوى ممَّا قبلهـا، ولذلك فإِنَّ النحـاة قـد قـرَّروا أَنَّ مـا بعد(لكـنّ) يكـون مناقضاً لمـا قبلها.

وأَيضـاً (يضطلـع الرابـط المنطقـي «لكـن» بـدور حجاجـي هـام لمـا تخفيـه في السـياق مـن مضمـر يقتضيـه سـياق الخطـاب).[1]

ومـن أَمثلـة ذلك قول الشـيخ محمد بن زايد:(لقد رحل الشـهداء بأجسـادهم لكنهـم تحولـوا إلى قيم ومعاني خالـدة لا تموت أبداً).[2]

1 في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صوله، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، ص148.
2 من كلمة الشيخ محمد بن زايد في يوم الشهيد 29 نوفمبر 2020.

لقد أَسهمت (لكنّ) هنا في الحجاج الخطابي من وجهين، هما:

1- الوجه الأول: هو إنَّ الجملة الأُولى: (لقد رحل الشهداء بأجسادهم) تُشيرُ إلى الموت، والموت في ثقافة الناس وفي وجدانهم هو فقدان، وهو أمر يكرهه الإنسان بفطرته؛ لكنّ هذه حجة قابلتها حجة أَقوى منها في قوله: (لكنهم تحولوا إلى قيم ومعان خالدة لا تموت أبداً).

فإذن تحوَّل الموت هنا إلى قيم ومعانٍ خالدة، وهذه القيم لا تموت، فالشهادة إذن ليست موتاً بل هي خلود؛ فأداة الاستدراك (لكنّ) قدَّم المُنشئ من خلالها للمتلقي حجَّة أَقوى من الحجة التي كانت قبلها، فدحضت هذه الحجة الحجة الأُولى وألغتها.

2. **الوجه الثاني في هذا الحجاج، يمكن تحليله من وجهة نظرنا كما يلي:**

في هذا التركيب مقدمتين، ونتيجة مضمرة:

المقدمة 1 (لقد رحل الشهداء بأجسادهم).

المقدمة 2 (لكنهم تحولوا إلى قيم ومعاني خالدة لا تموت أبداً).

النتيجة المضمرة: بما أنَّ هذه القيم والمعاني الخالدة لا تموت، إذن الشهادة ليس موتاً بل هي خلود؛ وهذا عينه ما يبقى في فكر المتلقي.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله: (إن الأمهات اللائي زرتهن وتحدثت معهن فقدن أعز ما يملكن، و**لكن** كانت لهن مواقف وطنية مشهودة، ونحتسب أبناءهن من الشهداء عند الله).

إنّ فقد الأمهات لأبنائهن أمرٌ محزن ولاشك؛ ويتوقع على إثره انهيارهنَّ، وضعف

مواقفهنَّ، لكن لمَّا كان هذا الفقد للأبناء من أجل الوطن، فإنَّ ذلك خفَّف من أَلم تلك المصيبة، بل وجعلها فوق ذلك نصرا وإحرازا نفسيا؛ وقد جاءت أداة (لكن) لتستدرك على الجملة السابقة، وتؤدِّي وظيفة حجاجيَّة، ولذلك (كانت لهن مواقف وطنية مشهودة).

المبحث الثاني
الترابط النصي في خطاب الشيخ محمد بن زايد

(اللغة العليا كلغة تواصلية):

ظهرت لسانيات النصِّ ظهرت في العصر الحديث؛ في محاولة جادة للانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصِّ، في خضم انتقال بالدراسة من الجملة إلى النصِّ؛ لكنَّ هذا الانتقال في الدرس اللساني لم يكن هدفه إلغاء لسانيات الجملة، ,إنما كان سعيه إلى توظيف وتطوير لسانيات الجملة من أجل دراسة النصوص بوصفها جملاً كبرى.

إن العلاقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النصِّ لم تعد علاقة تنازع وانفصال، بل غدت علاقة ترابط واشتمال، ويعزز هذا الزعم أنَّ الواقع التداولي قد أثبت أنّ نحو النّص يحتوي نحوَ الجملة تبعاً لتضمّن النص للجملة، ذلك أن كل ما دخل في موضوع لسانيات الجملة فهو داخل في موضوع لسانيات النص، والعكس غير صحيح[1].

فلمَّا كان النصُّ هو الصورة الكاملة للرسالة الكلامية في عملية التواصل بين أَفراد المجموعة اللغويَّة، اتَّجهت الدراسات اللسانيَّةُ النصِّيَّةُ إلى دراسة الجملة في

1 ينظر: أثـر النحـو في تماسـك النـص، عابـد بوهـادي، بحـث منشـور في دراسـات، العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، مـج 40 ،ع1،2013، ص54.

إطار وحدة كبرى هي النصّ، فتجاوزت في التحليل حدودَ البنية اللغويَّة الصغرى، إلى البنية اللغويَّة الكبرى، فانتقلت بذلك من فضاء نحوي وبلاغي ضيِّق يتمثَّل في الجملة، إلى فضاء أَوسع وأخصب في دراسة العمل الفنِّي هو فضاءِ النصِّ الأرحب.

ويعد الترابط والتماسك من أبرز الخصائص التي تميّز النص، فالنص إنَّما يقوم به وعليه، وقد أجمع علماء اللسانيات النصية على عدِّ التماسك النصِّي أساساً في صياغة النص وبنائه.[1] كما يرى كثيرٌ من الباحثين أَنَّ هذا الانتقال من الجملة إلى النص يعتبر فتحا جديدا في تاريخ الدراسات اللسانيَّة الحديثة.[2]

إن البحث في ترابطِ النصِّ هو بحثٌ في الآن نفسه في البنى الكليَّة للنصِّ لاستكشاف وتحليل تنوُّعها الأُسلوبيّ وآفاقها الجماليَّة، ومعرفة مدى توفّر عناصر الربط فيها، بغية تحليلها تحليلاً نحويَّاً وأُسلوبيَّاً، وتفكيك وتتبّع علاقات التركيب والدلالة الداخليّة؛ وكلّ ذلك مما تقوم عليه أُسس علم النصّ في دراسة ترابط الخطاب.

مدخل نظري:

ظهرت عدَّة مُصطلحات لاستيعاب مضامين الدراسات النصِّية، ومن هذه المصطلحات مُصطلح الترابط النصِّي، الذي يدرس التنظيم الشكلي للنصِّ؛ ومُصطلح التماسك النصِّي الذي يدرس التنظيم الدلالي لمضامين وأَفكار النصِّ.[3]

1 ينظر: أثر النحو في تماسك النص، عابد بوهادي، بحث منشور في دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 4؛ ع1،2013، ص54، والترابط النصي في الخطاب السياسي السعودي، مقاربة تحليلية، بدر بن علي العبد القادر، بحث منشور في مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد8،2016،ص121.

2 ينظر: علم لغة النص، المفاهيم والإجراءات، سعيد حسن بحيري، ص20.

3 ينظر: علم لغة النص: المفاهيم والإجراءات، سعيد حسن بحيري، ص؛ ص: 146-147، وبلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص؛ ص: 60-61.

غـير أَنَّ هـذا الفصـل بين حقلي مُصطلـحِ الترابط النـصِّي، ومُصطلحِ التماسـك النصِّي، مـا هـو إلاّ إجـراء نظـري؛ إذ لا يمكـن الفصـلُ في الدراسـة التطبيقيَّـة بـين الشـكلِ والمضمـون في دراسـة النصـوصِ.

ويعتـبر موضـوع الترابـط النـصي (من أَهـم موضوعات علـم النـص، ويُقصَد به النظـام الـكلي الحاكـم للنـص، الـذي يخلـق بنيـة النـص، التـي تمتلـك تنظيـماً دلاليًّاً خاصًّـاً، ورؤيـة كليـة خاصـة بهـا، ويسـعى نحْـوُ النصّ إلى كشـف ذلـك التنظيم، من خـلال دراسـة وسـائل الترابط في النـصِّ).[1]

1. مفهومُ النصِّ:

أ-النـصُّ لغـة: قـال ابـن منظـور:(النَّـصُّ: رفْعُـك الـشَّيْءَ. نَـصَّ الْحَدِيـثَ يَنُصُّـه نَصًّـا: رفَعَـه. وَكُلُّ مَـا أُظْهِـرَ، فَقَـدْ نُصَّ...يُقَـالُ: نَـصَّ الْحَدِيـثَ إِلى فُـلَانٍ أَي رفَعَـه، وَكَذَلِـكَ نصَصْتُـه إِليـه. ونَصَّـت الظبيـةُ جِيدَهـا: رفَعَتْه. ووُضِـعَ عَلَى المِنَصَّـةِ أَي عَلَى غَايَـةِ الفَضِيحـة وَالشُّـهْرَةِ وَالظُّهُـورِ. والمَنَصَّـةُ: مَا تُظْهَـرُ عَلَيْهِ العروسُ لـتُرَى... وأَصل النَّـصّ أَقـصى الـشَّيْءِ وغايتُه...ونـصُّ كلِّ شيءٍ: مُنْتَهَـاهُ.)[2] وفي المعجـم الوسـيط: (النَّـص) صِيغَـة الْـكَلَام الْأَصْلِيَّـة الَّتِـي وَردت مـن الْمُؤلـف).[3]

فـإذن النـصّ لغـة يـدور عـلى معـانٍ هـي: الرفـع، والإظهـار، وضـمّ الـشيء إلى الـشيء، وأَقـصى الـشيء ومنتهـاه.

ب - النصّ اصطلاحاً:

لقـد تشـعبت الآراء وتعـدَّدت الأَقوال في تعريف النصّ اصطلاحـاً، تبعاً لـ(تباين

1 الترابـط الـنصي في روايـة النـداء الخالـد: دراسـة تطبيقيـة في ضـوء لسـانيات النـص، عبـده مسـبل العمـري رسـالة ماجسـتير، كليـة الآداب، جامعـة الملـك سـعود،1430 ، ص 5.

2 لسان العرب:97/7.

3 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى ـوآخرون، دار الدعوة:926/2.

معايـير هـذا التعريـف ومداخلـه ومنطلقاتـه، ولتعـددَ الأَشـكال والمواقـع والغايات التـي تتوفـر فيـما ينطلـق عليه اسـم النـصّ)[1]، فهـو مختلـف باختـلاف الاتجاهات والمـدارس التـي تناولتـه، و(تعريفـات الباحثـين لهـذا المصطلـح تختلـف حسـب المرجعيـات التـي ينطلقون منهـا)[2].

فـ(هـارت مـان) يرى أَنَّ النصّ هـو (علامة لغوية أصلية، تـبرز الجانب الاتصالي والسـيميائي).[3] وهـو بذلـك يشـير إلى خاصيتـين في النصّ هما: إفادة الـكلام والدلالة الوظيفية.[4]

ويـرى (فاينريـش) أنّ النـص (وحـدة كليـة مترابطـة الأجـزاء؛ فالجمـل يتبـع بعضهـا بعضـاً وفقـاً لنظـام سـديد، بحيـث تسـهم كل جملـة في فهـم الجملـة التـي تليهـا فهـماً معقـولاً، كـما تفهـم الجملـة التاليـة مـن ناحيـة أخـرى في فهـم الجمـل السـابقة عليهـا فهـماً أفضـل).[5] ويشـترط (شـميت) وحـدة الموضـوع في النـص.

ويـرى (إيزنـبرج) أن النص متوالية متماسـكة مـن الجمل.[6] ويشـير(جون ديو) إلى إنتاجيـة النـص، أي قابليتـه للتحليـل والتفسـير والتحليـل، فـيرى أنـه (مجموعـة مـن الملفوظـات اللسـانية القابلـة للتحليـل فهـو عينـة مـن السـلوك المنطـوق أو

1 نسـيج النـص، بحـث فـيما يكـون فيـه الملفـوظ نصـاً، الأزهـر الزنـاد، المركـز الثقـافي العـربي، الـدار البيضـاء، ط1، 1993، ص11.

2 الترابـط الـنصي في الخطـاب السـياسي دراسـة في المعاهـدات النبـوي، سـالم بـن محمـد المنظـري، بيـت الغشـام للـنشر والتوزيـع، سـلطنة عمان، ط2015،1، ص17.

3 علم لغة النص: المفاهيم والإجراءات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997، ص108.

4 ينظر: نفسه، ص108.

5 اللغة والإبداع، محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ،1998، ص36.

6 مدخـل إلى علـم اللغـة الـنصي، فولفانـج هايـن؛ تـر: فالـح شـبيب العجمـي، مطابـع جامعـة الملـك سـعود، الريـاض، 1999، ص25.

المكتوب).[1]

ويـرى (دي بـو جرانـد) أن النـص حـدث تواصـلي، لا بـد أن تجتمع فيه سـبعة معايـير هي:

1-السبك

2-الالتحام

3-القصد

4-القبول أو المقبولية.

5-الإخبارية أو الإعلامية.

6-رعاية الموقف أو المقامية.

7-التناص.[2]

وبنـاء على مـا اطلعنـا عليـه مـن تعريفـات، فـإنَّ المفهـوم الـذي نختـاره للنصِّ في هـذه الدراسـة هـو أَنَّ النـصَّ: (هـو نظـام كلي منطـوق أَو مكتـوب، مكـوّن مـن محـولات معرفيـة تربـط بينهـا روابـط شـكلية، أو دلاليـة، أو شـكلية ودلاليـة، تنتج فكـرة أو أكثر في سـياق تفـاعلي اتصـالي بامتـداد مفتـوح)[3].

1 أثـر النحـو في تماسـك النـص، عابـد بوهـادي، بحـث منشـور في دراسـات، العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، مـج40، ع1، 2013، ص54، وينظـر: الترابـط النـصي في الخطـاب السـياسي السـعودي، مقاربـة تحليليـة، بـدر بـن علي العبـد القـادر، بحـث منشـور في مجلـة جامعـة الباحـة للعلـوم الإنسـانية، ع2016،08، ص123.

2 ينظـر: النـص والخطـاب والإجـراء، روبـرت دي يوجرانـد، تـر: تمـام حسـان، عـالم الكتـب، القاهـرة، ط2 ،2007، ص103-105.

3 الترابـط الـنصي في الخطـاب السـياسي دراسـة في المعاهـدات النبـوي، سـالم بـن محمـد المنظـري، بيـت الغشـام للـنشر والتوزيـع، سـلطنة عمان، ط1 ،2015، ص23.

جـ - مكونات النصّ:

للنصِّ عناصر لا يكون نصاً إلا باجتماعها فيه، ذلك أنه يتكون من الملفوظ أو المكتوب والمتلقي، والسياق، ووسائل الاتساق، فالحدث الكلامي يجمع المرسل والمتلقي والسياق وأدوات الربط اللغوية؛ وهي أركان جوهرية وأساسية في التمييز بين النص واللانص؛ فالنص يشكل كلا موحدا، وليس متتاليات من الجمل والتراكيب التي لا يربطها رابط، لذلك كان الاتساق والترابط والتماسك –اللغوي وغير اللغوي- مقومات أساسية في الحكم على نصية أيِّ نص من إلغائها، فالترابط بين أجزاء النص يعد أبرز خصائصه؛ ومن هنا كان المدخل السليم للتحليل النصي، هو أن يكون التحليل منطلقاً من رؤية شاملة توضع فيه كل العناصر النصية- المرسل، والمتلقي، والسياق، وعناصر الربط اللغوي- تحت مجهر التحليل النصي.[1]

د. معايير الترابط النصي:

إنَّ الترابط النصي من أهم ظواهر علم النص، فهو واحد من أهم خصائصه، وهو قوامه، بل هو شرط أولي ليكون الكلام نصاً؛ وإن هذا الترابط النصي له وجهان: ظاهر النص؛ ويدرسه معيار الاتساق؛ وعالم النص؛ ويدرسه معيار الانسجام؛ فهذان هما أهم معايير النص.[2]

1- الاتساق:

الاتساق لغة مأخوذ من الوَسَق، قال ابن منظور: (وَالطَّرِيقُ يأتَسِقُ؛ ويَتَّسق أَي يَنْضَمُّ؛ واتَّسَق الْقَمَرُ: اسْتَوَى...والوَسْق: ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ... والاتّساقُ:

1 ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون، تر: عباس، صادق الوهاب، ط 1،ص220؛ وأثر النحو في تماسك النص، عابد بوهادي، بحث منشور في دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 40 ،ع1، 2013 ، ص56.

2 ينظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوي، سالم بن محمد المنظري، ص44.

الِانْتِظَامُ.)[1]

والاتساق في الاصطلاح يقصد به: (ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المُشكِّلة لنصّ خطاب ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته).[2]

2- الانسجام:

إن تعريفات الانسجام (تدور حول ما يقوم به الانسجام من دور في الربط بين مفاهيم النص ودلالاته؛ فقد عرفه كريستال بأنه خاصية تناغم المفاهيم والعلاقات في النص، بحيث تستطيع تصور استدلالات مقبولة فيما يتعلق بالمعنى الضمني للنص... ويتضح هنا اهتمام الانسجام بمضمون النص ودلالته، بخلاف الاتساق الذي يهتم بشكله ومبناه).[3]

الترابط النصي واستخداماته:

إنَّ وسائل الترابط النصِّي متنوُّعة، تُصنَّف إلى وسائل إحاليَّة، ووسائل استبداليَّة؛ والمتتبع لخطاب الشيخ محمد بن زايد يجد تنوّعاً في استخدام وسائل الترابط النصي، تبعاً لمقتضيات السياق؛ ويمكن بحثها على وفق ما يأتي:

أولاً: الإحالة:

تُعدُّ الإحالة من أَهم وسائل الترابط النصِّي، إلاّ أَنَّ علماء النصِّ مختلفون في تصنيفها، فمنهم من يعدّها رابطاً تركيبيَّاً، ومنهم من يعدّها رابطاً دلاليَّاً؛

1 لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط3، 10،379/1414-381.
2 أصول تحليل الخطاب، محمد الشاويش، ص109.
3 الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوي، سالم بن محمد المنظري، ص52.

لكنَّنا نجد الفرنسي(لوسيان تينيير) قدّم تصوّراً خاصَّاً، مفاده أَنَّ الإحالة لها جانب شكلي، تمثِّله الإحالة الداخليَّة، وجانب دلالي، تبرزه الإحالة الخارجيَّة؛ فإنَّه يرى أَنَّ كلَّ إحالة تقوم على نوعين من الربط ،الأول: ربط دلالي يوافق الربط البنيوي(التركيبي)؛ والربط الثاني: ربط دلالي إضافي، يمدّ جسور الاتصال بين أجزاء النصِّ المتباعدة.[1]

وهناك عدَّة تعاريف للإحالة تتفق في مدلولاتها، فمن هذه التعاريف، تعريف (كلماير) إذ يعرفها بأنَّها العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر علاقة، وضمائر يطلق عليها صيغ الإحالة، وتقوم المكونات الإسمية بوظيفة عناصر العلاقة، أَو المفسر أَو العائد إليه.[2]

ويعرِّفها (فان دايك) بأَنَّها (تتمثَّل في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر أُخرى نقدرها داخل النصِّ أَو في المقام).[3]

ويعرفها آخر بأنها (تركيب لغوي يشير إلى ما ذكر صراحة أَو ضمناً في النص الذي سبقه)[4] أَو النصِّ الذي يليه.

ويمكن تعريفها بعبارة أَكثر وضوحاً فنقول: هي (علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف، تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعُطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول... حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصُدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية

1 ينظر: الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوي، سالم بن محمد المنظري، ص72.
2 دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري،ص98.
3 علم النص، فان دايك، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة، ط1، 2001، ص؛ ص74-75.
4 مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية المتوسطة والثانوية-دراسة تقويمية، ص82.

أو غير لغوية).[1]

1. أَهمية الإِحالة:

(تكمن أهمية الاحالة في أمرين:

1 - تحقق التماسك النصي والربط التركيبي والدلالي بين أجزاء النص، لا سيما المتباعدة منها...

2 - الاقتصاد اللغوي، حيث يسعى معيار الإِحالة إِلى الإِيجاز في النص، والاقتصاد في سرد الأَلفاظ.)[2]

وللإِحالة ثلاثة عناصر، هي:[3]

1 - اللفظ المحيل.

2 - المحال عليه وقد يكون لفظاً داخل النص، أو معنى خارج النص يدل عليه السياق.

3 - العلاقة بين المحيل والمحال عليه.

ويمكن تقسيم الإِحالة باعتبار ما تحيل عليه إِلى:

أ - الإِحالة القبلية: وهي الإِحالة على (لفظ سبق التلفظ به، حيث يستبدل اللفظ الأَول المذكور الصريح بما يعوضه، ويقوم مقامه).[4]

ب - الإِحالة البعدية: وهي الإِحالة إِلى لفظ سيأتي في النص.

---

1 نحو النص ، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ص116 .

2 الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوي، سالم بن محمد المنظري، ص؛ ص74-75.

3 ينظر: نفسه، ص76.

4 الخطاب السياسي السعودي

وللإحالة وسائل منها: الضمائر، أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

أ - الإحالة القبلية:

ومن أمثلته في خطاب الشيخ محمد بن زايد، قوله:(**الذين صدقوا ما عاهدوا الله والوطن عليه، وتساموا فوق الحياة، وسطروا بدمائهم الزكية، في ميادين الشجاعة والشرف داخل الوطن وخارجه ..أعظم ملاحم البطولة والفداء التي سجلها التاريخ بمداد من نور في أنصع صفحاته ..**)

إنّ في هذا النصِّ عدَّة إحالات بضمير الغائب، فأَوَّلها في قوله: (صدقوا)، (عاهدوا)، (وتساموا)، (سطروا)، فالضمير المتصل (الواو) في هذه الأَفعال قد أَحال إحالةً قبليَّةً إلى الشهداء، الذين صدقوا ما عاهدوا عليه، فتساموا فوقَ الحياةِ المادِّية، ثم سطروا أَعظم الملاحم بدمائهم الزكية؛ وهنا جاءت إحالةٌ قبليَّةٌ أُخرى بكلمة (بدمائهم)، فكان في هذه الإحالة إشارة إلى حجم التضحية، إذ ضحوا بدمائهم.

إن تكرُّر الضمائر هنا قد ساهم في اتساق النصِّ، وأَدَّى وظيفةَ الربطِ بين هذه المتتاليات الجملية، من جهة الربط التركيبي الظاهري، والربط الدلالي العميق.

وهذه الإحالة عن طريق اتصال الضمير بهذه الكلمات أدت إلى تماسك وانسجام البنية اللغويَّة الكبرى، من خلال ربط الجمل بعضها ببعضٍ، وربط آخر النصِّ بأَوَّله، ووصل أَجزائه الواحدة بالأخراى؛ فأَعطى كلُّ ذلك النصَّ سمةَ التواصليَّة، ومنحه الحيويَّة والحركة، من خلال الاتصال بين هذه الكلمات بما تحمله من قيم عليا؛ وإن اتصال الضمير بهذه الأَفعال الذي يدلُّ على الحدوث

والتجـدُّد الاسـتمرار، مـمَّا يوحـي بالحركة، ويجعل التعبـير قابلاً للتأويـلات المتنوِّعة.

وأَيضـاً جـاءت الإحالـة في قولـه: (**في ميادين الشـجاعة والشرف داخـل الوطن وخارجـه**). فالضمـير في (وخارجـه) يحيـل إحالـةً قبليـةً إلى (الوطـن)، فربـط بذلـك الجمـل، مـن غـير إعادة الاسـم (الوطن)، ممَّا اسـهم في عـدم الحاجة لإعـادة اللفظ.

ونعـثر عـلى الإحالـة القبليـة في قولـه: (**أعظـم ملاحـم البطولـة والفـداء التـي سـجلها التاريـخ بمـداد مـن نـور في أنصـع صفحاتـه**)، وهنـا نجـد إحالتـين عـلى عنصريـن مختلفـين، الإحالة الأُولى في قوله:(سـجلها)، فالضمـير المتَّصل هنا قد أَحالَ إحالـةً قبليـةً إلى (ملاحـم البطولـة والفـداء)، وهـي إحالـة فيهـا جانبـان:

الأَوَّل: جانـب دلالي، يتعلَّـق في مـا تحملـه الأَلفـاظ المحـال إليهـا، مـن معـانٍ سـاميةٍ، تتمركـز حولهـا كثـير مـن دلالات هـذا النـصِّ.

والثاني: جانب تركيبي، يتعلق في رجوع الضمير إلى مذكور قبله.

ثُـمَّ جـاءت إحالـة أُخـرى في قولـه: (صفحاتـه)، فأَحـال الضمير هنـا إلى التاريخ بـكلِّ مـا تكتنـزه هـذه الكلمـة من معانٍ، فهـي وإِنْ كانت إِشـارة داخليـة لمذكور في سـياقِ النصِّ، غير أن هذه الكلمة (التاريخ) في الاسـتعمال نفسـه تُشـير إلى سـياقات خارجيَّـة، ثقافيـة ودينيَّـة وإنسـانية، لمـا تُشـكِّله هـذه الكلمـة مـن معـانٍ في ذاكرة الأَجيالِ.

فهـذه الإحـالات تحقِّـق أَغـراض البنيـة النصِّيَّـة الكـبرى التـي ينطـوي عليهـا السـياق بنوعيـه اللفظـي والمقامـي، وتحقِّـق دلالات معنويَّـة وحسِّـية.

والملاحـظُ أَنَّ كلّاً مـن هـذه الضمائـر يحيـل إلى متقـدِّم في النصِّ، كـما أن هناك

انتشار لها على امتداد السياق مما يثير أَذهان المتلقين، ويستجلب انتباههم، فيقرِّر المعنى في النفوس، ويجعل الذهن يربط بين السابق واللاحق، وفقَ متتالية لفظية، ترجع فيها كلُّ مجموعة من الضمائر إلى مرجع واحد، وكل ذلك له أهميتها في الترابط والتماسك والاتساق اللفظي والدلالي.

كما نجد الإحالة القبلية في قول الشيخ محمد بن زايد: (**لقد حمل شهداؤنا الأبرار دولة الإمارات في قلوبهم وعقولهم، وضحوا بالمهج والأرواح في سبيل عزتها وسيادتها وكرامة أهمها، دون تردد أو انتظار مقابل، لأنها كانت عندهم أسمى وأعلى وأغلى من أي شيء آخر، حتى من أرواحهم**).

نجد في هذا التعبير عدَّة إحالات بواسطة الضمائر، **فأُولى** هذه الإحالات الإحالة بضمير المتكلِّمين الجمع في (شهداؤنا)، وهي إحالةٌ مرجعها خارجيٌّ؛ لأَنَّه غير مذكورٍ في النصِّ، لكنَّه مفهومٌ من السياقِ؛ مما انسجم له النص تركيبيًّا؛ كما أَنَّ لاختيار صيغة الجمعِ هنا أَثر دلاليّ تمثَّل في الدلالة على أَنَّ هؤلاء الشهداء هم شهداء جميع الإمارات حكومةً وشعباً، ولذلك دلالة اجتماعيَّة تتمثَّل في تعزيز اللحمة الوطنيَّة، وتعميق روح المواطَنَةِ والتضحية من أَجل الإماراتِ.

ثُمَّ تأتي إحالاتٌ أُخرى بضمائر تتنوَّع مرجعيِّاتها؛ ففي (قلوبهم وعقولهم، وضحوا...لأَنَّها) وترجع الضمائر هنا إلى الشهداء.

وفي: (عزتها وسيادتها وكرامة أهلها) ترجع الضمائر إلى دولة الإمارات.

ثُمَّ إننا نرى أن التعبير يؤوب إلى مرةً أُخرى الى إرجاع الضمائر إلى الشهداء في قوله: (كانت عندهم أسمى وأعلى وأغلى من أي شيء آخر، حتى من أرواحهم).

فإشـارة هـذه الضمائـر إلى أَكـثر مـن مُتتاليـةٍ نصِّيَّـةٍ- الشـهداء، الإمـارات، الشـهداء- قـد عمـل على تماسـك الخطـابِ، وأَضفى عليه تنوُّعـاً تركيبيَّـاً ودلالياً، مما أضفـى صفـة الحركـة عـلى الخطـاب و أبعد عنـه الرتابة، ودفع السـأم عـن المُتلقِّي، إذ أَدَّى ذلـك إلى تأثيـت المقـام لحضـورِ المُتلقِّـي، وتهيئـة ذهنـه لاسـتقبال الخطاب؛ فهـذه الإحالـة قـد ربطـت بـين أَجـزاء النـص دون أَن تحـدث سـأماً أَو إربـاكاً لـدى انبـاه المُتلقِّـي، بسـبب الحاجـة إلى تكرار الاسـم الظاهر؛ وكان لتلـك الإحالة أَثر كبير في ترابـط البنيـة النصِّية.

ومن النصوص التي شكَّل فيها الضمير حضوراً بارزاً قوله: (ونحن نستحضر سيرة الشهداء العطرة وتضحياتهم العظيمة، في هذه الذكرى المباركة، نؤكد أن الإمارات ستبقى، بإذن الله تعالى، على الدوام قوية شامخة، تشق طريقها نحو التقدم والريادة، بحب أبنائها ووحدتهم ووفائهم والتفافهم حول قيادتهم، واستعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عنها.) إذ نجد تنوّعاً بالضمائر(ضمير المتكلِّمين، وضمير الغائب المؤنَّث، وضمير الغائب المذكَّر).

فابتدأ هذا النصّ بضمير المتكلِّم (نحن) والملاحظ هنا استخدام ضمير الجمعِ، مع أَنَّ المتكلِّمَ واحدٌ، لكنَّه يحيل بهذا إِحالةً إلى خارجَ النصِّ، وقد دلَّ السياقُ على أَنَّ المُحال عليه هو المُتكلِّم والمُخاطب، أَي شعب الإمارات وقيادته، وفي هذا تعبيرٌ عن الانتماء للوطن، وانصهار الذات في كيان الوطن الكبير؛ ولذلك عبَّر بالجمع مرَّة أُخرى في قوله:(نؤكد).

ثُم توالت الإحالة الداخليّة بالضمير، وكانت مرجعياتها متنوِّعة، فهي تحيل إِلى الإمارات في (طرقها...ووحدتهم... عنها) كما أنه يشير إِلى أَبناء الإمارات في (أبنائها ووحدتهم ووفائهم والتفافهم حول قيادتهم، واستعدادهم).

وهنا نودُّ أَنَّ نشيرَ إلى ظاهرةٍ عامة في هذا الخطاب وهي ورود ضمير المتكلم الجمع على امتداد الخطاب، كما في قوله (**يأتي « يوم الشهيد « في الثلاثين من شهر نوفمبر من كل عام، ليعزز في نفوسنا الفخر والعزة).**

وقوله (**لقد حمل شهداؤنا الأبرار دولة الإمارات في قلوبهم وعقولهم**).

وقوله (**نترحم على شهدائنا البواسل، ونحيي ذكراهم العطرة، ونقف إجلالاً أمام تضحياتهم التي لا تضاهيها أي تضحيات، ونعبر عن الامتنان والشكر والعرفان لهم، ونؤكد أن الوطن لن ينسى أبداً ما قدموه له**).

وقولـه (**إن مـرور السـنين، يزيـد ذكـرى شـهدائنا الأبـرار تألقاً وحضـوراً، لأنهم رمـوز خالـدة للوطنيـة، تزيـن تاريخنـا بالمجـد والعـزة، وقناديـل تـضيء حاضرنـا ومسـتقبلنا بأنبـل القيـم وأجـل المعـاني التـي عرفتهـا البشريـة**).

وقوله (**وتذكرنا دائماً أن الإمارات تستحق منا الكثير**).

وقوله (**شهداؤنا الأبرار**).

وقولـه (**ونحن نسـتعد لدخول الخمسـين سـنة المقبلـة من عمر وطننـا الغالي، نسـتحضر هـذه القيـم والمعـاني التـي يجسـدها الشـهداء .. نسـتلهم منهـا العـزم والقـوة للتغلـب عـلى المصاعـب والتحديـات، ونسـتمد الـزاد لرحلتنا نحـو تحقيق طموحاتنـا وتطلعاتنـا في مختلـف المجالات**).

فالتلاحـم مـن خلال ضمير الجمع بين المتكلِّم والمخاطب يجسِّـدُ بشـكل جمالي صـورة الوطـن، كما إن في ذلـك التعـبير عـن اشتراك المتكلـم والمتلقـي في الهمـوم والآمـال والأفـكار؛ وكلُّ ذلك مما يكسـب البنية النصية تماسـكاً تركيبيًّـاً ودلاليًّاً، أَقوى مـن اسـتخدام الضـمير المفـرد في مثل هذا السـياق

ب- الإحالة البعدية:

مـن وسـائل الربط والاتسـاق الاحالة البعديـة، وتكون بالإحالـة على اللاحق في الـكلام، أَي أَنَّ المحـال عليـه يكـون لاحقـاً عليهـا، ومذكـوراً بعدها في النـصِّ.[1] (فهي تعـود عـلى لفـظ لم يتلفظ بـه، وإنما يكـون مذكـوراً بعدها).[2]

ومن وسائلها:

ب-1- أَسماء الإشارة:

وهي تعدُّ من وسائل الربط والاتساق التي تدخل في مفهوم الإحالة، وتربط السابق باللاحق، من خلال الإشارة إلى ما بعدها مع الإحالة في تفسيره إلى عنصر مذكور قبلها. فـ(الإشارة مفهوم لساني يجمع كلّ العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة إلى المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ أَو الذي يرتبط به معناه...وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أَو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه)[3].

وهذه الأَسماء الإشارية وبالإضافة إلى كونها من أَدوات الربط النصي، فإِنَّ لها فاعلية كبرى في خدمة البنى الشكلية والبنى الدلالية للنصِّ.[4]

حيث إن عودتها إلى عنصر لغوي مذكور سابقاً في النصِّ، مع إشارتِها لفظيًّاً إلى عنصر مذكور بعدها، يحدث ترابطاً نصِّياً، فترتبط اللاحق بالسابق؛ ويمكن تتبع ذلك

1 ينظر: النص والخطاب و الإجراء:103-104.

2 نفسه: 104.

3 نسـيج النـص، بحـث فـيما يكـون فيـه الملفـوظ نصـاً، الأزهـر الزنـاد، المركـز الثقـافي العـربي، الـدار البيضـاء، ط1، 1993، ص116.

4 ينظر: التماسك النصي في سورة يونس:ص50.

في خطاب الشيخ محمد بن زايد في التراكيب الآتية، فقد وردت بأَسماء الإشارة في خمسة مواضع فقط، وهي ما يأتي:

قوله: (**يأتي « يوم الشهيد « في الثلاثين من شهر نوفمبر من كل عام... في هذا اليوم المشهود من أيام الإمارات**).

ففي هذا المقتطف يحيل اِسم الإشارة إحالة بعدية إلى (اليوم المشهود من أيام الإمارات)؛ وهذا اليوم المشهود هو يوم الشهيد المذكور في بداية الخطاب، فاسم الإشارة يؤدي وظيفة الربط التركيبي والذهني بين أَجزاء النصِّ، ولا سيما أَنَّ يوم الشهيد قد ذكر قبل مسافة طويلة نسبيا في النص، إذ بينهما ثلاثة عشر سطراً.

وبعد ذلك بأسطر كثيراً يأتي باسم الإشارة مرَّة ثانية فيقول:(**في هذا اليوم المجيد**)؛ وهو يحيل إحالة بعدية إلى(اليوم المجيد)، وهذا اليوم المجيد هو يوم الشهيد المذكور في بداية الخطاب.

وبعد ذلك يأتي قوله: (**ونحن نستحضر سيرة الشهداء العطرة وتضحياتهم العظيمة، في هذه الذكرى المباركة**) فاسم الإشارة في(هذه الذكرى) يحيل إحالة بعدية إلى(الذكرى المباركة)، وهذه الذكرى هي نفسها ذكرى يوم الشهيد المذكور في بداية الخطاب.

وفي قوله: (**لقد رحل الشهداء بأجسادهم لكنهم تحولوا إلى قيم ومعاني خالدة لا تموت أبداً.. ونحن نستعد لدخول الخمسين سنة المقبلة من عمر وطننا الغالي، نستحضر هذه القيم والمعاني التي يجسدها الشهداء**) فاسم الإشارة الوارد في(هذه القيم والمعاني) يحيل إحالة بعدية إلى المذكور بعده من القيم والمعاني، التي ذكرت قبله في قوله (قيم ومعاني خالدة لا تموت أبداً).

والقيم هنا وإن كانت مذكورة في السياق، إلا أنها ترمي بمعانيها إلى سياقٍ خارجيٍّ، يتمثَّل في الموروث الإسلامي والعربي، بل والموروث الإنساني عامةً؛ ولذلك فالإشارة هنا هي إشارةٌ موسعة، إذ إنَّها قد توسَّعت في دلالتها وتركيبها فأَشارت إلى أَكثر من إشارة نصية، بل إنَّها أَشارت إلى بنية النصِّ الكبرى.

كما أن هناك إشارة أخرى في الخطاب؛ في قوله: (**وأخص بالتحية، في هذه المناسبة، أمهات الشهداء اللاتي يجسدن الدور التاريخي المتميز للمرأة الإماراتية القوية والشجاعة ومستودع القيم الأصيلة لشعبنا الوفي**). إن اسم الإشارة قد أَحال إلى المذكور بعده (المناسبة)، التي هي مناسبة يوم الشهيد المذكورة في بداية النصِّ.

ب-2- الاسم الموصول:

إنّ الاسم الموصول هو من وسائل السبك والربط النصي، إذ أنه يحتاج إلى صلة بعده توضحه، تسمى صلة الموصول، وقد أشار النحاة والبلاغيين إلى أَهميته، يقول الجرجاني: («إن الذي» اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل).[1] وسمي موصولًا لَأنَّه يصل الكلام بما بعده، فهو عنصر من عناصر الإحالة في اللغة العربية، يربط الجمل الصغرى بالكبرى.

وقد ورد الاسم الموصول في مواضع كثيرة من هذا الخطاب المدروس، ومن ذلك قول الشيخ محمد بن زايد: (**يأتي «يوم الشهيد» في الثلاثين من شهر نوفمبر من كل عام، ليعزز في نفوسنا الفخر والعزة، بصفوة من أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة الأوفياء، من العسكريين والمدنيين، الذين صدقوا ما عاهدوا**

1 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1992، ص199.

اللـه والوطـن عليـه، وتسـاموا فـوق الحيـاة، وسـطروا بدمائهـم الزكيـة، في ميادين الشـجاعة والـشرف داخـل الوطـن وخارجـه.. أعظـم ملاحـم البطولة والفـداء التي سـجلها التاريـخ بمـداد من نـور في أنصـع صفحاته).

فهـذا الاسـم الموصـول قـد ربـط مجموعة من الجمـل التي بعـده بجمل أُخرى قبلـه، اشـتركت معهـا في الدلالـة، مؤديـا وظيفـة تركيبية تتمثـل في السـبك التركيبي، كـما أنجـز وظيفـة دلاليـة تتضـح بمـا في جملـة صلـة الموصـول والجمـل المعطوفـة عليهـا مـن معـانٍ، إذ وردت هـذه الجمـل تفصيـلاً لصفـات أولئـك الشـهداء الذيـن ذكـروا قبـل الاسـم الموصول.

ومن أَمثلته أيضاً قوله: (**وأخص بالتحية، في هذه المناسبة، أمهات الشهداء اللاتي يجسدن الدور التاريخي المتميز للمرأة الإماراتية القوية والشجاعة ومستودع القيم الأصيلة لشعبنا الوفي**). فالاسم الموصول (اللاتي) قد أَحال إحالة قبلية إلى جملة (وأخص بالتحية، في هذه المناسبة، أمهات الشهداء)، والأهم أنه قد أحال إحالة بعدية إلى جملتي (يجسدن الدور التاريخي المتميز للمرأة الإماراتية القوية والشجاعة ومستودع القيم الأصيلة لشعبنا الوفي).

وبهذا ربط بين التراكيب، وأَعطاها عمقاً في المعنى، وأدى وظيفة تواصلية بين المتكلم والمتلقي.

كما أن هناك حضور للاسم الموصول في قول الشيخ محمد بن زايد: (**وستظل دولة الإمارات العربية المتحدة على الدوام، رمزاً للعمل من أجل التنمية والسلام في المنطقة والعالم، وعنصر استقرار إقليمي، بسياساتها المتزنة، ومواقفها الثابتة التي تفتح أبواب الأمل في غد أفضل لكل شعوب المنطقة والعالم**) وقد أَحال الاسم الموصول(**التي**) على جملة الصلة (**تفتح أبواب الأمل في غد أفضل لكل..**)، إحالة

بعدية، وربطها بما قبلها، فأحال إحالة قبلية إلى مجموعة من المعاني التي تتضمنها هذه الجمل، فالاسم الموصول هنا يربط بين طرفي التركيب، ويجعل الجمل متتابعة في تركيبها، ويعطي زخماً لاتساق المعاني وتناسها، وفقَ بنية لغويَّة عارمة التماسك.

والاسم الموصول وارد في النص التالي: (**بل سيظلون على الدوام قدوة حسنة لأبنائه، ورمزاً لشجاعة شعبنا في الدفاع عن سيادته ومقدراته، وتجسيداً لقيمه وأخلاقه الأصيلة التي تضرب بجذورها في أعماق تاريخه وحضارته.**) لقد أومأ الاسم الموصول (التي) على جملة صلة الموصول بعده (التي تضرب بجذورها في أعماق تاريخه وحضارته)، فربطها بسابقها (وتجسيداً لقيمه وأخلاقه الأصيلة)، فربطت هذه الاحالة الجمل، منبهة المتلقي إلى المعاني العميقة التي تنطوي عليها هذه الجمل.

وهناك إحالات كثيرة أداها الاسم الموصول في هذا الخطاب، لا تسمح طبيعة البحث في تتبعها وتحليلها

ثانياً: الاستبدال:

يعد الاستبدال من أَهم وسائل الاحالة، وهو (خيار منهجي موجه من قبل المبدع – أو صاحب النص؛ لإيصال رسالته بالصورة عن طريق تعويض عنصر أو أكثر في النص بعنصر آخر، شأنه في ذلك شأن الإحالة).[1] وهو عملية تعويض عنصر بعنصر آخر داخل النصِّ، وهو من وسائل الاتساق والربط.

1 ظاهـرة الاسـتبدال في نحـو الجملـة ونحـو النـص، عرفـة عبـد المقصـود عامـر حسـن، بحـث منشـور على شـبكة الألوكـة، ص6.

والاستبدال على نوعين:

1. **الاستبدال الاسمي:** ويتم باستبدال اسم باسم آخر داخل التركيب.

ومن نماذجه في خطاب الشيخ محمد بن زايد قوله: (**وامتداداً للمبادئ السامية لمؤسسه وواضع أسس نهضته، الشيخ زايد، عليه رحمه الله ورضوانه**).

فقوله: (الشيخ زايد) قد جاء عوضاً عن قوله: (مؤسسه وواضع أسس نهضته). وفي ذلك إشارة بلاغية إلى الجهد العظيم الذي قام به الشيخ زايد، إذ هو المؤسس للإمارات، وواضع أُسس نهضتها وازهارها.

وكذلك من نماذجه قوله: (**إن مرور السنين، يزيد ذكرى شهدائنا الأبرار تألقاً وحضوراً، لأنهم رموز خالدة للوطنية، تزين تاريخنا بالمجد والعزة، وقناديل تضيء حاضرنا ومستقبلنا بأنبل القيم وأجل المعاني التي عرفتها البشرية**).

فـ(قناديل) قد جاء عوضاً عن(رموز)؛ فالتبادل اللفظي والمعنوي بين القناديل والرموز يوحي بمعاني النور والاهتداء والسير على الدرب، مع ما للشهداء من رمزية عظيمة في النفوس.

أما قول الشيخ محمد بن زايد: (الذكرى المباركة)، فقد جاء عوضاً عن قوله في بداية الخطاب(يوم الشهيد)؛ وهذا يترك أثرا دلاليا عالقا في ذهن المستمع؛ مفاده أن الذكرى المباركة هي معادل قيمي وموضوعي ليوم الشهيد، ولا فكاك للمستمع من استبدال هذا بذاك؛ فيوم الشهيد ليس يوماً عادياً، بل هو ذكرى مباركة، على الجميع أن يقتبس منها الدروس والعبر ومعاني التضحية.

أما في قول الشيخ محمد بن زايد (**بالتفاني في خدمة الإمارات التي ضحوا بأرواحهم دفاعاً عنها، والعمل المخلص من أجل رفع رايتها عالية خفاقة في كل**

الميادين.) فقد ورد استبدال(العمل) بـ(التفاني).

2. **الاستبدال الفعلي:** ويكون باستبدال فعل مذكور في الخطاب بفعل آخر بعده؛ ومن أمثلته:

قول الشيخ محمد بن زايد (**نستلهم منها العزم والقوة للتغلب على المصاعب والتحديات، ونستمد الزاد لرحلتنا نحو تحقيق طموحاتنا وتطلعاتنا في مختلف المجالات.**) فقد جاء الاستبدال بين(نستلهم) و(ونستمد)؛ فهذا الاستبدال ربط بين بنية النص، وأمده ببعد بعداً معنوي وانفتاح دلالي، فإن الاستلهام والاستمداد وإن كانا متقاربين في المعنى، إلا أن في كلاً منهما من المعاني الخاصة ما يتناسب مع سياقه.

ومن أمثل ذلك أيضاً: (نؤكد أن الإمارات ستبقى، بإذن الله تعالى، على الدوام قوية شامخة، تشق طريقها نحو التقدم والريادة، بحب أبنائها ووحدتهم ووفائهم والتفافهم حول قيادتهم، واستعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عنها).

فقد جاء الاستبدال بين (ستبقى) و(تشق)، وقد أوحى بمعان عميقة، إذ يشير الفعل (ستبقى) إلى الثبات ولاستمرار، ويشير الفعل (تشق) إلى العمل والسير والتجدد؛ وكل هذا يستبدل معنى بمعنى أعمق منه دلاليا ومعرفيا وفكريا، ليقبع بدله من بعد في خضم عمل آليات تعقل المتلقي للخطاب.

أُسلوبية خطاب الشيخ محمد بن زايد

(خطابه في يوم الشهيد2020 أنموذجاً)

تمهيد (الأُسلوبية والتداوليَّة : التقاطعات المنهجية)

إنَّ البنيـةَ الكـبرى للنصِّ/الخطـاب؛ تتشـكَّلُ مـن تضافـر عـدَّة عنـاصر سـياقية لغويَّـة وغـير لغـوي، ولذلـك فـإنَّ تحليـلَ النصِّ/الخطاب واسـتنطاقَ بنيتـه، وتذوُّق جماليَّاتـه، يتـمُّ مـن خـلالِ الاسـتعانة بـأدوات تحليليَّـة مختلفة.

وتعـدُّ الأُسـلوبيَّة واحـدة مـن أَهـمِّ مناهج تحليـل الخطاب وأَوسـعها انتشـاراً، لقد(حاولت الأُسـلوبية في تاريخها الطويل أَنْ تكونَ منهجاً نقدياً يسـعى إلى معاينة النصـوص الأدبيـة بالاعتـماد عـلى النسـيج اللغـوي الـذي يتشـكل منـه النص،مفيدة مـن الألسـنية في الكشـف عـن وظائـف اللغـة في تجليـة المعنـى الـذي قصـد إليـه المؤلف).[1]

وقـد أولت الأُسـلوبيةُ المتلقيَ/المسـتمع اهتماماً كبيراً، فاعتبرتـه عنصراً جوهريَّاً في عمليـة التخاطـب،إذ أن(الأُسـلوبية تعنـى باللغـة مـن حيـث الأَثر الـذي تتركه في نفـس المتلقـي كأداء مبـاشر).[2] ومـن هنـا فهـي تسـعى إلى دراسـة الـكلام في إطـار عمليـة التواصـل بـين المتكلِّـم و المتلقِّـي، ولأجـل ذلـك فهـي تركّـز بشـكل مبـاشر وجوهـري وعمـلي عـلى الأدوات اللغويـة التـي تتـمّ مـن خلالهـا عمليـة الإبـلاغ والإفهـام والتأثـير، فالمخاطِـب يبنـي كلامـه ويؤلفه بطريقـه خاصة، مسـتخدماً فيها إمكاناتـه التعبيريـة، بغيـة التأثـير في المتلقـي ولفـت نظـره إلى مـا يريـده.

إن الأسـلوبية تـدرس الـكلام بوصفـه نشـاطاً ذاتيـاً مميّـزاً في اسـتعمال اللغـة، وهـي منهـج يهـدف إلى الكشـف عـن أبعـاد الخطـاب الأدبي الجماليـة والفنيـة.[3]

1 الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى ربابعة دار جرير، ا لأردن-عمان، ط1، 2014، ص9.
2 مقالات في الأُسلوبية، منذر عياشي، منشورات اتحاء الأُدباء والكتاب العرب، دمشق، 1990، ص11.
3 ينظر: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص13.

ونجـد الأسـلوبية تبحـث في سـلطة تأثـير الخطـاب عـلى المتلقـي، بإحصـاء الظواهـر الأسـلوبية في نـصّ مـا مثـلا وتتبّـع المنبهـات الأسـلوبية فيـه، فالخطـاب في نظـر الأسـلوبية يشـكل حضـوراً فاعـلاً وتمظهـراً بلاغيـاً من خـلال المتلقـي، ومن هنا بـرزت أسـلوبية التلقـي، والأسـلوبية التعبيريـة، يقـول برنلـد شـبلز: (ينبغـي فهـم الأسـلوب عـلى أنـه ظواهـر معينة في نـص ما، أو ما يقصـد إنتاجه في مسـألة الإبداع الفنـي أو مـا يتـم تحليلـه بالنظر إلى تأثـيره في القارئ ... إن عنصر الأسـلوب لا يمكن تجريـده مـن النـص ولا مـن المؤلـف ولا مـن المتلقـين).[1]

وقـد اقتحمـت الأسـلوبية مرحلـة مهمـة مـع طروحـات ياكبسـون، وذلـك من خـلال معالجتـه لقضيـة اللغـة والإيصـال، إذ ركـز عـلى قضيـة الإيصـال مـن خـلال: مرسِـل/ سياق،رسـالة، قنـاة، سنن/مرسَـل إليـه.[2]

إن الأسـلوبية إذن تركّـز بشـكل أسـاسي وجوهـري عـلى عمليـة التواصـل بـين المرسِـل، والمرسَـل إليـه؛ وهذه نقطةٌ تلتقـي عندها بالتداولية اللسـانية، فرغم تعدّد التداوليـات، وتنـوع تعريفاتهـا تبعـاً للفـرع العلمـي الـذي تناولهـا، إلّا أنّ السـمة التـي تجمعهـا كلّهـا هـي الاهتـمام بالتواصـل اللغـوي والاسـتعمال الحقيقـي للغة، - فلـو نظرنـا في التعريفـات التي اقترحها (ليفنـوس) في مؤلفه (PRAGMATICS) مثـلا- لألفينـا أنهـا تختلـف بـين الاسـتعمال والدلالـة، ومـا يتضمنه ذلك الاسـتعمال مـن عنـاصر الخطـاب التي تشـمل المتكلـم ومقاصـده والمتلقّـي، والسـياق والمقام، وتظافـر جميـع تلـك العناصر في إنشـاء الدلالـة وإيصالها وإبرازها في قالـب اللغة.[3]

1 علـم اللغـة والدراسـات الأدبيـة، دراسـة الأسـلوب، البلاغـة، علـم اللغـة النصي، برنلـد شـبلز ، ترجمـة محمـود جـاد الـرب، الريـاض، الـدار الفنيـة للـنشر والتوزيـع، 1987، ص 108.

2 ينظر:الأسلوب الأسلوبية، بييجيرو، ص99؛ و الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص17.

3 ينظـر: مفهـوم التداوليـة مـن المنشـأ الغـربي إلى المحضـن العـربي- قـراءة في المصطلـح والمفهـوم، د.عمـر بوقمـرة، بحـث منشـور في مجلـة المدونـة، مـخبر الدراسـات الأدبيـة والنقديـة، المجلـد5، عـدد2018،1ص؛ص، 42-43.

إن كلا من الأُسلوبية والتداولية توليان اهتماماً كبيراً بدراسة التواصل مع المتلقي والتأثير فيه وقد (أصبح مفهومُ الفعل الكلامي.. نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية؛ وفحواه أنه كلُّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي إنجازي تأثيري. وفضلاً عن ذلك يُعد نشاطاً مادياً نحوياً يوسل أفعالاً قولية.. لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد..)، وغايات تأثيرية.. تَخُصُّ ردود فعل المتلقي(كالرفض والقبول)؛ ومن ثم فهو فِعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب، اجتماعياً ومؤسساتياً، ومن ثَمَّ إنجاز شيء ما.)[1] وقد عرض الدكتور محمود أحمد نحلة عدداً من تعاريف التداولية، ثم قال: (أوجز تعريف للتداولية وأقربه للقبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال IN USE أو في التواصل IN INTERACTION ، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى هي تداول NEGOTIATION اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد) مادي ، واجتماعي، ولغوي(وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما).[2]

ولذلك نجد ثلاثة من أبرز فلاسفة اللغة الذين قاموا بتطوير التداولية- وهم كل من أوستن وسيرل وجيراس- كانوا من مدرسة اللغة الطبيعية أو العادية، وكانوا منشغلين بطريقة توصيل اللغة الطبيعية الإنسانية من خلال إرسال مرسِل ما رسالة إلى مستقبِل يؤوّلها أو يفسّرها.

وتلتقي الأُسلوبية والتداولية أيضاً في اشتراكهما في الاهتمام بتحليل الخطاب، وفي دراسة طريقة توزيع المعاني والمفاهيم في جمل وعبارات، وفي قدرات المتكلمين

1 التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة) الأفعال الكلامية (في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص40.

2 آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،د.محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر،2002، ص14.

اللغوية، والموضوع المحوري الذي يدور حوله التعبير، و كذا دور السياق اللغوي وأثره في اختيار السمات اللغوية وتنوعها، ويشتركان كذلك في دراسة المعنى.[1] وهذا ما سنتناوله في دراستنا الأسلوبية هذه؛ بالإضافة إلى تقصينا أوجه التشاكل المنهجي بينها وبين التداولية؛ في ما سلف أعلاه.

إلّا أنّ التداولية تفترق عن الأُسلوبية في أُمور منها أنّ الأسلوبية لها مستويات محدّدة في التحليلي (المستوى الصوتي والتركيبي والمستوى الدلالي)، في حين أن التداولية ليس لها وحدات تحليل خاصة بها، وإنْ كان (فعل القول) الذي هو أحد أنواع الفعل الكلامي- الذي هو نواة مركزية في البحث التداولي- يشتمل على المستويات اللسانية المعهودة، والتي يسميها (أوستن) الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي، لكنّها لا تنتمي إلى مستوى محدد من هذه المستويات التي تتكوّن منها البنية اللغوية، فليس لها وحدات تحليل خاصة بها.[2] وهذا ما تجنباه في مقاربتنا هذه.

المبحث الأول :«من مقتضى الحال إلى جماليات الاستقبال»:

إنَّه من المعلومِ أنَّ اللغة هي انعكاسٌ للفكر، فهي تَجلٍّ منطوقٌ لما يتكنز في فكر الإنسان، وما تتسم به شخصيته، وما يتمتع به من ثقافة، وما ينطوي عليه من أفكار ورؤى، كما أنها تصوير لما يجول في النفس.

ولقد أَصبحت دراسة الخطاب وفق النظريات اللسانية-الأسلوبية وغيرها- محوراً لكثير من الدراسات اللغوية الحديثة، فاهتمت بدراسة وتحليل عدد

1 ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002،ص؛ص 9- 11.

2 ينظر: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة) الأفعال الكلامية (في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص 41، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14.

مـن الخطابـات المؤثـرة في المجتمـع، في حقـول متنوعـة كالحقل الإعلامي والسـياسي والثقـافي والاجتماعـي والأدبي.

وإن خطابـات السياسـيين ورؤسـاء الـدول واحـدة مـن هـذه الخطابـات التـي أُوليَـت باهتـمام بالـغ لـدى الباحثـين؛ لما لها من تواشـج وثيـق في المجتمعـات، وأثر واضـح عـلى الشـعوب، ولأنَّهـا مـن أهم صـور التفاعـل بين أفـراد المجتمـع: حكومةً وشـعباً، إذ أن هنـا اتِّصـالا شـديد الحساسـية بـين خطـاب المسـؤولين والسياسـيين ومجتمعاتهـم، فـإنَّ المفـردات، والتراكيـب، ومضامينهـا ودلالاتهـا، وما تشـتمل عليه مـن قيـم ومبـادئ، تُعـدُّ جزءًا مـن هموم وآمـال وتطلُّعـات وثقافة المجتمـع، والتي صيغـت في قالـب لغوي.

إن اللغـة وسـيلة اتصـالٍ مناطـة بغايـاتٍ مـن أَبرزهـا الإبـلاغ والتأثـيرٍ والإقناع؛ ولذلـك فـإنَّ للخطابـات السياسـية والوطنيـة أَهميـةً كـبرى، في نقل الـرؤى والأَفكار بطريقـة حضاريـة وجماليـة تفاعليـة، كـما أن لهـا قيمـة اسـتراتيجية في التعبـير عن توجهـات الحكومـات، وفي توجيـه حياة المجتمـع نحوَ أهدافٍ محـدَّدة، بالإضافة إلى مـا يعكسـه الخطـاب مـن العلاقـات -الثقافية والسياسـية والاجتماعيـة وغيرها- بين الحكومة والشـعب.

ووفـق هـذا المنحـى ارتأينـا في هـذا الفصـل دراسـة خطـاب الشـيخ محمد بن زايـد آل نهيـان، رئيـس دولـة الإمـارات العربيـة المتحدة، دراسـةً أُسـلوبيةً.

ولمَّـا كانـت طبيعـة الدراسـة تقتـضي تحديدهـا في نـصٍّ أَو في نصـوصٍ بعينهـا حتـى لا تتشـعب وتتفـرع فتخـرج عن هدفها المرسـوم لها، قد اخترنـا خطابه في يوم الشـهيد لعـام 2020، ليكون مثالا للدراسـة والتحليل؛ لما رأينـاه في هذا الخطاب من مضامـين فكريـة عميقـة، ولغـة بليغة دقيقـة، فيها الكثـير من الخصائص الأُسـلوبية؛ وقـد جـاءت هذه الدراسـة في مبحـث نظري، وآخـر تطبيقي.

الأُسلوبية الخطابية مفاهيمها واتجاهاتها:

تُعـدّ الأُسـلوبية فرعـاً مـن فـروع علـم اللسـانيات، وأداة مـن الأدوات المهمـة في تحليـل النصـوص، ودراسـة الخطـاب وتصنيفـه، وتتبـع خوَّاصـه الفنيـة، وسـماته البلاغيـة، وهـي تبحـث في سـمات الخطـاب، وتتوسـل الوسـائل اللغوية التـي تُخرج الخطـاب مـن (درجـة الصفـر) في التعبـير إلى كونـه خطابـاً له سـمات أَدبيـة وفنية، وخصائـص تأثيريـة و إقناعيـة.

ويعـد (شـارل بـالي) المؤسـس الأول لعلـم الأسـلوب في العـصر الحديـث، وكل الدراسـات الأسـلوبية التـي جـاءت بعـده افادت من درسـه وأخذت عنـه، في المنهج أو في الموضـوع؛ لكـن ذلـك لا يعنـي خلو الدراسـات السـابقة من الأسـلوبية، أو أنها علـم مسـتحدث لا أصـول قبليـة لـه، حيـث أَنَّ أهميـة جهـود (بـالي) تـأتي مـن أنـه أول مـن نقـل دراسـة الأسـلوب من ميـدان البلاغـة إلى ميدان مسـتقل»[1] ولعل من نافلـة القـول أن نعلـن (أن الـتراث العـربي قـد عـرف الظاهـرة الأسـلوبية، فدرسـها ضمـن الـدرس البلاغـي؛ ولـو تأمـل المتأمل، لتأكـد له أن الـدرس البلاغـي العربي إنما كان درسـاً أسـلوبياً عـلى وجه الإِجـمال)[2].

ولمَّا كان موضوع الأُسـلوبية هو الأُسـلوب، فإِنَّنا نجد في تراثنا البلاغي والنقدي حديثـاً عـن الأُسـلوب وصـوره وشروطه وأهدافـه، فقد عـرّف عبد القاهـر الجرجاني الأُسـلوبَ، فقـال: (و»الأسـلوب» الـضرب مـن النظـم والطريقـة فيـه)[3]، وأَشـار إلى خصائصـه والفـرق بينـه وبـين الاحتـذاء؛ وكذلـك نجـد عند حـازم القرطاجنـي كلاماً

1 ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، ص30.

2 نفسه، ص27.

3 دلائـل الإعجـاز، عبـد القاهـر الجرجـاني، تحقيـق محمـود شـاكر، مطبعـة المـدني بالقاهـرة، ط3، 1992، ص؛ص، 468-469.

طويـلاً عـن الأُسـلوب، والـذي أشـار إلى التناسـب بـين النظـم والسـياق»[1] ونجد في كتـب البلاغـة والنقـد العـربي القديـم حديثـاً مطنبـا عـن الأُسـلوب، وبحوثـاً شـتى يمكـن عدّهـا أُسـلوبيةً عربيَّة.

وقـد عـرَّف ميشـيل أريفه الأُسـلوبية، فقال: (إن الأسـلوبية وصـف للنص الأدبي حسـب طرائـق مسـتفادة مـن اللسـانيات)[2]، وعرفهـا ريفاتـير، فقـال: (الأسـلوبية لسـانيات تعنـى بظاهـرة حمـل الذهـن على فهـم معـبر وإدراك مخصـوص).[3]

قراءة أسلوبية لخطاب الشيخ محمد بن زايد في يوم الشهيد 2020:

لـكلِّ خطـاب مقوِّمـات يتشـكل عـلى دعائمهـا، تنبـع ومـن الأَهـداف التـي يسـعى إليهـا مُنشـؤه، ومـمَّا يحيـط به من مواقـف، وممَّا يوضـع فيه من سـياقاتٍ؛ ولـكي يُحقِّـق أَهدافـه فـإنَّ هنـاك وسـائل وطـرق عـدة لذلـك، يختـار منهـا صاحب الخطـابِ ما يراه أَنسـبَ للموضوع وللسـياق وللغـرض؛ فالخطاب يُحقِّـق غايَتَهُ من خـلالِ اختيـار الكلمـة وتركيبهـا في جملٍ ومـن ثَمَّ وضعهـا في سـياقٍ، ويُراعى في كلِّ ذلـك الكلمـة وأصواتهـا وصيغتهـا الصرفية واشـتقاقها، والجملـة وتركيبهـا، والصورة ودلالتهـا وإيحاءهـا؛ لـذا عـلى المتكلِّـم في مسـتوى التعبـير الفنـي أَنْ يُحسـن اختيار الكلـمات اختيـاراً دقيقـاً نابعـاً من طبيعة الموضـوع، وأن يختارَ مـن التراكيب أقربها إلى المقصودِ.

ويـأتي المحلِّلُ الأُسـلوبيُّ بعـد ذلك ليتتَّبع خصائـص التعبير وظواهره الأُسـلوبيَّة، ليسـتخرج قيَمـه الفنيَّـة، ويفـسِّر لمـاذا كان هذا الاختيـار، ولمَ جاءت هـذه التراكيب

1 ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، :ص؛ص،ص13، 14، 27، 68.
2 الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس،1982 ، ط3؛ ص48.
3 نفسه، ص49.

دون غيرهـا مـما تتُيحهـا اللغة في معجمهـا وفي نحوها.

فالأُسلوبيَّة توصف بأنَّها علم للأُسلوب، أَو هي طريقةٌ في التحليل موضوعها الأُسلوب، وهي بذلك تستثمر كلّ ما وصلت إِليه الدراسات اللغوية من أجل دراسة النصِّ والخطاب؛ دراسةً قائمة على التحليل في مستويات متعدِّدة، ولمَّا كانت الأُسلوبية دراسة الأُسلوب، والأُسلوب هو طريقة اختيار الأَلفاظ وتركيبها وتأليفها للتعبير عن المعاني والأفكار، من أَجل التواصل مع المتلقين والتأثير فيهم»[1]، كان التحليل الأُسلوبي قائماً على دراسة ظاهرتي الاختيار والعدول، في النصوص، اللتين بهما يكون « الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية »[2]

فالأسلوبية هي دراسة لبنية الخطاب الداخلية المتمثلة في التراكيب ومضامينها، والعناصر الخارجية المشاركة في إنتاج الخطاب وفهمه وتوجيهه، والتي تتمثّل بالزمان والمكان وسياق الموقف والسياق الثقافي والتاريخي والاجتماعي، وغير ذلك ممَّا كان له دور في تشكُّل بنية الخطاب، وفي إِحداث عملية التواصل بين المُتكلم والمتلقي؛ وهي بحث في خصائص الأُسلوب وجماليّاته ووسائل الاقناع والتأثير، وهما من أهم مقاصد البلاغة وأهدافها، ومن أهم أهداف الخطابات السياسية والوطنية والاجتماعية.

ومن المساعي التي نرمي إِليها في هذه الدراسة الكشف عن قوة تأثير هذا الخطاب موضوع الدراسة، والوقوف على مدى توظيف المتكلم لإِمكانات اللغة وخصائصها من أَجل التواصل مع الجمهور وإِيصال أَفكاره، وتحقيق وظيفتي إِقناع

1 ينظـر: الأُسـلوب، دراسـة بلاغيـة تحليليـة لأُصـول الأسـاليب الأدبيـة، أحمـد الشـايب، مكتبـة النهضـة المصريـة، القاهـرة، ص44. ومدخـل إلى علـم الأسـلوب، شـكري محمـد عيـاد، دار العلـوم للطباعـة والـنشر، الربـاط، ط1، 1982، ص؛ ص45-46، والأسـلوبية والأسـلوب، عبـد الـسلام المسـدي ، الـدار العربيـة للكتـاب، ط3، تونـس،1982، ص163.

2 [2] البلاغـة والأسـلوبية، الدكتـور محمـد عبدالمطلـب، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، سلسـلة دراسـات أدبيـة، 1984؛ ص 248.

المتلقي والتأثير فيه.

كما نهدف إلى تقصي لغة الخطاب دراسة تحليلية إحصائية، وإعطاء وصف دقيق لمستويات لغة الخطاب المعجمية والتركيبية والدلالية، وبيان العلاقة بين الخطاب والسياق اللغوي وغير اللغوي، وتتبع العلاقة بين المُرسِل والمُرسَل إليه وفق معطيات الرسالة الكلامية.

وقد جاءت هذه الدراسة على ثلاثة مستويات أُسلوبية، هي: المستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

أولاً: المستوى الصرفي:

إن موضوع علم الصرف هو الكلمات من جهة اشتقاقها وما يطرأ عليها من تغييرات تتيحها قواعد اللغة، فيدرس الكلمات وصيغها الصرفية، والقوالب والأبنية التي توضع فيها الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، وهو دراسة القواعد التي تُعرف بها بنية الكلمة، وما يطرأ عليها من تغيير، فالكلمات العربية لها أبنيةٌ وصيغ مختلفٌ، تبعاً لاختلاف المعاني.[1]

ولهذا العلم أهمية خاصة في الدراسات الأُسلوبية، لما له من أثر واضح في فهم المعنى وتذوّق الأُسلوب والكشف عن جماليات التعبير، فالمُتكلِم يختار من المباني مما تقترحه اللغة بما يتوافق مع ما يريد التعبير عنه؛ ومن هنا فالاختيار الصرفي هو اللبنة الأُولى في تشكيل الأُسلوب صوتياً وتركيبياً وتصويرياً، ومن ثم الوصول إلى الدلالة.

فالتشكيلات الصوتية والتركيبية والاستعارية هي تشكيلات متفاعلة

1 ينظر: الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1999، ص؛ص؛14-16

متداخلـة، تؤثـر في المعنـى وتوجـه الدلالـة، وتتفاعـل مع السـياق وتؤثر فيـه ويؤثر فيهـا، ففاعليـة البنـاء الـصرفي ترتكـز على نشـاط التراكيـب وفاعلية السـياق؛ ولذلك فعـلى المحلـل الأُسـلوبي أن يـدرس البنـاء الـصرفي بطريقـة جماليـة».[1]

واسـتنادا على ذلك سـندرس البنية الصرفية في هذا الخطاب، بغيةَ أن نكتشـف إثراءها للمعنى، وتفاعلها مع السـياق، و بلوغها إلى خصائص الخطاب الأُسـلوبية.

1. الفعـل في العربيـة كلمـة تـدلُّ عـلى حـدثٍ مقـترنٍ بزمـان، فهـو يجمـع في دلالتـه الحـدث وزمنـه؛[2] ولذلـك فإنـه يكسـب التعبـير حركـة وحيوية، ويلجـأ إليه المُرسِـل لغايـاتٍ أُسـلوبية، منهـا تحريـك الخطـاب، وبـثّ روح التواصـل.

وقـد جـاء في خطـاب الشـيخ محمـد بـن زايد في يـوم الشـهيد نحـو(79) فعلاً، وكان اسـتخدام الفعـل المضـارع أكـثر مـن اسـتخدام الفعـل الماضي.

وهنـاك عـدَّة ملحوظـات أُسـلوبية في اسـتخدام الأَفعـال يمكـن إيجازهـا، في ما يأتي:

أ- جـاءت أَغلـب الأَفعـال بصيغـة المضـارع، وقـد ذكـر علـماء اللغـة أَنَّ الفعل المضـارع يدلُّ على الحدوث والتجدُّد والاسـتمرار.[3] فألبسـت هذه الصيغة الخطاب حيويّـة، وأعطتـه دلالات الإنجـاز والتجـدِّد، فمـن أَمثلـة ذلـك: (**يأتي «يوم الشـهيد» في الثلاثـين مـن شـهر نوفمبر مـن كل عام، ليعزز في نفوسـنا الفخر والعـزة، بصفوة مـن أبنـاء دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة الأوفيـاء**). فاختيـار الفعـل المضـارع (يـأتي) والعـدول عـن الفعـل الماضي، فيـه دلالة على أَنَّ هـذه الذكرى تتجـدَّد في كلّ

1 ينظر: نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي، تامر سلوم، دار الحوار، سوريا، ط1983،1، ص99.
2 ينظر: الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، ص،ص14-61.
3 ينظر: معاني الأبنية في العربية ، فاضل السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2006، ص؛ص9-16.

عـام، وأنَّ الإمـارات لا تنـسى شـهداءها وتضحياتهـم؛ ثـمَّ ورد الفعـل المضـارع مـرَّةً أُخـرى في(ليعـزز)، فهـذا اليـوم ومـا يحمله مـن معانٍ يعـزِّز دائمـاً وفي كلِّ وقتٍ قيم الفخـر والعـزِّ، وهـي دلالات تتجـدَّد وتسـتمرّ آثارهـا في النفوس وفي ضمـير الأُمة.

ومـن أَمثلـة هـذا الاختيـار الأُسـلوبي للمضـارع قـول الشـيخ محمد بـن زايد في السـياق نفسـه: (**ونحن نسـتحضر سـيرة الشـهداء العطرة وتضحياتهم العظيمة، في هـذه الذكـرى المباركـة، نؤكـد أن الإمـارات سـتبقى، بـإذن اللـه تعالى، عـلى الدوام قويـة شـامخة، تشـق طريقهـا نحـو التقـدم والريـادة، بحـب أبنائهـا ووحدتهـم ووفائهـم والتفافهـم حـول قيادتهـم، واسـتعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سـبيل الدفـاع عنهـا.**) فـ(نسـتحضر... نؤكـد... سـتبقى... تشـق) كلُّهـا أَفعـالٌ مضارعـة، اختارهـا المُرسِـل ليعطـي رسـالة الاسـتمرار في اسـتحضار هـذه السـيرة العطـرة، والتأكيـد عـلى الاسـتدامة في شـقِّ طريق التقـدم والريادة، وبذل الأغـلى والأنفس في سـبيل دولـة الإمـارات وعزّتهـا وكرامتها.

وهكـذا تتـوالى الأَفعـال المضارعـة في الجمـل عـلى طـول الخطـاب، مثـل قـول سـموه: (**تتوحـد مشـاعر المواطنين، كبـاراً وصغـاراً، وتأتلف قلوبهم، مثلما تتشـابك سـواعدهم في ميادِيـن العمـل الوطني من أجل رفعة الإمـارات وتقدمها وريادتها.. نترحـم عـلى شـهدائنا البواسـل، ونحيـي ذكراهـم العطـرة، ونقـف إجـلالاً أمـام تضحياتهـم التـي لا تضاهيهـا أي تضحيـات، ونعـبر عـن الامتنان والشـكر والعرفان لهـم، ونؤكـد أن الوطـن لـن ينـسى أبـداً مـا قدمـوه لـه، بـل سـيظلون عـلى الدوام قـدوة حسـنة لأبنائـه**) إِلى غـير ذلـك مـمَّا هـو مبثـوث مـن مثـل هـذا في سـياقات الخطاب.

ب- جـاء توزيـع هـذه الأَفعـال وصيغهـا وفـق متتاليـات تركيبيـة، متناسـقة أُسـلوبيًّاً، جماليـاً، إِذ يمكن تقسـيم الخطاب على فقرات متناسـقة حسـب اسـتخدام

صيـغ الأَفعـال، ومـن أمثلـة ذلـك: (**يـأتي يـوم الشـهيد في الثلاثـين من شـهر نوفمبر مـن كل عـام، ليعـزز في نفوسـنا الفخـر والعـزة، بصفـوة مـن أبنـاء دولـة الإمارات العربيـة المتحـدة الأوفياء، مـن العسـكريين والمدنيين**) فيمكن تقسـيم هذه الفقرة عـلى جملتـين كبريـان: يبتـدأ كل منهـما بالفعـل المضـارع (يـأتي)، و(يعـزز). وتتوالد مـن هاتـين الجملتـين جمل صغـرى، ويكون هـذان الفعلان البـؤرة الدلاليـة لكليها؛ ثـم تتناسـخ الجمـل ودلالاتهـا مـن هاتـين الجملتـين، ومن ذلـك نجد الجمـل التالية متناسـلة مـن تلـك الجمل، إذ يقـول: (**الذين صدقـوا ما عاهدوا اللـه والوطن عليه، وتسـاموا فـوق الحيـاة، وسـطروا بدمائهـم الزكيـة، في ميادين الشـجاعة والـشرف داخـل الوطـن وخارجـه.. أعظـم ملاحـم البطولـة والفـداء التـي سـجلها التاريـخ بمـداد مـن نـور في أنصـع صفحاتـه.. لقـد حمـل شـهداؤنا الأبـرار دولـة الإمـارات في قلوبهـم وعقولهـم، وضحـوا بالمهـج والأرواح في سـبيل عزتهـا وسـيادتها وكرامـة أهلهـا، دون تـردد أو انتظـار مقابـل، لأنهـا كانت عندهم أسـمى وأعـلى وأغلى من أي شيء آخـر، حتـى مـن أرواحهم**).

وقـد توزَّعـت الجمـل في هـذه الفقـرة توزيعـاً أُسـلوبياً متناسـقاً، مـن خـلال اسـتخدام الأَفعـال الماضيـة، إذ نجـد كلَّ جملـةٍ تبتـدئ بفعـلٍ مـاضٍ (صدقـوا... عاهـدوا... سـطروا...ضحوا... كانـت)، وفي هـذا درايـة حقيقية باسـتعمالات الأفعال، اسـتعمالات جماليـة تأثيريـة.

ومثـل ذلـك نجـده في: (**ونحـن نسـتحضر سـيرة الشـهداء العطـرة وتضحياتهم العظيمـة، في هـذه الذكـرى المباركـة، نؤكـد أن الإمـارات سـتبقى، بإذن اللـه تعالى، عـلى الـدوام قوية شـامخة، تشـق طريقهـا نحـو التقـدم والريـادة**). فتوزعت هذه الفقـرة عـلى جملتـين كبريـان، تبتـدئ كل جملـة منهما بفعـل مضارع (نسـتحضر... نؤكـد)، وتنطـوي كلٌّ منهـما عـلى عدَّة جمـل صغرى.

ومثل ذلك قوله: (**في هذا اليوم المشهود من أيام الإمارات، والمفعم بالدلالات العميقة والمعاني الكبيرة، تتوحد مشاعر المواطنين، كباراً وصغاراً، وتأتلف قلوبهم، مثلما تتشابك سواعدهم في ميادين العمل الوطني من أجل رفعة الإمارات وتقدمها وريادتها.. نترحم على شهدائنا البواسل، ونحيي ذكراهم العطرة، ونقف إجلالاً أمام تضحياتهم التي لا تضاهيها أي تضحيات، ونعبر عن الامتنان والشكر والعرفان لهم، ونؤكد أن الوطن لن ينسى أبداً ما قدموه له، بل سيظلون على الدوام قدوة حسنة لأبنائه، ورمزاً لشجاعة شعبنا في الدفاع عن سيادته ومقدراته، وتجسيداً لقيمه وأخلاقه الأصيلة التي تضرب بجذورها في أعماق تاريخه وحضارته، وامتداداً للمبادئ السامية لمؤسسه وواضع أسس نهضته، الشيخ زايد، عليه رحمه الله ورضوانه**).

ج- لم يستخدم الفعل المبني للمجهول؛ وهذا يتناسب مع طبيعة المُرسِل وموقعه، فإنَّه في موقع المسؤوليَّة والقيادة، فلا يحتاج إلى التعبير بصيغة المبني للمجهول في مثل هذا السياقِ، بل ينسب الأَفعال إلى فاعليها، طلباً للوضوح، وإيثاراً للجزم، وكلُّ ذلك يتفق مع سياق الموقف.

د- استخدم المُرسِل الفعل المضارع المقترن بالسين، ثلاثة مرّات: في قوله: (**نؤكد أن الإمارات ستبقى، بإذن الله تعالى، على الدوام قوية شامخة، تشق طريقها نحو التقدم والريادة**) وفي: (**ونؤكد أن الوطن لن ينسى أبداً ما قدموه له، بل سيظلون على الدوام قدوة حسنة لأبنائه، ورمزاً لشجاعة شعبنا في الدفاع عن سيادته ومقدراته..**). وفي قوله:(**وستظل دولة الإمارات العربية المتحدة على الدوام، رمزاً للعمل من أجل التنمية والسلام في المنطقة والعالم، وعنصر استقرار إقليمي..**).

واقتران هذه الأفعال المضارعة بالسين يحوِّل دلالته من الحال إلى الاستقبال،

وهـذا معنـىً اقتضـاه السـياق؛ فإنَّـه يمنـح دلالـة بـثّ الأَمـل في النفـوس، مـع ما في ذلـك مـن دلالـة التأكيد، ومعـاني الإصرار عـلى الاسـتمرار في دروب الإنجاز.

كـما أن في قلـة اسـتعمال حـرف الاسـتقبال في الخطـاب دلالـة عـلى الانجـاز الحـاضر المسـتمر، وأَنَّ هـذه الإنجـازات هـي واقـع، وليسـت مجـرَّد وعـود وآمـال.

2 - الاسـم في اللغـة العربيـة يـدلّ عـلى معنـى في نفسـه من غير اقـترانٍ بزمان، فهـو يـدلّ على الحـدث المُطلَـق؛ ولذلك فإنَّ فيـه دلالةَ الثبـوت والاسـتقرار.[1] ولقد انطـوت بنيـة الخطـاب عـلى عدد كبـير من الأسـماء يفوق عـدد الأَفعال،

وذلـك نابـع مـن طبيعـة تركيـب اللغـة العربية، فإنَّ الأَسـماء تدخـل في تركيب الجمـل الفعليـة كـما تدخـل في تركيب الجمل الإسـمية.

إنَّ هـذا الحضـور المكثَّـف لصيـغ الأَسـماء قد أَعطـى للخطاب ثباتـاً، مع ما فيه مـن إشـارات نفسـية تنبي على ثبـات المواقف، وعلى الجـزم والابتعاد عـن التردُّد في اتخـاذ القرارات الحاسـمة. فاسـتخدام هذه الأَسـماء المجـردة من الزمـان، وخصوصاً المصـادر منهـا، والتـي تتسـم بالحركـة والحيوية، أَمرٌ يتناسـق مع موضـوع الخطاب وحال المُرسِـل والمُرسَـل إليه.

ثانياً: المستوى التركيبي:

إنَّ بنية الخطاب تتشكَّل من خلال شبكة من العلاقات، ابتداء من المستوى الإفرادي المتمثل بالكلمات وباختيارها، والإيقاع وتشكله، ومروراً بالمستوى التركيبي المتمثل بالتراكيب وصياغتها، (فالعنصر اللغوي قد يكون صوتاً مفرداً، الذي يكوّن مع صوت آخر أو أصوات أُخرى كلمات مفردة أو عنصراً معجمياً، وهذا العنصر

1 ينظـر: معـاني الأبنيـة في العربيـة، فاضـل السـامرائي؛ ص؛ ص9-16، و الصرف التعليمـي والتطبيـق في القـرآن الكريـم، محمـود سـليمان ياقـوت، 1999، ص139.

نفسه يكوِّن مع عنصر آخر أو عناصر معجميَّة أُخرى وحدة أَكبر هي الجملة، وهذه الجملة مع جمل أُخرى تكوِّن النصَّ).[1] فمستوى التحليل الُأسلوبي التركيبي يُدرس فيه نظم الجمل، من أجل الوقوف طبيعة تشكيلها وخصائصها الأُسلوبية، فالمحلل الأُسلوبي عندما يدرس التراكيب ينطلق من فكرة مفادها (أَنَّ الطريقة التي يتم بها تركيب بنية النص هي التي تمنح النص قيمته التعبيرية والإيحائية) [2]، فإِنَّ الكلمات المُختارة تُشكل من ترابطها وتجاورها جملاً لها معانيها وإِيحاءاتها في سياقاتها الخاصة، فالتفاعل بين الكلمات في الجمل يفضي إلى تفاعل دلاليّ في المعنى.

والجملة العربية في تركيبها تتيح للمتكلِّم عدَّة صور من التركيب، لكنَّ هذا التنوُّع في التراكيب ليس تنوُّعاً شكلياً فحسب، بل هو تنوُّع يتطلّبه السياق ويُعطي فروقاً دلاليَّةً حاسمة.

ومن هنا فإِنَّنا هنا في هذا الفصل سندرس التراكيب في خطاب الشيخ محمد بن زايد، وأمارة صياغتها في دلالة النصّ الظاهرة والإِيحائية، مع اختبار خواصَّها الأُسلوبيَّة، وبيان مدى تماسكها، و محصلة كلّ ذلك في بنية الخطاب.

1 - التقديم والتأخير:

لبناء الجملة العربية نظاماً، يكون على بنائه ترتيبُ المفردات، إِلاّ أنَّ ممَّا تتسم به الجملة في العربية أَنَّ هناك تنويعاً في هذا الترتيب، تبيحه مرونة نظامها التركيبي، فإبدال ترتيب عناصر الجملة تقانة أُسلوبية يتسم بها الخطاب الإِبداعي، إذ تتبادل المفردات مواقعها، فـ» كثيراً ما يكون المعنى محكوماً بالصلة بين الكلمات، وأهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة؛ وتحريك الكلمة إلى

1 نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص35.

2 النص الأدبي في اللسانيات البنيوية(بحث):23 .

الأمـام أو إلى الخلف يسـاعد مسـاعدة فاعلـة في الخروج باللغة مـن طابعها النفعي إلى طابعهـا الإبداعي.» [1]

وهذا ما يسـمَّى في الدراسـات الأُسـلوبية بالرتب غير المحفوظة، إذ يجيز النظام النحـوي في اللغـة العربيـة مثـلاً تقديـم الخبر على المبتـدأ، وتقديم المفعـول به على الفاعـل، لغايات بلاغية أُسـلوبية يقتضيها السـياق و يتطلّبهـا المعنى الدقيق.[2]

وفي هـذا الخطـاب مثـار التحليـل نجـد اعتـمادا عـلى هـذه التقانة الأُسـلوبية، وتبـادلاً في العلاقـات التركيبيـة للمفـردات، وفـقَ مـا يتيحه النحـو العـربي، و يتطلَّبه السـياق والمقـام، وصـولاً إلى المعنـى الدقيق.

فمـن أَمثلـة ذلـك: (**يـأتي « يـوم الشـهيد « في الثلاثين من شـهر نوفمبر من كل عـام، ليعـزز في نفوسـنا الفخـر والعـزة**). فقد قدَّم الجـار والمجرور(في نفوسـنا) على المفعـول بـه، وقـد أَدَّى هـذا التقديـم غايـةً أُسـلوبيَّة تتمثَّـل في الاهتـمام بالمتقـدِّم والتشـويق للمتأخِّـر، فالمُتلقِّـي عندمـا يسـمع هـذا التعبير يبقـى منتظـراً للمفعول، متشـوِّفاً للكشـف عنـه، فتتهيَّـأ النفـس لـه، فـإِذا جـاء بعـد ذلـك تمكَّـن في نفسـه واسـتقرَّ في وجدانه.

وفي السـياق نفسـه يقـول: (**وسـطروا بدمائهـم الزكيـة، في ميادين الشـجاعة والـشرف داخـل الوطـن وخارجـه .. أعظـم ملاحـم البطولـة والفـداء التـي سـجلها التاريـخ بمـداد مـن نـور في أنصـع صفحاتـه**).

وهنـا نجـد فاصـلاً طويـلاً بـين الفعـل والمفعـول، فقـد جـاء بالفعل (سـطروا)،

1 جدليـة الإفـراد والتركيـب في النقـد العـربي القديـم، محمـد عبدالمطلـب، الشركـة المصريـة العالميـة للـنشر لونـجمان، مطابـع المكتـب المصري الحديـث، ط1،القاهـرة، 1995؛ ص161-162.

2 ينظر: المعنى في البلاغة العربية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1418-1998؛ ص175-176.

ثـمَّ جـاء بمتتاليـة مـن شـبه الجمـل، وجاء بعـد ذلـك بظرف المـكان (داخـل الوطن وخارجـه)، ثـمَّ بعـد كل هـذه الفواصـل التركيبية جـاء بالمفعول بـه والمعطوف عليه (أعظـم ملاحـم البطولـة والفداء).

ومـن صـور هـذا التقديم قولـه: (**لأنها كانت عندهم أسـمى وأعـلى وأغلى من أي شيء آخـر، حتـى مـن أرواحهـم**.) فقـد قـدم الظـرف (عندهـم) على اسـم كان، والغايـة الأُسـلوبية التـي سـوَّغت هـذا التقديـم، هـو أَنَّ محـور الخطـاب الشـهداء، فناسـب ذلـك تقديـم مـا يـدلُّ عليهـم فقدَّم(عندهـم)، هـذا فضـلا عـمَّا في التقديم هنـا مـن معنـى التشـويق للمتأخِّر.

ومثـل ذلـك قولـه: (**نؤكـد أن الإمـارات سـتبقى، بإذن اللـه تعالى، عـلى الدوام قويـة شـامخة**). فقـد قـدم الجـار والمجـرور (عـلى الـدوام) عـلى الحـال ومـا عطف عليـه (قويـة وشـامخة). وفي هـذا التقديـم خصيصـة أُسـلوبية تواصليـة تتمثَّـل في اسـتجلاب انتبـاه السـامعين، وتوّقعهـم للخـبر، مـع ما في هـذا التقديم مـن الاهتمام بالمتقـدِّم، فإِنَّـه عنـصر ذو قيمـة عليـا في الخطـاب، فقـد دلَّ عـلى أَنَّ قـوةَ الإِمـاراتِ وشـموخَها أَمـرٌ مسـتمرٌّ دائـمٌ، وليـس طارئـاً مُؤقَّتاً.

وقـد جـاء مثـل هذا التقديـم أيضاً في مواضـع أُخرى كقوله: (**بل سـيظلون على الـدوام قدوة حسـنة لأبنائه**)، فقـد قدم الجار والمجـرور على خبر(ظلّ).

وفي قولـه: (**ونقـف إجـلالاً أمـام تضحياتهـم التـي لا تضاهيهـا أي تضحيـات**) جـاء تقديـم المفعـول المطلق(إجـلالاً) عـلى ظـرف المـكان.

وفي قولـه: (**في هـذا اليـوم المشـهود مـن أيـام الإمـارات، والمفعـم بالـدلالات العميقـة والمعـاني الكبـيرة، تتوحـد مشـاعر المواطنـين**) نجـده يقـدِّم الظـرف ومـا اتصـل بـه عـلى الفعـل وفاعله، ممَّا أمـد التركيب حيويـة وركَّز حفاوة المسـتمع على

(اليوم المشـهود)، والمسـوِّغ الأُسـلوبي لهـذا التقديم أَنَّـه الموضوع الرئيـس للخطاب.

ومثـل ذلـك كذلـك قولـه: (**في هـذا اليـوم المجيـد، أوجـه التحيـة والتقدير إلى قواتنا المسـلحة الباسـلة، بكل تشـكيلاتها و وحداتها..عنوان عزتنا وقوتنا ومنعتنا**).

2. **التنكـير والتعريـف:** يُعـدُّ التعريـف والتنكـير مـن صـور التنـوِّع التركيبـي التي تتيحهـا اللغـة العربيـة، وقـد تناولتهـا الدراسـات الأُسـلوبية انطلاقـاً مـن مبـدأ العـدول، فالتعريـف عـدولٌ عـن التنكـير، والتنكير عـدول عن التعريـف، ولكلٍّ منهما مسـوِّغاته الأُسـلوبية وقيمته الجمالية والدلالية في النصوص، فـ(مباحث علـم المعـاني عندمـا تعـرض لدراسـة المسـند إليـه في التعريف والتنكـير تفترض وجـود أصـل مثـالي لعكـس كلٍّ من الحالتـين، فإذا كان المسـند إليـه معرَّفاً فإن هـذا التعريـف جـاء مخالفـاً للأصـل وهـو التنكـير، ومـن هنـا كانـت لـه ميْـزة فنيـة لا تتوفَّـر مـع تنكـيره؛ وإذا جـاء منكَّـراً فإنـه يخالـف أصلـه أيضـاً وهـو التعريـف، وإلاّ لمـا وجدنـا تلـك القيم الجماليـة التـي نفتقدها إذا عرَّفنـاه.) [1] ويـأتي التنكـير لغايات أُسـلوبية متنوِّعـة، يلهج إليها المتكلِّـم، وتتبدى من خلال تعقـب السـياق اللفظـي والمقامي.

وقـد وظـف الشـيخ محمد بـن زايد هذه التقانـة في مواضع كثـيرة من خطابه، ومـن أَمثلتهـا: قولـه: (**يـأتي « يـوم الشـهيد « في الثلاثـين مـن شـهر نوفمـبر مـن كل عـام، ليعـزز في نفوسـنا الفخـر والعـزة، بصفـوة مـن أبنـاء دولـة الإمـارات العربية المتحـدة الأوفياء**).ففـي هـذه الفقرة نجـد تنوُّعاً بـين التعريف والتنكير، فاسـتخدم التعريـف بالإضافـة في (يـوم الشـهيد)، وهـو يفيـد الاختصـاص هنا، فإنَّ مـن تكريم الإمـارات لشـهدائها أَنَّهـا جعلـت لهم يومـاً مخصوصاً.

1 البلاغـة والاسـلوبية، الدكتـور محمـد عبدالمطلـب ، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، سلسـلة دراسـات ادبيـة، 1984م.ص271

ثـم حـضر التعريـف بالإضافـة مـرة أُخـرى في قولـه (نفوسـنا)، وهـذه الإضافـة تعطـي معنـى عميقـاً، يوحـي بالقـرب والاعتزاز؛ ثـم ورد التعريف بالألـف واللام في قوله(الفخـر والعـزة)، للدلالـة عـلى أَنَّـه فخـرٌ عظيـم من نـوعٍ خاصٍّ.

ثـم انتقـل السـياق إلى التنكـير في قولـه (بصفـوة)، ومـن معـاني التنكـير التـي أشّرهـا البلاغيـون والـذي يتناسـب مـع هـذا السـياق «التعظيـم»، أَي أَنَّهـم صفـوةٌ عظيمـةٌ في معانيهـم وفي تضحياتهـم.

ومـن أَمثلـة ذلـك قوله: (**لقد حمل شـهداؤنا الأبـرار دولة الإمـارات في قلوبهم وعقولهـم، وضحـوا بالمهـج والأرواح في سـبيل عزتهـا وسـيادتها وكرامـة أهلهـا**)؛ فعـرَّف الشـهداء بالإضافـة وأَضافهـم إلى ضمـير المتكلِّـم الجمـع (شـهداؤنا)، فهـم شـهداء الإماراتيـين جميعـاً، يحملـون ذكراهم في نفوسـهم، ويتذكّرونهـم في قلوبِهم. ومثـل ذلـك أيضـا قولـه: (**نترحم على شـهدائنا البواسـل**)، وقولـه كذلك:(**يزيد ذكرى شـهدائنا الأبـرار تألقـاً وحضوراً**).

ونـوَّع التعريـف في موضـع آخـر فقـال: (**سـيرة الشـهداء العطـرة وتضحياتهـم العظيمـة**)، فعـرَّف الشـهداء بالأَلـف واللام التـي تـدلُّ عـلى الاسـتغراق، وفي ذلـك إشـارة أُسـلوبية إلى أَنَّهـم اسـتغرقوا جميـع معـاني الشـهادة المناسـبة لهـذا السـياق؛ ومثـل ذلـك قوله(والمفعـم بالـدلالات العميقـة والمعـاني الكبـيرة).

وجـاء التنكـير في قولـه: (**نؤكـد أن الإمـارات سـتبقى، بـإذن اللـه تعـالى، عـلى الـدوام قويـة شـامخة**)، فتنكير(قويـة شـامخة) يـدلُّ عـلى أَنَّها قـوَّة جبارة وشـموخٌ عظيـمٌ، تعجـز العبـارة هنـا عن وصفهما، فلا تحيـط بهما إلاّ مجموعـة من الكلمات الكثـيرة، فلجـأ إلى صيغـة التنكـير لمـا هـو كامـن فيهـا من معـاني التعظيـم والتكثير.

وجـاء التعريـف في قولـه: (**تشـق طريقهـا نحـو التقـدم والريـادة**)، فعـرَّف

الطريـق بالإضافـة، وعـرَّف التقـدم والريادة بأل التعريف، وفي ذلك إشـارة أُسـلوبية إلى وضـوح الطريـق والهـدف.

ثالثاً: المستوى الدلالي:

إنَّ الدلالـة هـي الغاية التي يسـعى إليهـا المتكلِّم في تعبـيره، فالخطاب أَصواتٌ وصيـغٌ وتراكيـبٌ توصـل بمجموعهـا إلى الدلالـة، فالمسـتوى الـدلالي يعـدّ مـن أَهـم مسـتويات التحليـل الأُسـلوبي، فالدلالـة ترتبط بجميع مسـتويات التحليل الأُسـلوبي، ويعـرَّف علـم الدلالـة بأَنَّـه « دراسـة المعنـى، أو العلـم الـذي يـدرس المعنـى، أو ذلـك الفـرع مـن علـم اللغـة الـذي يتنـاول نظريـة المعنـى، أو ذلـك الفـرع الـذي يـدرس الـشروط الواجـب توافرهـا في الرمـز حتـى يكون قـادراً على حمـل المعنى.» [1] وبنـاء عـلى ذلـك سـندرس الدلالـة في خطـاب الشـيخ محمـد بـن زايـد «في يـوم الشـهيد2020»، وفـقَ المحـاور التاليـة:

1. دلالة العنوان:

العنـوان هـو العتبـة الأُولى التـي ينفـذ منهـا المتلقـي إلى الخطـاب، ليعطيـه مفاتيـح الاسـتقبال والتأويـل والفهم، ويفتح قناة التواصل بين المرسِـل والمرسَـل إليه، وليـس شرطـاً أن يكـون العنـوان من وضـع صاحب الخطـاب، بل المناسـبة التي قيل فيهـا أَو سـياق الموقـف هـو الذي يحـدِّد العنوان، فإنّ كثـيراً من عناويـن الخطابات تُسـمى باسـم المناسـبة التي قيلـت فيها.

ولذلـك فـإنَّ هـذا الخطـاب ولما ألقـاه الشـيخ محمد بـن زايد في يوم الشـهيد، وكان موضوعـه هـو الشـهيد، ودارت كل مضامينـه حـول معنى الشـهادة والتضحية

1 علـم الدلالـة ، أحمـد مختـار عمـر ،مؤسسـة الخليـج للطباعـة والـنشر ، دار العربيـة للـنشر والتوزيـع ، ط2 ، الكويـت ــ 1982م.ص11.

مـن أجـل المبـادئ السـامية، ومـن أجـل الوطـن، كان لهـذا العنـوان دلالات كـبرى، وكانـت كلمـة (الشـهادة) ومـا اشـتق منها هـي البـؤرة الدلالية التي تجتمـع عندها جميـع دلالات الخطاب.

2. دلالة بنية الخطاب العامة:

بـدأ المُرسِـل خطابـه بمقدِّمـة وجدانية حماسـية، ليخاطب بها قلـوب الجماهير ويسـتثير مشـاعرهم الوطنية، فاسـتعان بمفردات ذات بعد إيحائي، وتراكيب تنطوي عـلى صـور بلاغيـة، مثـل قوله: (**ليعـزز في نفوسـنا الفخر والعـزة، بصفوة مـن أبناء دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة الأوفيـاء، مـن العسـكريين والمدنيـين**). وقـد كان هـذا النـوع مـن الصـور والتراكيب حـاضراً على طـول الخطاب.

كـما لجـأ المخاطِـب إلى التنـاص مع القـرآن الكريـم بالاقتباس في قولـه: (الذين صدقـوا مـا عاهـدوا اللـه..)، وهـذا التعبـير مقتبس مـن قوله تعـالى: (**مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَدَقُـوا مَـا عَاهَـدُوا اللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَـضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَـنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُـوا تَبْدِيلًا**).**[الأحزاب:23]**.

وإن هـذا الاقتبـاس مـن القـرآن الكريـم، واسـتلهام الصـور الفنيـة والتراكيـب الموحيـة، قـد أتـاح اسـتجلاب انتبـاه المتلقـي، وأشرع قنـوات التواصـل بينهـما، مـن خـلال اسـتفزاز المشـاعر الدينيـة والوطنيـة.

والملاحـظ أن الخطـاب منـاط دراسـتنا يتّسـم بالتسلسـل الموضوعـي في جميع فقراتـه، وترتيـب فقراتـه ترتيبـاً فنياً، مما يسـاعد في الولوج إلى فكـر المتلقي وعقله، مـع تناسـق الجمـل وترابطها في إطـار موضوعي.

إن مفهـوم الخطـاب وإطـاره وبنيتـه العامـة يُعدّ من المسـائل التـي اعتنت بها

كتـب الأُسـلوبية وتحليل الخطـاب، وأولتها عنايـة كبيرة.[1]

وقد استهل الشيخ محمد بن زايد خطابه بجمله فعلية خبرية موضوعها يوم الشهيد: (**يأتي «يوم الشهيد» في الثلاثين من شهر نوفمبر من كل عام**)، لينخرط منها في الموضوع، ثُم جعل هذا الإخبار اللغوي لازمة للانتقال بين فقراته، مع التنويع في صياغة التراكيب، بين الاسمية والفعلية؛ مثل قوله في موضع آخر(**في هذا اليوم المشهود من أيام الإمارات). وقوله: (إن مرور السنين، يزيد ذكرى شهدائنا الأبرار تألقاً و حضوراً..)**. وقوله: (**إن قيم التضحية والفداء التي يمثلها شهداؤنا الأبرار..**). وقوله في موضع آخر: (**لقد رحل الشهداء بأجسادهم..**). وقوله: (**في هذا اليوم المجيد..**)، وقوله: (**إن الاحتفاء الحقيقي بالشهداء والوفاء لأرواحهم**) فجعله هذه اللازمة اللغوية فاصلاً للتنقل بين مضامين الخطاب وأفكاره قد أدى إلى تناسق دلالات الخطاب، وكان له دور تواصلي حقيقي مع المتلقِّين.

ومن الظواهر الأسلوبية في هذا الخطاب أَننا نجد المرسل يستخدم ضمير المتكلم الجمع (نا،نحن)، فقد استخدمه ثلاثين مرةً، ولهذه الظاهرة الأُسلوبية غاية تواصلية، ودلالات عميقة، إذ تجعل المُخاطَب مُشاركاً في هذا الخطاب، مفعما بإحساس عميق بالعلاقة التي بينه وبين صاحب الخطاب.

3. دلالة الصور الفنية:

لقد اهتمَّ البلاغيون والأسلوبيون ونقاد الأدب بالصورة الفنية ودلالتها، انطلاقاً من أنَّها سمة جوهرية من سمات العمل الأَدبي، وأَنَّها تشتمل على رسائل يريد أَنْ يمررها المُرسِل للمرسَل إِليه.

1 ينظـر: تحليـل الخطـاب، ج ب.راون،ج.يـول، تـر: محمـد لطفـي ومـنير التريكي، جامعـة محمـد بـن سـعود،1997، ص؛ ص87-98.

يقول العقاد معرفاً الصورة الفنية بأنَّها (نقل الأشياء الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال)[1].

ويرى الاستاذ أحمد الشايب بأنَّها (الوسائل -الفنية- التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعية)[2]؛ وللصورة الفنية عناصر منها: المعاني والدلالات والألفاظ والتراكيب والخيال.[3] ولمَّا كان المعنى من أَهم عناصر الصورة الفنية؛ فقد أَولتها الدراسات الأُسلوبية اهتماماً كبيراً، فتناولتها بالتحليل في المستوى الدلالي.

وقد كان للصورة الفنيّة حضورٌ كبيرٌ في خطاب الشيخ محمد بن زايد في يوم الشهيد.

فمن أَمثلة ذلك قوله في وصف الشهداء: (**الذين صدقوا ما عاهدوا الله والوطن عليه، وتساموا فوق الحياة، وسطروا بدمائهم الزكية، في ميادين الشجاعة والشرف داخل الوطن وخارجه.. أعظم ملاحم البطولة والفداء التي سجلها التاريخ بمداد من نور في أنصع صفحاته**..).

فهذه صورة حركية فنِّية بصريَّة تصوِّر لنا الشهداء، وتبدأ الصورة بوصفهم بالصدق فيما عاهدوا عليه، ثمّ تتنامى بتساميهم فوق الحياة، وهذا التسامي له دلالات عظيمة، فإِنَّهم (تساموا) فوق كل ما هو مادِّي زائل، إِلى المعاني العظمى والقيم العليا، وهنا تبدأ الصورة بالتنامي أكثر فأكثر، فيسطروا بأعزّ ما يملكه الإِنسان (دمه وروحه) ملاحم البطولة والفداء، فلمَّا استرخصوا هذه الدماء في سبيل الوطن، وهنا جاء التاريخ ليسجل هذه التضحيات (بمداد من نور في أنصع صفحاته).

1 ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، ص 25.
2 أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب ط 8، مصر – القاهرة، ص247.
3 ينظر: الصورة الفنية في المفضليات:302.

والملاحظ في هذه الصورة أنَّها صورة ممتدّدة متشبعبة، تجسدت فيها المعاني والمعنويات بصورة المحسوسات المرئيات.

وبعـد ذلـك تنفتـح هـذه الصـورة عـلى صـور أُخـرى فيقـول الشـيخ محمد بن زايـد: (**لقـد حمـل شـهداؤنا الأبـرار دولـة الإمـارات في قلوبهـم وعقولهـم، وضحـوا بالمهـج والأرواح في سـبيل عزتهـا وسـيادتها وكرامـة أهلهـا، دون تـردد أو انتظـار مقابـل، لأنهـا كانـت عندهـم أسـمى وأعـلى وأغـلى مـن أي شيء آخـر، حتـى مـن أرواحهم**).

فلـمَّا حملـوا الإمـارات في قلوبهـم وعقولهـم حبًّـاً واهتمامـاً، فانصهـروا فيهـا وانسـابت في نفوسـهم، قادهـم ذلـك إلى أن (**ضحوا بالمهج والأرواح في سـبيل عزتها وسـيادتها وكرامـة أهلهـا، دون تـردد أو انتظـار مقابـل**).

ومـن الصـور الفنيـة كذلـك؛ قوله: (**في هـذا اليوم المشـهود من أيـام الإمارات، والمفعـم بالـدلالات العميقـة والمعـاني الكبـيرة، تتوحـد مشـاعر المواطنـين، كبـاراً وصغـاراً، وتأتلـف قلوبهـم، مثلـما تتشـابك سـواعدهم في ميادين العمـل الوطني مـن أجـل رفعـة الإمـارات وتقدمهـا وريادتهـا.. نترحـم عـلى شـهدائنا البواسـل، ونحيـي ذكراهـم العطـرة، ونقـف إجـلالاً أمـام تضحياتهـم التـي لا تضاهيهـا أي تضحيـات، ونعـبر عـن الامتنان والشـكر والعرفـان لهم، ونؤكـد أن الوطن لن ينسى أبـداً مـا قدمـوه له، بل سـيظلون على الـدوام قدوة حسـنة لأبنائه، ورمزاً لشـجاعة شـعبنا في الدفـاع عـن سـيادته ومقدراتـه، وتجسـيداً لقيمـه وأخلاقـه الأصيلة التي تـضرب بجذورهـا في أعماق تاريخه وحضارته، وامتداداً للمبادئ السـامية لمؤسسـه وواضـع أسـس نهضتـه، الشـيخ زايـد، عليـه رحمه اللـه ورضوانـه**.) إن هـذه صورة كـبرى، تتشـكل مـن مجموعـة مـن اللوحـات الفنية المتناسـبة المتناسـقة المتناسـلة،

لتـؤدي دلالات كـبرى وعليـا، تجمعهـا دلالـة اجتـماع القلـوب وائتلافهـا عـلى حـبِّ الإِمـارات وعـلى التضحيـة مـن أَجلها.

والمُعايـنُ في جميـع هـذه الصور هو تنوّع أنماطها ووسـائلها واسـتلافها لتقانات أُسـلوبية متنوِّعة فيهـا، فنجد بعضها حسـية، وبعضها معنوية.

كـما نجـد الاشـتغال على صـور البيان، مثل اسـتخدام التشـبيه كـما في: (**تتوحد مشـاعر المواطنـين، كبـاراً وصغـاراً، وتأتلـف قلوبهـم، مثلما تتشـابك سـواعدهم في ميادين العمـل الوطنـي مـن أجل رفعـة الإمـارات وتقدمهـا وريادتها**).

كـما أن هنـاك حضـورا للصـور الاسـتعارية كـما ورد في: (**لأنهـم رمـوز خالـدة للوطنيـة، تزيـن تاريخنـا بالمجد والعـزة، وقناديل تـضيء حاضرنا ومسـتقبلنا بأنبل القيـم وأجـل المعـاني التـي عرفتهـا البشرية**).

ونجـد اعتـماد الصـور الكنائيـة في سـياقات أُخـرى كـما في: (**والعمـل المخلـص مـن أجـل رفـع رايتهـا عاليـة خفاقـة في كل الميادين**).

وهكـذا نجـد للصـورة الفنيـة حضـوراً بـارزاً في هـذا الخطـاب، ودلالاتٍ فنيـة عارمـة، توّزعـت بـين أنمـاط مخلتفة محسوسـات ومعنويـات، وقد اسـتَخدَم المتكلِّمُ فيهـا وسـائل البيـان مـن التشـبيه والكنايـة والاسـتعارة، ووسـائل التصويـر بالكلمـة وبالتركيـب، فـأدى ذلـك كلـه وظائـف أُسـلوبية محببة.

خاتمة

خاتمة

لطالما تحدث الدارسون العرب عن خطورة المنهج النقدي وأهميته- ومبعث هذا غالبا هو الشعور بالنقص إزاء منتجات الفكر الغربي- وضرورة التضلع من المعرفة المنهجية، وهذا أمر وعلى أهميته إلا أنه ينطوي على مغالطة معرفية، فهم بذلك يتناسون أنّ المدونة موضوع الدراسة أي النص أوالخطاب هو أساس الممارسة النقدية وهو الذي يحدد خطوات التحليل النقدي ومرتكزاته، إنّ النص أوالخطاب هو الذي يحدد طبيعة دراساته، ففي تحليل الخطاب يكون الخطاب هو المنطلق وهو في الآن ذاته الغاية.

وهذا بالتحديد ما حصل مع مدونتنا مناط الدراسة «خطابات سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان « ورغم استهلالنا الدراسة بشرح العديد من المفاهيم النظرية المتعلقة بتطور مفهومي النص والخطاب في المنظومة النقدية المعاصرة، إلا أن هذا التقديم النظري كان إيضاحًا وتمهيدا ولم يكن مقصدا وغاية، **فالغاية هي خطابات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ونظراً لكون هذه الخطابات مجال الدراسة؛ صادرة عن شخصية سياسية مرموقة كان لزاما التوجه إلى اختيار استراتيجيات التحليل الأنسب للتعامل معها، وهذا ما دفعنا في الكثير من أجزاء الدراسة إلى الاستعانة بمقولات التحليل التداولي للخطابات كونها الأنسب لهذا النمط من الخطابات.**

تكمن خصوصية الخطاب السياسي في كونه يصدر بالأساس عن شخصية ذات أهمية سواء كانت وطنية أوإقليمية، بالإضافة إلى تشعب اهتمامات

وميادين الخطاب وضرورة مراعاة جوانب مهمة زمانية ومكانية وحضارية واقتصادية ودينية.

وبما أن الخطاب السياسي موجه إلى كل أنواع المتلقين، فهو موجه للسياسي والاقتصادي والمثقف والمواطن العادي والمقيم، وهذا ما يجعل لغة الخطاب السياسي مزدحمة بالتضمينات الدلالية التي تجعل كل مستمع يفهم من الخطاب ما يتناسب مع طبيعته ومكانته.

لقد استطاع صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان أن يراعي كل ما ذكرناه في خطاباته، فمن جهة اعتمد على خلفيات مكنته من صياغة خطابات مبنية على رؤية استراتيجية، وهي خلفيات فكرية ووجودية تمثل في جوهرها القيم المؤسسة لدولة الإمارات، وهي القيم التي أوردناها في التحليل، نذكر من أهمها مراعاة الخلفية الإسلامية المعتدلة لدولة الإمارات، ونلحظ ذلك من خلال كثرة العبارات الدينية في خطابات سمو الشيخ، بالإضافة إلى الميثاق الأخلاقي المؤسس لدولة الإمارات، مع التركيز على الروح الوطنية والتأكيد على مراعاة ميثاق حقوق الإنسان.

زيادة على هذا كله اهتمت خطابات الشيخ محمد بن زايد بمختلف مستويات المستمعين الذين تتوجه إليهم، وأبسط الأمثلة على ذلك بدايته خطاباته بعبارة «أبنائي بناتي إخواني أخواتي» وفي هذا انتباه واضح إلى اختلاف المتلقين ومن ثم اختلاف مستويات الوعي لديهم باختلاف خلفيات التحليل لديهم، كما أن تركيز الشيخ محمد بن زايد الدائم على المقيمين من غير الإماراتيين في دولة الإمارات يندرج في هذا السياق.

ومع مراعاة الشيخ محمد بن زايد لمختلف مستويات المخاطَبين وخلفياتهم، لم ينس نفسه كمتكلم، إذ راعى في مختلف خطاباته مركزه وخصوصية مكانته، وكلما ظهر ضمير المتكلم أو ياء النسبة في خطاباته كان لها دلالة استراتيجية معينة، ففي حال حاجته للدلالة الى تحمله الأعباء ووعيه بالمسؤولية استعمل ضمير المتكلم المفرد ليجعل المستمع يشعر بالاطمئنان كونه تحت قيادة قادرة على تحمل مسؤولياتها تجاه أمتها تاريخا وحاضرا ومستقبلاً، وعند استخدام ضمير المتكلم الجمع ففيه إحالة إلى أمرين وهما تواضع المتكلم للمستمعين من جهة، ودعوته المستمع إلى المشاركة في البناء كونه عضوا فاعلا وليس مجرد متلق، من جهة أخرى.

إن خطابات الشيخ محمد بن زايد في جائحة كوفيد -19 جاءت في وقتها المناسب حين اجتاح العالم هذا الوباء الذي أقلق الجميع، فأدرك صاحب السمو مدى أهمية الكلمة وتأثيرها في النفوس، لذلك أدت خطابات سموه دورا هاما في بث الطمأنينة في الجميع، وشحذ الهمم لمواصلة الجهود للتغلب على هذه الجائحة، ومع كل هذا لم ينس صاحب السمو الثناء على جهود الهيئات والمؤسسات والأفراد .

أكد صاحب السمو في خطاباته على أهمية العائلة، لأنه مدرك تماما لدور العائلة وللبعد الاجتماعي، فظهر في بعض الخطابات مع أبنائه، كذلك أكد على هذا الأمر من خلال حديثه وتأكيده على أخذ الاحتياطات والتباعد الاجتماعي من أجل المحافظة على صحة العائلة، ووصى الأفراد بعائلاتهم «وأهلهم».

إنّ كل ما ذكرناه يدخل في إطار ما يسمى في حقل التداولية ونظريات القراءة بدور المستمع ومشاركته في إنتاج الخطاب، وقد أبانت خطابات

صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد عـن وعي شـديد بذلـك، مثلما هـو وعيه بـدور المواطنـين بمختلـف خلفياتهـم ومسـتوياتهم في مـشروع بناء دولـة الإمارات؛ ولأجـل ذلـك ظهـرت في خطاباته اسـتراتيجيات تضمنت عنايتـه بالمتكلم والخطاب والمخاطـب والسـياق التخاطبـي بالإضافـة إلى الجانـب المضمـوني الـذي يعـلي مـن مكانـة الدولـة ويحفـظ منجزاتهـا ويحتفـي بمشـاركة شـعبها في ذلـك.

كل هـذا جعلنـا في دراسـتنا هـذه نبنـي مراحـل التحليـل على الاسـتراتيجيات المسـتنبطة مـن الخطابـات موضـوع الدراسـة، ولم نقـم بالإتيـان باسـتراتيجات وبالمفاهيـم جاهـزة سـلفا لنحـاول البحـث في الخطابـات عـما يتناسـب معهـا.

ولقـد عمدنـا في هـذه الدراسـة إلى اختيـار نمـاذج أخـرى مـن خطابـات سـمو الشـيخ محمد بن زايد آل نهيان، ودراسـتها وتحليلها في معترك معطيات اللسانيات المعـاصرة، وكانـت الدراسـة تهـدف إلى دراسـة شـكل الخطـاب ومضمونـه، بغيـةَ الوصـول إلى محتـواه الفكري، وخصائصه الأُسـلوبيَة والجماليَّـة والحجاجيَّة؛ فاللغة أَداةُ تواصـلٍ وتأثـيرٍ في المُتلقِّـي، والخطـاب يحمـل في أَلفاظـه وتراكيبـه شـخصيةَ مُنشـئه وثقافتـه وقناعاته.

وقد توصَّلنا إِلى جملة من النتائج يمكن أَنْ نوجزَها في هذه النقاط:

- لقـد تضمَّنـت خطابـات الشـيخ محمـد بـن زايـد على مضامـين فكريَّـة عميقة منها :
- الأصالة والمعاصرة: فكان ينظر للتراث باعتزاز، دون إهمال لقيمة المُعاصرة، بل كان يرى كُلًّاً منهما مكمِّلاً للآخر، فاستلهم التراثَ بأصالته وعروبتِهِ، بجمالهِ وإشراقه، لينطلقَ منه إِلى آفاق رحبة من الإزدهار والمعاصرة.

- دولة الإمارات قامت على مثل عُليا وقيم سامية، وسارت نحو التطوُّر والنماء.
- دلَّت كثيرٌ من الخطابات أَنَّ صاحب الخطاب يعي الحاضر، ويحمل همَّ أَجيال المستقبل.
- كان للهويَّة الوطنيَّة ومفهومها، تمظهرات كثيرة في خطابات الشيخ محمد بن زايد.
- تضمَّنت كثيرٌ من خطاباته التأكيد على هويَّة الفرد وحرياته وهويَّة المجتمع تحدياته.
- إنَّ الهويَّة الإماراتيَّة تأسَّست على كثيرٍ من المُشتركات والعوامل، منها:اللغة، والدين، والتاريخ، والوطن، والفكر، وكلها تنصهر في بودقة الثقافة بمعناها الشاملِ الذي تلتقي عنده كُلِّ توجُّهات الأَشخاصِ ورؤاهم وأَفكارهم وهمومهم ونظرتهم للحياةِ.
- كان للمواطنة ومفهومها وتطبيقاتها تجلِّيات كثيرة في خطابات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان.
- إنَّ المواطنة تُعدُّ رابطة اجتماعية وثيقة؛ وميثاقاً قانونياً بين الفرد والدولة التي ينتمي لها ويعيش فيها، وبين المواطنين أنفسهم فيما بينهم.
- إنَّ دولة الإمارات العربية المتحدة كانت حريصةً منذ تأسيسها على تكريس قيم المواطنة، وترسيخها في المجتمع.
- كان صاحب السمو يولي المستمع في خطاباته عناية خاصة، وذلك ضمن ممارسة لسانية نصية، يستحضر فيها خصائص الأُسلوب، وآليات الحجاج، وطرق اللغة التعبيرية.
- استطاع صاحب السمو استثمارَ جماليات اللغة العربية للتأثير في المتلقين، وجذب انتباههم.

- كان أُسلوب الشيخ محمد بن زايد يجمع بين بلاغة الإمتاع والإقناع.
- لقد استطاع اختيار أَحسن السبل وأَقربها للتأثير في القلوب ومُحاورة العقول وإِقناعها.
- تُعدّ الأُسلوبية فرعاً من فروع علم اللسانيات، وأداة من الأدوات المهمة في تحليل النصوص، وتتبع خواصّها الفنية، وسماتها البلاغية.
- لمَّا كان موضوع الأُسلوبية هو الأُسلوب، فإِنَّنا تتبَّعنا بعض خطابات الشيخ محمد بن زايد؛ لاكتشاف خصائصها الأُسلوبيَّة، وسماتها البلاغيَّة.
- لقد اتَّسمت خطابات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد باللغة العالية، التي تتَّسم بخصائص ومؤشِّرات أُسلوبيَّة، تحتاج إِلى دراسة لسانيَّة مُعمَّقة.
- كان لاختيار الكلمات والصيغ ووضعها في تراكيب وفق مُقتضيات السياق وحال المُخاطَب دورا كبيرا في تواصليَّة الخطاب وبلاغته.
- توَّزعت الدراسة الأُسلوبيَّة لخطاب الشيخ محمد بن زايد على ثلاثة مستويات أُسلوبية، هي:

أ- المستوى الصرفي: ودرسنا فيه الأسماء والأَفعال واختيارها، للكشف عن دورها الأُسلوبيّ في بنية الخطاب.

ب- المستوى التركيبي: وعرضنا فيه إلى التراكيب وانزياحاتها؛ للكشف عن دورها في بلاغة الخطاب وتكثيف دلالته.

ج- المستوى الدلالي: وطرحنا فيه الدلالة الأُسلوبية للخطاب؛ فدرسنا دلالة العنوان والمقام؛ ودلالة بنية الخطاب العامة، والصور الفنية.

- كان المخاطِب يستخدم وسائل الحجاج لإِقناع المتلقين بمضمون ما يطرحه من أَفكار ورؤىً.

- في الجانب اللغوي الحجاجي وظف المخاطِب إمكانيّات اللغة المعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية من أجل تحقيق الأهداف الإقناعية.
- استخدم المخاطِب وسائل حجاجية لغوية وعقلية، وسبلاً استدلاليّة، لإقناع المُخاطبين وتوجيههم.
- من الوسائل الحجاجيَّة التي استخدمها في خطاباته:

أ - الإحالة بأنواعها المتعدِّدة كالإحالة بالضمير وباسم الإشارة، والتي ساهمت في تطويع الانسجام بين بُنى الخطاب.

ب - التكرار، وهو وسيلة بلاغية حجاجيَّة، تماسك بها الخطاب، وأدَّت وظيفة التركيز على عناصر مهمَّة، بغية ترسيخها في ذهن المتلقِّين.

- كانت خطابات سمو الشيخ محمد بن زايد تتصف بالترابط النصِّي، ولهذا الترابط معياران هما: الاتساق، والانسجام.
- كانت وسائل الترابط النصِّي في الخطابات متنوُّعة، تبعاً لمقتضيات السياق والمقام، سواء أكانت وسائل إحاليَّة، أَم وطرائق استبداليَّة.

ومن هذه الوسائل:

أ - الإحالة، وقد تنوَّعت بين إحالات قبلية، وإحالات بعدية، ومن هذه الاحالات؛ الإحالة بالضمير، والإحالة باسم الإشارة، والإحالة بالاسم الموصول.

ب - الاستبدال، وقد استخدم الاستبدال الاسمي، والاستبدال الفعلي.

قد حقَّقت الإحالة النصِّية غايات أُسلوبيَّة بلاغيَّة منها: التماسك النصِّي والربط التركيبي والدلاليّ، والإيجاز في التعبير.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

أولا : المصادر:

- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، ج2، باب في العربي الفصيح بنتقل لسانه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) (د.ت).
- أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407ه.
- أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والتوزيع، ط1، 2001.
- أبو حامد الغزالي، المستصفى عن علوم الأصول، ج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان بيروت، ط1، 1997.
- أحمد بن تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418.
- أحمد شوقي، الأعمال الكاملة، المجلد الأول الشوقيات في السياسة والتاريخ والاجتماع، دار العودة بيروت 1988.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية، (د.ط)، 1995.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986.

- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج4، تحق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.
- القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، د ط. دت.
- كلمة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان بمجلسه في قصر البحر بحضور عدد من الشيوخ والوزراء والمسؤولين 16/3/2020.
- كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة العيد الوطني49 في: 2 ديسمبر 2020.
- كلمة الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع المسؤولين في كافة القطاعات حول الجهود الوطنية لمكافحة جائحة كورونا. 31/3/2021
- كلمة الشيخ محمد بن زايد خلال لقاء مرئي مع قطاع الصحة في 13/5/2020
- كلمة الشيخ محمد بن زايد في يوم المعلم 6 أكتوبر 2020
- كلمة الشيخ محمد بن زايد 13/7/2022
- كلمة الشيخ محمد بن زايد للطلاب والمعلمين في أول يوم دراسي 30/8/2022
- كلمة الشيخ محمد بن زايد بمناسبة يوم الشهيد 2020
- كلمة الشيخ محمد بن زايد لأجيال المستقبل 2017
- محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النحاة، ط1\ 1422ه، 4\ 169 (رقم الحديث: 3455).
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية،(د.ت).

ثانيا : المراجع:

الكتـــب العربيـــة:

- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010.
- أَبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء،ط1، 2006.
- أحمد الخشاب وأحمد النكلاوي، المدخل السوسيولوجي للإعلام، الأسكندرية، دار الكتب الجامعية.
- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط 8، مصر – القاهرة؛ (د.ت)
- أحمد الشايب، الأُسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأُصول الأساليب الأدبية مكتبة النهضة المصرية، القاهرة؛ (د.ت)
- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط1، 2010.
- أحمد المتوكل، الخطاب الوسط : مقارنة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، دار الأمان، الرباط ط3، 2011.
- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة: دراسة في التنميط والتطور، دار الأمان الرباط، ط 1، 2012.
- أحمد زكي أبو شادي، في قضايا الشعر المعاصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مصر، 1988،

- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت؛ (د.ط)،1986 .
- أحمد زلط، الخطاب الشعري الوطني والسياسي: اتجاهاته وروائع أعلامه، هبه النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000.
- أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2000.
- أحمد عفيفي، نحو النص ، مكتبة زهراء الشرق-القاهرة،(د.ت).
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، دار العربية للنشر والتوزيع، ط2، الكويت. 1982م.
- الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999
- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1993.
- أوليفي روبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجده، العد(16)، يونيو،2001.
- بشسر إبرير، استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، مجلة اللغة، العدد الثالث والعشرون، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- بشير إبرير، النص الأدبي وتعدد القراءات، مجلة فصلية ثقافية، مؤسسة عمان للصحافة و النشر والإعلان، مسقط سلطنة عمان، ع11 يوليو، 1997.
- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي، دار الحوار، سوريا؛ ط1؛ 1983.
- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي

العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1 2009.

- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2000.
- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1418-1998.
- خلود العموش، الخطاب القرآني : الدراسة العالقة بين النص والسياق، جدار للكتاب العالمي عمان الأردن، ط1، 2008.
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار الحكمة، الجزائر؛ (د.ط)، (د.ت).
- ريما سعد سعادة الحرف، مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية المتوسطة والثانوية-دراسة تقويمية، كلية اللغات والترجمة، المملكة العربية السعودية، الرياض؛ 2000 .
- زيد بن محمد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،المملكة العربية السعودية، ط1، 1425ه .
- سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي دراسة في المعاهدات النبوي، بيت الغشام للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1 ،2015.
- سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب – القاهر، ط1، 2005.
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص،المفاهيم والإجراءات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997.
- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي :النص السياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2010.

- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي : الزمن السرد و التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3 1997.
- شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 1982.
- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط9 ، 2000.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت (دت_دط).
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت؛ (د.ط)؛ ،1992.
- الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2011.
- طه الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط2، د.ت.
- طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط3 ، 2007.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام؛ المركز الثقافي العرب،ط1، 1987.
- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2014.

- عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، مساهمة مصرية، القاهرة، (د.ط)؛ 1991.
- عبد الحميد إبراهيم، الأدب المقارن في منظور الأدب العربي، دار الشروق القاهرة، مصر، ط1، 1997.
- عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات علم النفس الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط. د.ت)
- عبد السلام المسدي،الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب،ط3، تونس، 1982 .
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1992.
- عبد الله إبراهيم، إشكالية المصطلح النقدي الخطاب والنص، مجلة الآفاق العربية، بغداد، السنة الثامنة عشر، آذار.
- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.
- عبد الله صوله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1؛ (د.ت).
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان، ط1، 2004.
- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000.

- فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2006.
- محمد الاخضر الصبيحي، مدخل الى علم النص، منشورات الاختلاف الجزائر وناشرون بيروت لبنان والدار العربية للعلوم، ط1، 2008.
- محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم، دار الأمان، الرباط، ط1؛ 2014.
- محمد السالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط1، 2008.
- محمد الشاويش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس،2001.
- محمد العبد، اللغة والإبداع، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1998.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض دط، 1426ه.
- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط1، 1991.
- محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية، (د.ط)؛ 1984.
- محمد عبدالمطلب، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مطابع المكتب المصري الحديث، ط1، القاهرة، 1995.

- محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، (د.ط)، 1993.
- محمد يحياتن لجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط، د.ت)
- محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي «محاولة منهجية» ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1999.
- محمود سليمان ياقوت، الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1999.
- محمود محمد عيسى، السياق الأدبي: دراسة نقدية تطبيقية، جامعة المنصورة، مصر، ط1، 2004.
- مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الانسانية، دمشق، ط2، 1998.
- مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركزالإنماءالحضاري، ط1، 2002.
- نعمان بوقرة، مباحث في اللسانيات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1؛ (د.ت).
- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، (د.ط)؛ 2009.

الكتـــب المعرّبـــــة:

- أرلوند تويمبي: مختصر دراسة التاريخ، تر: فؤاد محمد شبل، أحمد عزت عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، مصر، ج3، 2010.

- آن روبول جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، المنظمة العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- باتريك شارودو ودومينيك مانغونو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، تر: عبدالقادر المهري يصمود، دار سناتر المركز؛ (د.ط.دت)
- تيزفيتان تودوروف، النص ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر العياشي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1 2004.
- ج ب.راون،ج.يول،تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي، ومنير التريكي، جامعة محمد بن سعود، (د.ط)؛ 1997.
- ج.ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير الشريكي، الرياض، 1997، د.ط، 1997.
- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، (د.ط)؛ 1988.
- جون جوزيف، اللغة والهوية، ترجمة:د. عبد النور خراقي،عالم المعرفة، (د.ط)؛ أغسطس،2007 .
- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس، صادق الوهاب، ط 1؛ (د.ت).
- روبرت دى بوجراند، النص والخطاب الإجراء، تر: تام حسان، عامل الكتب،ط 9، 2013.
- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب،القاهرة، (د.ط)؛ 1998.
- روبرت دي يوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ،2007.

- ريموند وليمز، الكلمات المفاتيح، تر: نعيمان عثمان، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1 ،2007.
- سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.
- طوني بينيت وزملاؤه، مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع)، تر: سعيد الغانيمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010.
- فان دايك،علم النص، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة، ط1، 2001.
- فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، لبنان، د.ط، د.ت.
- فولفانج هاين، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة د. فالح شبيب العجمي،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض؛ (د.ط)،1999 .
- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، ،2007.
- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط8، بيروت، (د.ت) .
- ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي الدار العربية، المغرب، ط2 ، 1987.
- ميشال لونات، الإعلام الاجتماعي، تر: صالح بن حليمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د.ط)؛ 1993.
- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب (التحليل النصي في البحث الاجتماعي)، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة_ بيروت، ط 1، 2009
- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية،نحو نموذج سيميائي لتحليل النص.

المعاجـــم والموسوعـــات:

- إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مطبعة الشروق الدولية،ط4، 2004.
- أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان، 1992.
- رشيد بن مالك، قاموس المصطلحات السيميائية للنصوص عربي انجليزي فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، (د.ط)؛ 2000.
- عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط2، 1999.
- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط06، 2005.
- محمد خليل الباشا، معجم عربي حديث: الباشا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، (د.ط)؛ 1992.
- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : دراسة معجمية، عالم الكتاب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009.

المخطوطات والرسائل الجامعية:

- إياد خلف عمر الكعود، استراتيجيه القوى الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية، رسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجه الماجستير في العلوم السياسية كلية الآداب والعلوم، جامعه الشرق الأوسط، 2016.

- الترابط النصي في رواية النداء الخالد،دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص،عبده مسبل العمري رسالة ماجستير،كلية الآداب، جامعة الملك سعود،1430 .
- لامية بوداود، تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر رواية (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا، مذكرة ماجستير (مخطوط)، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د.ت.
- مها محمد ابراهيم العتوم، تحليل الخطاب في النقد العربي: دراسة مقارنة في النظرية والمنهج دراسة، لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه (مخطوط)، مركز ايداع الرسائل الجامعية، الجامعة الأردنية، 2004.

المجـــلات والدوريـــات:

- أوليفي روبول، طبيعة البلاغة ووظيفتها، ترجمة الغروس المبارك، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجده، العد(16)، يونيو،2001.
- بدر بن علي العبد القادر، الترابط النصي في الخطاب السياسي السعودي، مقاربة تحليلية، بحث منشور في مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد8 ،2016.
- حسن راضي العايدي، التماسك النصي في سورة يونس، مجلة جامعة الأزهر-غزة، العدد 2، مجلد 15 ،2013.
- حمدي منصور جودي، إسترتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة لخضر بسكرة، العدد10، 2012.
- سعيد هادف، مصطلحات السرد والخطاب مقاربة بين النظرية الغربية والنظرة اللغوية العربية القديمة، مجلة المبرز، 2002.

- الضاوية لسود، السلالم الحجاجية في كتاب أطواق الذهب، مقاربة تداولية مجلة فصل الخطاب، مج7، العدد25، مارس2019.
- عابد بوهادي، أثر النحو في تماسك النص، بحث منشور في دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 40 ، العدد 1؛ 2013
- عرفة عبد المقصود عامر حسن،بظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص، حث منشور على شبكة الألوكة.

المراجـــع الأجنبيـــة :

- ReboulA& MoeschlerJLa .pragmatique aujourd'huiUne nouvelle. science de la communication.Paris.Le Seuil199.

فهرس الموضوعات

مقدمة 5

الفصل الأول

الخطاب : المفاهيم والسياقات، واستراتيجيات الإقناع 17

المبحث الأول: مفهوم الخطاب وأشكاله: 18

أولا : مفهوم الخطاب 18

ثانيا : عناصر الخطاب 35

ثالثا : أشكال الخطاب 38

التحليل والنظامية 54

رابعا: الفرق بين الخطاب الوطني والسياسي 56

المبحث الثاني : سياقات الخطاب، أبعاده التداولية واستراتيجيات الإقناع 59

أولا: سياقات الخطاب 59

ثانيا: إستراتيجيات الإقناع في الخطاب 66

ثالثا: أبعاد الخطاب النقدي التداولي 75

رابعا: البنية الشكلية للخطاب 78

الفصل الثاني

قراءة تداولية في خطابات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان في فترة كوفيد- 19 83

المبحث الأول : توجيه الخطاب/ الإنساني والأخلاقي 84

تحاور الأنا وتجاور الذوات 84

المستوى الأخلاقي 88

اعتماد القوة الناعمة 91
الصحة أولوية 93
الهدوء النفسي والوقار الداخلي 101
حفاوة الشكر/ قوة الشكر 102
البعد الإعلامي في الخطاب 104
البعد السياسي للخطاب 107
البعد الوطني للخطاب 110
المبحث الثاني : الأبعاد التداولية لخطاب صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد 114
أولا: المتلفِظ المخاطِب وعلاقته بالمخاطَب في خطابات
صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان 116
ثانيا : استراتيجيات التأثير والإقناع 118

الفصل الثالث

الهوية؛ الأصالة والمعاصرة، المواطنة وفلسفة التعليم: في خطاب الشيخ محمد بن زايد 145
المبحث الأول: الهويَّة الوطنيَّة والأصالة والمعاصرة في خطاب الشيخ محمد بن زايد 146
أولا : الهوية الوطنية وتجلياتها في خطاب الشيخ محمد بن زايد 146
ثانيا: الأصالة والمعاصرة في خطاب الشيخ محمد بن زايد 156
المبحث الثاني: مفهوم المواطنة وتطبيقاتها في خطاب الشيخ محمد بن زايد 163
«المواطنة كفضيلة انتماء» 163
المبحث الثالث: فلسفة التعليم في خطابات الشيخ محمد بن زايد 171
التعليم في رؤية الشيخ محمد بن زايد 173

الفصل الرابع

تقانات الحجاج والترابط النصي في خطاب الشيخ محمد بن زايد 182

المبحث الأول : تقانات الإقناع في حجاج خطاب الشيخ محمد بن زايد 183

تقانات الإقناع في خطاب الشيخ محمد بن زايد /قراءة حجاجية 186

المبحث الثاني : الترابط النصي في خطاب الشيخ محمد بن زيد 201

(اللغة العليا كلغة تواصلية) 201

مدخل نظري 202

الترابط النصي واستخداماته 207

الفصل الخامس

أُسلوبية خطاب الشيخ محمد بن زايد (خطابه في يوم الشهيد 2020) أنموذجا 223

تمهيد (الأُسلوبية والتداوليَّة : التقاطعات المنهجية) 224

المبحث الأول :»من مقتضى الحال إلى جماليات الاستقبال« 227

الأُسلوبية الخطابية مفاهيمها واتجاهاتها 229

قراءة أسلوبية لخطاب الشيخ محمد بن زايد في يوم الشهيد 2020 230

خاتمـــة 252

قائمة المصادر والمراجع 259

فهرس الموضوعات 274

جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

نبذه عن الكتاب

تُعنى الدراسة بتحليل نماذج من خطابات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، في ضوء اللسانيَّات المُعاصرة؛ وذلك لِما لدولة الإمارات من دور محوري في المنطقة، ولِما لتجربتها الإنسانيَّة -اجتماعيَّاً واقتصاديَّاً وسياسيَّاً وثقافيا- من تفوق وتميُّزٍ وريادةٍ، واعتمادا على ما تشتمل عليه هذه الخطابات من منطلقات فكرية، وسمات أُسلوبية، وخصائص فنِّية، تجعلها مادَّة خاما خصبة للبحث والدراسة والتحليل.

وقد حاولنا في هذه الدراسة تلمُّس ما تتَّسم به هذه الخطابات من سمات وخصائص لغوية -أُسلوبية وحجاجيَّة وتواصليَّة وغيرها- وتحليل بعض مضموناتها الفكرية؛ ومكوِّناتها الدلالية ومكنوناته المعنويَّة والثقافيَّة، و تقصي ما يتمتَّع به صاحب الخطاب من عمق فكري، ومن إمكانات لغويَّة بارعة، وكيف استطاع توظيف ما تتميَّز به اللغة العربية من ثراء معجمي ونحوي وبلاغي للتواصل مع المُتلقِّين، في نسيج خطابي مُحكم واعٍ، يتضمَّن أَفكاراً ورؤىً وتشوفات مُستقبليَّة.

ISBN 97885-725-9948-5